
نزهة النظر
في
خطب المنبر



اسم الكتاب: نزهة النظر في خطب المنبر- الجزء الثاني
تأليف فضيلة الشيخ: أبي الفداء أحمد بن حسن بن قايد النهاري الريمي
رقم الإيداع: ٢٠١٨/٩٨٧٩.
نوع الطباعة: لون واحد.
عدد الصفحات: ٥٤٤.
القياس: ١٧X٢٤.
تجهيزات فنية:
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية
أعمال فنية وتصميم الغلاف: الأستاذ / يسري حسن

٢٠١٩



١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦
١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢
dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة
أمام مستشفى الصوفى - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة زمار
جوال : ٧٧٥٣٠٩٩٣٥



الجزء الثاني

تأليف فضيلة الشيخ
أحمد بن حسن بن قايد الريمي
عفا الله عنه







مُقَـدِّمَـةُ الطَّبَعَةُ الأُولَى

الحمد لله العلي الكبير العليم الخبير والصلاة والسلام على نبينا محمد البشير النذير وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله تبارك وتعالى من أحسن الأقوال قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

والدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ هي وظيفة الأنبياء والمرسلين كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

ولا ريب أن خطبة الجمعة أعظم مناسبة لنشر الدعوة إلى الله تعالى وهذه هي (**المجموعة الثانية**) من كتابنا الموسوم [**بنزهة النظر في خطب المنبر**] ، والله أسأله أن ينفعني والمسلمين به وسابقيه ولا حقيه ، إنه على كل شيء قدير ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليمًا كثيرًا.

وكتبه

أحمد بن حسن بن قايد الريمي

عفا الله عنه

١ خطر السحر

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ للَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون: حديثنا معكم في هذه الجمعة المباركة بإذن الله عن **(خطر السحر والسحرة)** .

يطلق السحر في لغة العرب على كل شيء خفي سببه قال أبوعبيد [١]: أصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون : ٨٩] أي فأنى تصرفون.

وهذا الصرف يكون للعين وهو الأخذة التي تأخذ العين فلا ترى الأشياء على حقيقتها.

وقد يكون للقلب من البغض إلى الحب أومن الحب إلى البغض.

وقد يكون هذا الصرف بالقول الحلال فهوالبيان ، ففي صحيح البخاري[٢] عن ابن عمر ومسلم [٣] عن عمار بن ياسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قالا: قال رسول الله ﷺ : [**إن من البيان لسحرا**].

أما تعريف السحر في الاصطلاح :

فهوكما قال الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ [٤]: هوعقد ورقى وكلام يتكلم به أويكتبه أويعمل شيئًا يؤثر في بدن المسحور أوقلبه أوعقله من غير مباشرة له وله حقيقة فمنه ما يقتل وما يمرض وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه وما يبغض أحدهما إلى الآخر أويحبب بين اثنين.

عباد الله: والسحر ليس من باب الخرافة بل له حقيقة.

يقول الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [٥]:ذهب أهل السُّنَّة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة....... وعلى هذا أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع ولا

(١) أبوعبيد: وهو القاسم بن سلام.
(٢) البخاري برقم (٥٧٦٧).
(٣) مسلم برقم (٨٦٩).
(٤) المغني (١٢/ ٢٩٩).
(٥) تفسير القرطبي (٢/ ٤٦).

عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة ومخالفتهم أهل الحق.

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] : قال أبو جعفر الاسترابادي من أصحابنا ـ أي من الشافعية ـ : بأن السحر لا حقيقة له وإنما هوتخيل والصحيح أن له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسُّنَّة الصحيحة المشهورة ويحرم فعل السحر بالإجماع ومن اعتقد إباحته فهو كافر. أهـ

وهناك أدلة كثيرة من الكتاب والسُّنَّة دالة على حقيقة السحر قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ١٠٢ ﴾ [البقرة: ١٠٢] فقد بين الله في هذه الآية أن الشياطين يعملون السحر وأن الناس يتعلمون منهم فدل على أن السحر حق. وقد صرحت الآية أن الساحر يفرق بين المرء وزوجه.

وقال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفلق: ٤]، والنفاثات هن السواحر اللواتي يعقدن السحر وينفثن فيه.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى[2]: والسحر الذي يؤثر مرضًا وثقلًا وحلًا وعقدًا وحبًّا وبغضًا وتزينًا وغير ذلك من الآثار موجود تعرفه عامة

---

(١) الروضة (٩/ ٣٤٦).
(٢) بدائع الفوائد (١/ ٤٦٩).

الناس وكثير منهم قد علمه ذوقًا بما أصيب به منه.

وكلما ازداد الساحر كفرًا بالله وعبادة للشيطان ازداد الشيطان له طاعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن كثيرًا من هؤلاء السحرة هم عباد للشياطين والجن والجن لا ترضى أن تخدمهم فيما يريدون من السحر إلا بأن يصرف لهم أي الساحر شيئًا من أنواع العبادة كإهانة المصحف وإلقائه في الأماكن النجسة نسأل الله السلامة والعافية.

وقد بين الله عَزَّوَجَلَّ أن السحر كفر ومتعلمه كافر قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ ﴾.

قال الإمام النووي [١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: عمل السحر حرام وهومن الكبائر بالإجماع وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات ومختصر ذلك أنه قد يكون كفرًا وقد لا يكون كفرًا بل معصيته كبيرة فإن كان فيه قول أوفعل يقتضى الكفر كفر وإلا فلا وأما تعلمه وتعليمه فحرام.

وقال الإمام الذهبي [٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: لأن الساحر لا بد وأن يكفر، قال الله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾.

وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه: ٦٩] فانظروا يا عباد الله كيف نفى الله الفلاح نفيًا عامًا عن السحرة ولا يكون هذا النفي العام إلا في أمر كفري.

---

(١) المنهاج (١٤/ ٣٩٨).
(٢) الكبائر ص (٢٢).

ومن ثم كان حد الساحر في الإسلام القتل ففي سُنَن أبي داود [(١)] عن بجالة بن عبدة قال : كتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [**أن اقتلوا كل ساحر وساحرة**].

وقال جندب بن عبد الله الخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : [**حد الساحر ضربة بالسيف**] رواه الترمذي مرفوعًا [(٢)] وصحح الأئمة وقفه.

وعن حفصة زوج النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا [أنها قتلت جارية لها سحرتها] [(٣)] وسنده صحيح.

أيها المؤمنون: إن السحر من الجرائم الموبقة والكبائر المهلكة ففي الصحيحين [(٤)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي ﷺ قال: [**اجتنبوا السبع الموبقات**] . قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال: [**الشرك بالله، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ،وأكل الربا ،وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف ،وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**].ومعنى الموبقات أي: المهلكات. نسأل الله العافية من ذلك كله.

وعند أبي داود [(٥)] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**].

والتمائم: جمع تميمة وهي خرزات وحروز يعلقها الجهال على أنفسهم وأولادهم ودوابهم يزعمون أنها ترد العين وهذا من فعل الجاهلية ومن اعتقد في ذلك فقد أشرك.

---

(١) صحيح أبي داود برقم (٣٠٤٣).
(٢) الترمذي برقم (١٤٦٠).
(٣) البيهقي (٨/ ١٣٦).
(٤) البخاري برقم (٢٧٦٦) ومسلم برقم (٨٩).
(٥) صحيح أبي داود برقم (٣٨٨٣).

والتِوَلة: بكسر التاء وفتح الواو،نوع من السحر وهي تحبب المرأة إلى زوجها.

والله تعالى هوالذي يجعل المحبة بين الزوجين بقدرته تعالى ، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١].

وجعل أيضًا المحبة بين المؤمنين وألف بين قلوبهم كما قال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنفال : ٦٣].

وقال تعالى:﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[آل عمران : ١٠٣].

وقوله ﷺ : [**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**] أما بالنسبة للرقى فقد تكون شركًا وقد تكون مشروعة ومباحة .

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما إذا كانت الرقية بالقرآن أو بأسماء الله تعالى فهي مباحة لأن النبي ﷺ كان يرقي الحسن والحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فيقول: [**أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لآمة**] [١].

وفي صحيح مسلم [٢] عن عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك ؟ فقال :[**اعرضوا عليَّ رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**].

وهذا من أعظم النفع للمسلمين وقد ثبت في صحيح مسلم [٣] عن

(١) البخاري برقم (٣٣٧١) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) مسلم برقم (٢٢٠٠).
(٣) مسلم برقم (٢١٩٩).

جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : لدغت رجلًا منا عقرب ونحن جلوس مع رسول الله ﷺ، فقال رجل : يا رسول الله أرقي ؟ [**قال : من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**].

إخوة الإيمان والإسلام: إن إتيان السحرة والمنجمين والكهنة والعرافين، وسؤالهم الشفاء أو طلب الذرية، أو رد الضالة أوالمتاع المسروق ، أو أن يطلب منهم الحروز والتمائم ،ويعلق ذلك في رقبته أو على بدنه خشية العين أو أن يصاب بشيء آخر ، هذا والله هو الشقاء بعينه.

إن من فعل هذه الأمور راضيًا بها عالمًا بتحريم ذلك فقد كفر بالقرآن وبرئ منه رسول الرحمن ففي صحيح مسلم [١] عن صفية عن بعض أزواج النبي ﷺ : عن النبي ﷺ قال: [**من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**] هذا حكم السائل فما بالكم بالمسؤول.

وفي مُسند الإمام أحمد [٢] وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: [**من أتى كاهنًا أوعرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ].

وعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : [**ليس منا من تطير ولا من تطير له، أوتكهن أوتكهن له، أوتسحر أوتسحر له**] [٣].

والعراف: قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: العراف هوالذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحوذلك والكاهن هوالذي يدعي علم الغيب [٤].

---

(١) مسلم برقم (٢٢٣٠).
(٢) أحمد برقم (٩٥٣٦).
(٣) الطبراني في الكبير (١٨/ ١٦٢) والبزار (٩/ ٥٢) وصحيح الجامع برقم (٥٤٣٥).
(٤) شرح السُّنَّة (١٢/ ١٨٢).

عجبًا أيها الإخوة لأناس يذهبون عند هؤلاء المشعوذين الدجالين ، الذين يدعون علم الغيب للعلاج والتداوي ويلتمسون عندهم الشفاء ويطلبون منهم العافية فيصدقونهم لا حول ولا قوة إلا بالله.

يا عباد الله: الله هوالذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض لا هؤلاء الدجالون ، الله – تعالى – هوالذي يعلم أمور الحاضر والمستقبل ، قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥ ﴾[النمل : ٦٥].

لا يعلم الغيب ملك مقرب ولا نبي مرسل،قال تعالى:﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠ ﴾[الأنعام: ٥٠].

وقال تعالى عن سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ : ﴿ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ١٤ ﴾[سبأ : ١٤].

وقد قال الله تعالى :عن مؤمني الجن: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠ ﴾[الجن : ١٠].

أيها المؤمنون: احْذروا من السحرة وحَذِّروا منهم ومن كيدهم ومكرهم ومن التعاون معهم ، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾[المائدة : ٢].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ

جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [النساء : ١٠٧ ـ ١٠٩].

قلت ما سمعتم ، وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .



الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشانه وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا وعلى آله وأصحابه وإخوانه.

أما بعد:

فيا إخوة الإيمان والإسلام: لقد انتشر في هذه الآونة الأخيرة السحر والسحرة وأصبح الكثير من المسلمين يشكون الضرر مما يعانون من مرض السحر والصرع لأنهم تركوا سبيل الوقاية وقصروا في البحث عن الدواء فأصابتهم الأمراض من المس والعين والمسلم الصادق لوتدبر كتاب الله لعرف سبب الداء وسبيل الدواء ، وهذا ما سنتناول ذكره والحديث عنه بإذن الله تعالى قال الشاعر:

عسى الهم الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

أيها المؤمنون: إن أعظم طريق للوقاية من السحر ومس الجن وربط الرجل عن زوجته أمور:

أولًا: تقوى الله ، وحفظ أوامره واجتناب نواهيه ، وصدق التوكل عليه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ ﴾[الطلاق: ٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝٤٢ ﴾[الحجر : ٤٢].

وقال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزمر : ٣٦].

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق : ٣].

وهذا عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فاروق هذه الأمة كان الشيطان يفر منه لقوة إيمانه وتوكله على الله عَزَّ وَجَلَّ ففي الصحيحين [(١)] عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب فأذن له رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يضحك ، فقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : أضحك الله سنك يا رسول الله ، قال: [**عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب**] . قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهبن، ثم قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أي عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ ؟، قلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : [**إيهًا يا ابن الخطاب ، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجًا ؛ إلا سلك فجًا غير فجك**].

وذكر ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : عن الحسن قال : كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء إليها رجل فقال : لأقطعن هذه الشجرة فجاء ليقطعها غضبًا لله فلقيه إبليس في صورة إنسان فقال :ما تريد ؟، قال : أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله قال : إذا أنت لم تعبدها فما ضرك من عبدها؟، قال : لأقطعنها فقال : له الشيطان : هل لك فيما هو خير لك لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك ، قال : فمن أين لي ذلك قال : أنا لك فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته ثم أصبح

(١) البخاري برقم (٣٦٨٣) ومسلم برقم (٢٣٩٦).

بعد ذلك فلم يجد شيئًا فقام غضبًا ليقطعها فتمثل له الشيطان في صورته وقال: ما تريد ؟ قال : أريد قطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله تعالى قال : كذبت مالك إلى ذلك سبيل : فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد أن يقتله قال : أتدري من أنا أنا الشيطان جئت أول مرة غضبًا فلم يكن لي عليك سبيل فخدعتك بالدينارين فتركتها فلما جئت غضبًا للدينارين سُلطت عليك [1].

وصدق الله القائل في كتابه المبين: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النحل :٩٩ـ ١٠٠].

والقائل تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر : ٤٢].

ثانيًا: كثرة ذكر الله عَزَّوَجَلَّ جاء عن الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: قال يحي بن زكريا:[...**وآمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدوفي أثره سراعًا حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله..**] [2].

ثالثًا: قراءة سورة البقرة ففي مسلم [3] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: [**لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**].

وهكذا الإكثار من قراءة القرآن عمومًا كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ

(١) تلبيس إبليس (١/ ٢٤٦) تحقيق أحمد بن عثمان.
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٨٦٣) .
(٣) مسلم برقم (٧٨٠).

ﭐلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الإسراء : ٤٥].

وخصوصًا سورة البقرة وقد قال نبينا ﷺ : [**اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة**][1].والبطلة هم السحرة.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثومن الطعام فأخذته وقلت والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال : إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة قال : فخليت عنه فأصبحت فقال النبي ﷺ : [**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة**] .

قال : قلت يا رسول الله : شكا حاجة شديدة وعيالًا فرحمته فخليت سبيله قال : [**أما إنه قد كذبك وسيعود**] . فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ [**إنه سيعود**] ، فرصدته فجاء يحثومن الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال : دعني فإني محتاج وعلي عيال لا أعود فرحمته فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ : [**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك**] . قلت : يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالًا فرحمته فخليت سبيله، قال: [**أما إنه كذبك وسيعود**] . فرصدته الثالثة فجاء يحثومن الطعام فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله وهذا آخر ثلاث مرات تزعم لا تعود ثم تعود ، قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ما هو ؟، قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ . حتى تختم الآية ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ : [**ما فعل أسيرك البارحة**] . قلت: يا رسول الله زعم

(١) مسلم برقم (٨٠٤) عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال : **[ما هي]** .

قلت : قال لي : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح- وكانوا أحرص شيء على الخير- فقال النبي ﷺ : **[أما إنه قد صدقك وهوكذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة]** . قال : لا ، قال: **[ذاك شيطان]** [١].

خامسًا: قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] إلى أخر السورة ، ففي الصحيحين [٢] عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال النبي ﷺ : **[من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه]**.

كفتاه: أي من كل شر وسوء من الشياطين.

سادسًا: دوام المحافظة على أذكار الصباح والمساء.

سابعًا: الاستعاذة من الشياطين كما قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨].

ثامنًا: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: **[من قال : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهوعلى شيء قدير ، في يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به ، إلا أحد عمل أكثر من ذلك]** [٣].

---

(١) البخاري برقم (٢٣١١) .
(٢) البخاري برقم (٤٠٠٨) ومسلم برقم (٨٠٧).
(٣) البخاري برقم (٦٤٠٣) ومسلم برقم (٢٦٩١).

تاسعًا: التصبح بسبع تمرات من العجوة من تمر المدينة فقد ثبت في الصحيحين [١] عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ : [**من اصطبح كل يوم تمرات عجوة ، لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم، إلى الليل**] ، وقال غيره: [**سبع تمرات**].

عاشرًا: ومن العلاج النافع بعد وقوع السحر بإذن الله للرجل إذا حبس عن زوجته أن يأخذ سبع ورقات من السدر الأخضر فيدقها بين حجرين ويجعلها في إناءٍ ويصب عليه من الماء ما يكفيه للغسل ويقرأ فيها آية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ و﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ ﴾ و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ ﴾وآيات السحر التي في سورة الأعراف وهي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١١٧ـ ١١٩] .

والآيات التي في سورة يونس ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يونس: ٧٩ ـ ٨٢] .

والآيات في سورة طه ، قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ [طه :٦٥ ـ ٦٩].

(١) البخاري برقم (٥٧٦٨) ومسلم برقم (٢٠٤٧).

وبعد قراءة ما ذكر في الماء يشرب منه بعض الشيء ويغتسل بالباقي ، وبذلك يزول الداء إن شاء الله تعالى ، وإن دعت الحاجة لاستعماله مرتين أوأكثر فلا بأس حتى يزول الداء ، كما ذكر ذلك أهل العلم ، ومنهم ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى [١].

نسأل الله أن يرفع راية التوحيد في كل مكان ، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، وارزقهم التوحيد الخالص ، واجنبهم الشرك والبدع والمعاصي .

نسأل الله أن يحفظ لنا ديننا،وأن يتوفانا مسلمين،والحمد لله رب العالمين.



(١) فتح الحق المبين ص (٣٠٤ ـ ٣٠٥) للطيار.

٢ الصلاة ومكانتها العظمى في الإسلام

الخُطبَةُ الأُولَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون: الصلاة قرة عيون المؤمنين، ومعراج المتقين، وروضة المشتاقين ، وركن عظيم من أركان الإسلام والدين.

هذه الصلاة عبادة عظيمة وشعيرة جليلة فالواجب علينا معاشر

المسلمين أن نسعى جاهدين لتحقيقها والعناية بها والمحافظة عليها.

كما أمر الله عَزَّوَجَلَّ فقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النساء: ١٠٣].

وفي الصحيحين [١] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: [ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ].

وفي الصحيحين [٢] عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: [بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ محمدًا رَسُولُ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ].

والصلاة هي أول ما يحاسب عليها العبد يوم القيامة كما جاء عند الترمذي [٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: [إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ**

---

(١) البخاري برقم (١٣٩٥) ومسلم برقم (١٩).
(٢) البخاري برقم (٨) ومسلم برقم (١٦).
(٣) صحيح الترمذي برقم (٤١٣).

قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ : انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ].

وهي أول ما أوجبه الله تعالى من العبادات كما ثبت في الصحيحين (١) عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: [... فَفَرَضَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ مَا فَرَضَ اللهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ قُلْتُ فَرَضَ خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى قُلْتُ وَضَعَ شَطْرَهَا فَقَالَ رَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ فَرَاجَعْتُهُ فَقَالَ هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ..].

والصلاة هي عمود الدين فإذا سقط العمود سقط ما بني عليه كما جاء عند الترمذي (٢) عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: [..أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ..].

وهي آخر ما يُفقد من دين العبد ففي مُسند الإمام أحمد (٣) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : [لَتنقضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ].

وهي آخر وصية أوصى بها رسول الله ﷺ أمته ففي سُنَن ابن ماجه (٤)

(١) البخاري برقم (٣٤٩) ومسلم برقم (١٦٣).
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٦١٦).
(٣) أحمد برقم (٢٢١٦٠) وصحيح الترغيب برقم (٥٧٢).
(٤) صحيح ابن ماجه برقم (١٣١٧).

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت : إِنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الذي تُوُفِّيَ فِيهِ : [**الصَّلاَةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**] فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى مَا يَفِيضَ بِهَا لِسَانُهُ.

معاشر المسلمين : إن الصلاة أفضل الأعمال وأحبها إلى الله تعالى ففي الصحيحين(١) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله قال : [الصلاة على وقتها] قال : ثم أي قال: [ثم بر الوالدين] قال : ثم أي قال: [الجهاد في سبيل الله] قال : حدثني بهن ولو استزدته لزادني .

وفي مُسند الإمام أحمد (٢) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: إن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فسأله عن أفضل الأعمال فقال رسول الله ﷺ: **[الصلاة] ثم قال : مه قال:[الصلاة] ثم قال : مه قال : [الصلاة] ثلاث مرات ..].**

وعند الحاكم (٣) عن ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : [**استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**].

عباد الله: هذه الصلاة نور للعبد في الدنيا والآخرة ففي صحيح مسلم(٤) عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ :[**الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ـ أوتملأ ـ ما بين السماوات والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أوعليك كل الناس يغدوفبايع نفسه فمعتقها أوموبقها**].

(١) البخاري برقم (٥٢٧) ومسلم برقم (٨٥).
(٢) أحمد برقم (٦٦٠٢) وصحيح الترغيب برقم (٣٧٨).
(٣) الحاكم (١/ ١٣٠) وصحيح الترغيب برقم (٣٧٩).
(٤) مسلم برقم (٢٢٣).

وفي مُسند الإمام أحمد [١] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال :[**من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف**].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وفيه نكتة بديعة وهو أن تارك المحافظة على الصلاة إما أن يشغله ماله أوملكه أورياسته ووزارته أوتجارته فمن شغله عنها ماله فهو مع قارون ومن شغله عنها ملكه فهو مع فرعون ومن شغله عنها رياسة ووزارة فهو مع هامان ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبي بن خلف.[٢]

وعند أبي داود [٣] عن بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: [**بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**].

والصلاة سبب عظيم من أسباب نزول رحمات الله على العباد قال تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٥٦** ﴾ [النور: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿ **وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١** ﴾ [التوبة : ٧١].

والصلاة سبب عظيم في دخول جنات النعيم قال تعالى: ﴿ **قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ**

(١) أحمد برقم (٦٥٧٦) بتحقيق شعيب قال : وسنده حسن.
(٢) الصلاة وحكم تاركها ص (٦٣).
(٣) صحيح أبي داود برقم (٥٦١).

﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون:١ ـ ١١].

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد :٢٢ ـ ٢٤].

والصلاة سبب عظيم في حصول المغفرة من الله والرزق الكريم ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال :٢ـ ٤].

وبها ينال العبد الأجر العظيم والثواب الكبير من الله العلي القدير كما قال الله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ [النساء : ١٦٢] .

هذه الصلاة سماها الله إيمانًا في كتابه الكريم فقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة : ١٤٣].

وقرنها الله عَزَّوَجَلَّ بكثير من العبادات وهذا يدل على فضلها فقد قرنها

الله عَزَّوَجَلَّ بالزكاة قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [البقرة : ٤٣].

وقرنها الله بالنسك فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأنعام : ١٦٢].

وقال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر : ٢] .

وقرنها الله بالذكر قال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ [طه : ١٤].

وخصها الله بالذكر في قوله تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت : ٤٥].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف الآية ١٧٠].

وبيَّن الله عَزَّوَجَلَّ أن الصلاة سبب لتكفير السيئات ورفع الدرجات ، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود : ١١٤].

وفي صحيح مسلم [(١)] عن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ **[عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة ، إلا رفعك الله بها درجة ، وحط عنك بها خطيئة]** .

وفي صحيح مسلم [(٢)] أيضًا عن عمرو بن عبسة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول

(١) مسلم برقم (٤٨٨).
(٢) مسلم برقم (٨٣٢).

الله ﷺ : [....فإن هوقام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هوله أهل وفرغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه..].

وفي الصحيحين [1] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **[أرأيتم لوأن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شيء ؟]** قالوا : لا يبقى من درنه شيء، قال: **[فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوالله بهن الخطايا]** .

ومعنى درنه: أي وسخه.

اللهم أصلح أحوالنا ووفقنا في أقوالنا وأفعالنا واجعل علينا رقيبًا منا حتى لا نعتمد إلا على رضاك، ولا نقصد إلا إياك، وأستغفر الله لي ولكم، إنه هو الغفور الرحيم .



(١) البخاري برقم (٥٢٨) ومسلم برقم (٦٦٧).

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي لقدرته يخضع من يعبد، ولهيبته وعظمته يخشع من يركع ويسجد ،ولطيب مناجاته يسهر العابد ولا يرقد ، ولطيب ثوابه يقوم المصلي ويقعد، أحمده حمدًا كثيرًا مباركًا فيه وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد:

فإن التهاون بالصلاة والتكاسل عنها من صفات المنافقين كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾[النساء : ١٤٢].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[التوبة : ٥٤].

وفي الصحيحين [١] عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال النبي ﷺ : [**ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا ، ولقد هممت أن آمر المؤذن فيقيم ثم آمر رجلاً يؤم الناس ثم آخذ شعلاً من نار فأحرق على من لا يخرج إلى الصلاة بعد**].

معاشر المسلمين: إذا كان هذا الوعيد في شأن المتكاسلين عنها فكيف بالتاركين لها بالكلية فقد أخبر الله عَزَّوَجَلَّ أن ترك الصلاة من صفات

(١) البخاري برقم (٦٥٧) ومسلم برقم (٦٥١).

المجرمين قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر :٣٨ـ٤٨].

وأخبرنا سبحانه أن ترك الصلاة من صفات المشركين كما قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم : ٣١].

وتوعد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التاركين لها والمتخلفين عنها بالويل كما قال سبحانه: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم : ٥٩].

وقد جاء في صحيح مسلم [(١)] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال : سمعت النبي ﷺ يقول: [**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**].

وعند أحمد [(٢)] وغيره عن بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر**].

وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة. [(٣)]

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من لم يصلِّ فلا دِيْنَ له. [(٤)]

وقال عبد الله بن شقيق : كان أصحاب رسول الله لا يرون شيئًا من

(١) مسلم برقم (٨٢).
(٢) أحمد برقم (٢٩٣٧).
(٣) تعظيم قدر الصلاة برقم (٩٢٥) للمروزي وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الإيمان لابن أبي شيبة برقم (١٠٣).
(٤) تعظيم قدر الصلاة برقم (٩٣٥) للمروزي وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الترغيب برقم (٥٧٤).

الأعمال تركه كفر غير الصلاة .[١]

إذن تارك الصلاة لا قداسة له ولا حرمة له بل هو في عداد الكفار والمنافقين والمجرمين والمشركين لا يحمل إسلامًا ولا دينًا نسأل الله السلامة والعافية .

فالواجب علينا معاشر المسلمين أن نحافظ على هذه الصلاة التي كتبها الله علينا ففي سُنَن أبي داود [٢] عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**خمس صلوات افترضهن الله تعالى من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له ومن لم يفعل فليس له على الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه**].

فالمحافظة على الصلاة من أعظم أسباب السعادة وحفظ الله للعبد ، ودوام رغد عيشه بها تزكوالنفوس وتصلح الأحوال وتقبل سائر الأعمال وبها تُطهر القلوب من الذنوب وتوصل العبد إلى غاية المطلوب إنها علامة التقوى والإيمان وصلة بين العبد والرحمن.

إن الصلاة علامة الإيمان ... وبها تُنال محبة الرحمن

فيها التدبر والتذكر والتقى ... تنهى عن الفحشاء والنكران

فيها التلاوة للكتاب تجسدت ... فيها السعادة يا بني الإنسان

يا مؤمنون تعهدوا لصلاتكم ... بالطهر في الأرواح والأبدان

وقفوا أمام الله لا تتحركوا ... إذ أنكم في حضرة الرحمن

---
(١) صحيح الترمذي برقم (٢٦٢٢).
(٢) صحيح أبي داود برقم (٤٢٥).

ودعوا التحكحك والتحرك إنه	عيب أمـام الله مدبر الأكـوان
وتـدبـروا لكتابه وتـضرعـوا	وذروا الدموع تسير في الأجفان
وتمـثـلـوا هـدي الـنبـي محمد	خـير الـبريـة ثـابـت الأركـان
ودعـوا التلفت في الصلاة فإنه	نقص وعيب يا ذوي الإحسان
وتعاهدوا صوت الإمام وفعله	لا تسبقوه معاشر الإخـوان[1]

فيا أيها المسلمون: اتقوا الله وحافظوا على الصلاة فهي عماد دينكم وسبيل فلاحكم ونجاتكم وسعادتكم في الدنيا والآخرة ومروا أولادكم وأهليكم بها كما قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه : ١٣٢].

اللهم اجعلنا بكتابك من المتمسكين ، وللصلاة من المقيمين ، وللزكاة فاعلين ، ولسائر أركان الإسلام وفرائضه من المؤدين.

اللهم يا من فاز بطاعته المفلحون ، ورجا مغفرته العاصون ، اجعلنا ممن بالمواعظ يتعظون ، وجد علينا يا رب بأفضل ما سألك السائلون ، وكن لنا يا رب في الحركة والسكون ، وارحمنا إذا نزلت بنا المنون ، وأنلنا ما ناله عبادك الصالحون ، إنك على كل شيء قدير.



(١) جرس الإنذار ، ص (١٢١) للحكمي.

٣ وجوب حج بيت الله الحرام

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلاَ مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

يقول ربنا سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران : ٩٧].

أيها المسلمون: في هذه الأيام عقد الحجاج الإحرام وقصدوا البيت

الحرام وملأوا الفضاء بالتلبية والتكبير والتهليل والتحميد تلبية لنداء الله لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحج :٢٧-٢٨].

والحج في اللغة: القصد إلى الشيء المعظم.

وفي الشرع: التعبد لله عَزَّوَجَلَّ بأداء المناسك على ما جاء في سنة رسول الله ﷺ وهو فرض عظيم دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة وإجماع المسلمين ومنزلته من الدين أنه أحد أركان الإسلام ففي الصحيحين [(١)] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : [**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان**].

والحج إنما يجب على المسلم في العمر مرة واحدة ، لما ثبت عند الإمام أحمد[(٢)] عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : [**الحج مرة فمن زاد فهوتطوع**].

وفي صحيح مسلم [(٣)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:خطبنا رسول الله ﷺ فقال: [**أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا** ، فقال : رجل أكل عام ؟ يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثًا، **فقال رسول الله ﷺ :لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم، ثم قال : ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان**

(١) البخاري برقم (٨) ومسلم برقم (١٦).
(٢) أحمد برقم (٢٦٤٢).
(٣) مسلم برقم (١٣٣٧).

قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه].

وهكذا العمرة تجب في العمر مرة واحدة على الصحيح ولله در الناظم إذ يقول:

الحج والعمرة واجبان في العمر مرة بلا توان

بشرط إسلام كذا حرية عقل بلوغ قدرة جلية

عباد الله: يجب على كل مسلم أن يبادر لأداء الحج قبل أن يُشغل وما أكثر الشواغل والموانع التي تصرف المؤمن عن أداء الواجبات لا سيما في هذا الزمان وصدق نبينا محمد ﷺ حيث قال:[**من أراد الحج فليتعجل**] رواه أحمد[1].

وعن الفضل بن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : [**من أراد الحج فليتعجل فإنه قد يمرض المريض وتضل الضالة وتعرض الحاجة** [2].

الحج غذاء إيماني كبير تمتلئ فيه جوانح المسلم خشية وتقى لله عَزَّوَجَلَّ وعزمًا على طاعته وندمًا على معصيته[3].

والحج هو تلك الرحلة الفريدة في عالم الأسفار والرحلات ، ينتقل المسلم فيها ببدنه وقلبه إلى البلد الأمين لمناجاة رب العالمين.

فما أروعها من رحلة وما أعظمه من منظر يأخذ بالألباب.

هل شممت عبيرًا أزكى من غبار المحرمين ؟ .

---

(١) أحمد برقم (١٩٧٣) وصحيح الجامع برقم (٦٠٠٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) أحمد برقم (١٨٣٤) وصحيح الجامع برقم (٦٠٠٤).
(٣) نفحت من منبر رسول الله ﷺ (٢/ ١٠١) للثبيتي.

هل رأيت لباسًا قط اجل من لباس الحجاج والمعتمرين ؟.

هل رأيت رؤوسًا أعز وأكرم من رؤوس المحلقين والمقصرين ؟.

هل مر بك ركب اشرف من ركب الطائفين ؟.

هل هزك نغم أروع من تلبية الملبين وأنين التائبين وتأوه الخاشعين ومناجاة المنكسرين ؟.

فأجيبوا إجابة	لم تقع في المسامع
ليس ما تصنعونه	أوليائي بضائع
تاجروني بطاعتي	تربحوا في البضائع
وابذلوا لي نفوسكم	إنها في الودائع [١]

إخوة الإيمان والإسلام: لقد وردت أدلة عظيمة في السُّنَّة المطهرة في بيان فضل الحج والعمرة فمنها ما في الصحيحين [٢] ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت النبي ﷺ يقول: [**من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**].

والرفث: هو الجماع في حال الإحرام ، ويشمل النطق بالفحش ورديء الكلام.

ولم يفسق: أي لم يأت بسيئة ولا معصية.

ومعنى قوله [**رجع كيوم ولدته أمه**]: أي بغير ذنب وظاهره غفران

---

(١) إبهاج الحاج ص (٩) للزهراني.
(٢) البخاري برقم (١٥٢١) ومسلم برقم (١٣٥٠).

الصغائر والكبائر والتبعات، كما قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى[1].

وقوله ﷺ : [**من حج لله**]: يعني مخلص النية فيه لله وحده وتخليص أفعاله من الشرك الأكبر والأصغر قال تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وعند ابن ماجه[2] عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: حج النبي ﷺ على رحل رث وقطيفة تساوي أربعة دراهم أولا تساوي ثم قال: [**اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة**].

قيل لابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا : ما أكثر الحجاج فقال: ما أقلهم. أي أن المخلصين منهم قليل.

ومما ينبغي على الحاج فعله أن يطيب نفقته في الحج وقد أحسن من قال:

إذا حججت بمال أصله سحت ... فما حججت ولكن حجت العير

لا يقبل الله إلا كل طيبة ... ما كل من حج بيت الله مبرور

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: [**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**][3].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: الحج المبرور الذي لم يرتكب صاحبه فيه معصية.[4]

وقال بعض السلف: المبرور: المقبُول.

(١) الفتح (٤/ ١٥٨).
(٢) صحيح ابن ماجه برقم (٢٨٩٠).
(٣) البخاري برقم (١٧٧٣) ومسلم برقم (١٣٤٩).
(٤) رياض الصالحين ص (٣٨٦) تحقيق شعيب الأرنؤوط.

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب دون الجنة**].(١)

فهذا الحديث يدل على فضل المتابعة بين الحج والعمرة وأن ذلك سبب لإذهاب الفقر وحلول الغنى وسبب من أسباب المغفرة والتجاوز عن الخطايا.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سُئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟، قال: [**إيمان بالله**] قيل : ثم ماذا ؟ قال: [**الجهاد في سبيل الله**] قيل: ثم ماذا؟ قال: [**حج مبرور**]. (٢)

وعن ماعز بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ : أنه سُئل أي الأعمال أفضل قال: [**إيمان بالله وحده ثم الجهاد ثم حجة برة تفضل سائر الأعمال كما بين مطلع الشمس إلى مغربها**] .(٣)

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال : [**جهاد الكبير والصغير والضعيف والمرأة الحج والعمرة**] .(٤)

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : شدوا الرحال في الحج فإنه أحد الجهادين(٥) .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: [**ثلاثة في ضمان الله رجل خرج إلى مسجد من مساجد الله عَزَّوَجَلَّ ورجل خرج غازيًا في سبيل الله**

---

(١) أحمد برقم (٣٦٦٩) ، ورواه الترمذي برقم (٨١٠) وحسنه شيخنا العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيح المُسند برقم (١٣٣٩) .
(٢) البخاري برقم (١٥١٩) ومسلم برقم (٨٣).
(٣) أحمد برقم (١٩٠١٠)بتحقيق شعيب.
(٤) صحيح النسائي رقم(٢٦٢٥).
(٥) رواه البخاري معلقًا ووصله عبد الرزاق أنظر الفتح (٤/ ١٥٦).

ورجل خرج حاجًا] .[1]

ومعنى في ضمان الله: أي في حفظه وكلاءته ورعايته.

وعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**الحجاج والعمار وفد الله دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم]** .[2]

الحج رحلة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ والمحروم والله من حرم من هذا الخير ، ومن التمتع من هذه الرحلة.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أن الرسول ﷺ قال : [**قال الله : إن عبدًا صححت له جسمه ووسعت عليه في المعيشة ، يمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إلي لمحروم]** .[3]

وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : [**..أما خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام فإن لك بكل وطأة تطأها راحلتك يكتب الله لك بها حسنة ، ويمحوعنك بها سيئة ، وأما وقوفك بعرفة ، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة فيقول: هؤلاء عبادي جاؤوني شعثًا غبرًا من كل فج عميق ، يرجون رحمتي ويخافون عذابي ولم يروني فكيف لورأوني؟ ، فلوكان عليك مثل رمل عالج أومثل أيام الدنيا أومثل قطر السماء ذنوبًا غسلها الله عنك ، وأما رميك الجمار فإنه مدخور لك، وأما حلقك رأسك فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة ، فإذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك]** .[4]

---

(١) الحلية برقم (١٣٨٢٠) والصحيحة برقم (٥٩٨).
(٢) الصحيحة برقم (١٨٢٠).
(٣) ابن حبان برقم (٣٧٠٢) وأبويعلى برقم (١٠٣٢) والصحيحة برقم (١٦٦٢).
(٤) الطبراني في الكبير برقم (١٣٥٦٦) وصحيح الجامع برقم (١٣٦٠).

والمراد بقوله [تؤم]:أي تقصد.

والمراد بقوله [رمل عالج]: هو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول عبادي قد أتوني محبة وإني بهم بر أجود وأرحم

وأُشهدكم أني غفرت ذنوبهم وأُعطيهم ما أملوه وأنعم

أيها المؤمنون: لقد تعلقت القلوب ببيت الله الحرام قال تعالى :إخبارًا عن نبيه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾ [إبراهيم : ٣٧].

قال ابن كثير [١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فليس أحد من أهل الإسلام إلا وهو يحن إلى رؤية الكعبة والطواف فالناس يقصدونها من سائر الجهات والأقطار. أهـ

وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا ﴾[البقرة : ١٢٥].

ألا قل لزوار دار الحبيب هنيئًا لكم في الجنان الخلود

أفيضوا علينا من الماء فيضًا فنحن عطاش وأنتم ورود

لئن سار القوم وقعدنا وقربوا وبعدنا فما يؤمننا أن نكون ممن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين.

---

(١) ابن كثير (٣/ ٢١٠).

لله در ركـــائب ســـارت بهـــم تطوي القفار الشاسعات على الدجا

رحلوا إلى البيت الحرام وقد شجا قلب المتيم منـهم ما قد شجـا

نزلوا ببـــاب لا يخيب نزيلـــه وقلوبهـم بين المخافـة والرجـــا

على أن المتخلف لعذر شريك للسائر كما قال النبي ﷺ :لما رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال :[**إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا ، ولا قطعتم واديًا ، إلا كانوا معكم**] . قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة ؟ قال: [**وهم بالمدينة حبسهم العذر**].(١)

يا سائرين إلى البيت العتيق لقد سرتم جسومًا وسرنا نحن أرواحا

إنا أقمنا على عذر وقد راحـوا ومن أقام على عذر كمن راحا (٢)

اللهم تقبل من الحجيج حجهم ، اللهم أعدهم إلى أهليهم سالمين غانمين ، وأستغفر الله لي ولكم ، إنه هو الغفور الرحيم .



(١) البخاري برقم (٤٤٢٣).
(٢) لطائف المعارف ص (٢٦٦)لابن رجب الحنبلي.

الخطبة الثانية :

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشانه وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا وعلى آله وأصحابه وإخوانه .

أما بعد:

فيقول الله تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٢٩ ﴾ [الحج :٢٧ـ٢٩].

﴿ وَأَذِّن ﴾ أي: أعلم وناد في الناس بالحج فنادى إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كما أمره الله عَزَّوَجَلَّ.

وقوله : ﴿ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا ﴾ جمع راجل أي: مشاة على أرجلهم.

وقوله : ﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ ﴾ والضامر البعير المهزول.

وقوله : ﴿ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴾ الفج المكان المتسع بين الجبلين ، والعميق أي من كل طريق بعيد.

واستدل بهذه الآية من يرى أن الحج ماشيًا على القدمين أفضل لأنه قدم الراجل على الراكب فقال: ﴿ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ ﴾ .

وقد صح عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه كان يقول : [**والله ما آسف على شيء أشد عليَّ أنني لم أحج في شبابي ماشيًا**].(١)

وهكذا حج الحسن بن علي خمسًا وعشرين حجة ماشيًا وإن النجائب لتقاد بين يديه.

وانظروا أيها الناس إلى السلف الصالح كيف كانوا يكثرون من نوافل الحج فهذا نافع مولى ابن عمر يقول سافرت مع ابن عمر بضعًا وثلاثين حجة وعمرة.(٢)

وهذا عمروبن ميمون حج ستين مرة ما بين حجة وعمرة.(٣)

وقال سعيد بن المسيب رَحِمَهُٱللَّهُ: حججت أربعين حجة.(٤)

وكان عبد الله بن المبارك رَحِمَهُٱللَّهُ يجاهد عامًا ويحج عامًا وكان يقول إذا خرج إلى مكة:

بغض الحياة وخوف الله أخرجني ... وبيع نفسي بما ليست له ثمنا

إني وزنت الذي يبقى ليعدله ... ما ليس يبقى فلا والله ما اتزنا(٥)

وهذا سفيان بن عيينة رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى يقول عن نفسه: شهدت ثمانين موقفًا ـ يعني بعرفة ـ.(٦)

---

(١) أضواء البيان (٥/ ٧٠).
(٢) السير (٥/ ٩٧).
(٣) السير (٤/ ١٦٠).
(٤) السير (٤/ ٢٢٢).
(٥) السير (٨/ ٣٩٤).
(٦) السير (٨/ ٤٦٥).

وهذا الأسود بن يزيد حج ثمانين ما بين حجة وعمرة.(١)

وهذا أبوعثمان النهدي حج ستين مرة ما بين حجة وعمرة.(٢)

وهذا أيوب السختياني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حج أربعين حجة.(٣)

وهذا ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: يقول عنه ابن رجب أنه حج مرات كثيرة وجاور بمكة وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمر يُتعجب منه.(٤)

ولقد ألف كتابه القيم مفتاح دار السعادة بمكة فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان هذا من بعض النزل والتحف التي فتح الله بها عليَّ حين انقطاعي إليه عند بيته وإلقائي نفسي ببابه مسكينًا ذليلًا وتعرضي لنفحاته في بيته وحوله بكرة وأصيلًا فما خاب من أنزل به حوائجه وعلق به آماله وأصبح ببابه مقيمًا وبحماه نزيلا.(٥)

وقوله تعالى ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ تدل هذه الآية على أن الحج مليء بالمنافع العظيمة الدينية والدنيوية.

واللام في قوله تعالى ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ لام التعليل.

ومعنى يشهدوا: أي يحضروا منافع لهم.

وتأمل أخي المؤمن قوله تعالى ﴿ مَنَٰفِعَ ﴾ كيف نكرها ولم يقل المنافع لكثرتها ولأنه أراد أن في هذه العبادة خاصة منافع كثيرة لا توجد في غيرها.

---

(١) السير (٤/ ٥١).
(٢) السير (٤/ ١٧٧).
(٣) السير (٦/ ٢١).
(٤) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٩).
(٥) مفتاح دار السعادة (١/ ٢١٥ ـ ٢١٦) تحقيق علي حسن عبد الحميد.

وقد جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: في قوله : ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ قال : منافع الدنيا والآخرة أما منافع الآخرة فرضوان الله تعالى وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن والذبائح والتجارات.(١)

وقال سعيد بن المسيب ومحمد بن علي الباقر :منافع لهم العفووالمغفرة، وقال مجاهد : التجارة وما يرضى الله به من أمر الدنيا والآخرة. (٢)

ومن منافع الحج : التعارف بين المسلمين الوافدين من بلدانهم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣ ﴾ [الحجرات : ١٣].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت النبي ﷺ يقول : [**الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**]. (٣)

ومن منافع الحج الأخروية: غفران الذنوب كما سبق في الأحاديث المتقدمة.

ومن منافع الحج الأخروية: أن الصلاة في مكة بمائة ألف صلاة فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه**]. (٤)

نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يتقبل من حجاج بيته الحرام حجهم وأن يجعل

---

(١) ابن كثير (٣/ ٢١٠).
(٢) معالم التنزيل (٣/ ٢٨٣) وما بعدها.
(٣) البخاري برقم (٣٣٣٦) ومسلم برقم (٢٦٣٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) أحمد برقم (١٥٢٧١).

حجهم مبرورًا وسعيهم مشكورًا وذنبهم مغفورًا إنه جواد كريم بر رحيم

هذا وصلوا وسلموا رحمكم الله ، على أفضل من صلى وصام وحج وقام ، نبيكم محمد بن عبد الله خير الأنام ﷺ ، كما أمركم بذلك الملك العلام فقال تعالى قولًا كريمًا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب : ٥٦].



٤ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلاَ مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْللْ فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إلَهَ إلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون عباد الله: فإن من أعظم المهمات وأفضل الطاعات وأجل القربات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل إن من العلماء من عدهما الركن السادس من أركان الإسلام وما ذلك إلا لأهميتهما.

ولما كان هذا الموضوع من الأهمية بمكان دعاني إلى أن أجعل هذه الخطبة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، سائلًا المولى أن يكتب لنا ولكم التوفيق والهداية وسيكون الحديث تحت هذا العنوان في العناصر التالية:

أولًا: تعريف المعروف والمنكر.

ثانيًا : حكمهما.

ثالثًا: فضلهما.

رابعًا: آداب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

خامسًا: مواقف خالدة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما المعروف : فهو كل ما عرف في الشرع من خير وطاعة مندوبًا كان أوواجبًا.

وسمي المعروف بالمعروف لأن العقول السليمة تعرفه.

وأعظم المعروف التوحيد.

وأما المنكر: فهو كل ما أنكره الشرع الحكيم ونفر منه الطبع السليم.

وأعظم المنكرات الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ فقد ثبت في مُسند الإمام أبي يعلى[١] عن رجل من خثعم قال : أتيت النبي ﷺ وهو في نفر من أصحابه قال : قلت أنت الذي تزعم أنك رسول الله ؟ قال : [**نعم**] ، قال : قلت : يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله ؟ قال : [**إيمان بالله**] ، قال : قلت : يا رسول الله ثم مه ؟ ، قال : [**ثم صلة الرحم**] ، قال : قلت : يا رسول الله أي الأعمال أبغض إلى الله ؟ ، قال : [**الإشراك بالله**] ، قال : قلت : يا

(١) مُسند أبي يعلى برقم (٦٨٣٩) وصحيح الترغيب برقم (٢٥٢٢).

رسول الله ثم مه ؟ قال : [**ثم قطيعة الرحم**] ، قال : قلت يا رسول الله : ثم مه ؟ ، قال : [**ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف**].

وأما حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو فريضة أمر الله به قال تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

قال الضحاك بن مزاحم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة من فرائض الله كتبها الله على المؤمنين.[١]

وقال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى [٢]: اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد لقول الله تعالى ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ ﴾.

وقد اختلف العلماء هل هذا الوجوب عيني أم كفائي؟.

فجماهير العلماء يرون أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية كما حكاه الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال :إن العلماء اتفقوا على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولم يخالف في ذلك إلا النزر. [٣]

ومنهم من يقول: إنه فرض على كل أحد وقد فصل شيخ الإسلام في هذه المسألة فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو فرض على الكفاية ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره. [٤]

وأما فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو صمام أمن الحياة فلا

---

(١) فتح القدير (٢/ ٣٨١).
(٢) الفصل في الملل (٣/ ١٠٢).
(٣) روح المعاني (٤/ ٣٢٤).
(٤) الفتاوى (٢٨/ ٦٦).

تستقيم الحياة ولا تصلح الأحوال ولا تسعد الأمة إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله من الدين. (١)

وعن ابن الطفيل قال: سئل حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ما ميت الأحياء ؟ ، قال : لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه. (٢)

وقال عبد الله بن عبد العزيز العمري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من ترك الأمر بالمعروف خوف المخلوقين نزعت منه الهيبة فلوأمر ولده لأستخف به. (٣)

وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أشرف الناس منزلة من كان بين الله وبين عباده وهم الأنبياء والعلماء.

ويقول سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق.

هذا وقد وردت أدلة كثيرة تدل على عظم منزلة هذا الأصل العظيم ، قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

فهؤلاء هم أهل الفلاح والفلاح هو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب.

ويقول الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

---

(١) الفتاوى (٢٨/ ١٢١).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة برقم (٧٥٩٠).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٥).

قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ .. ﴾ خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام.(١)

وقد وعد الله الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بالثواب الكبير والأجر العظيم قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[النساء: ١١٤].

وقد جعل الله عَزَّ وَجَلَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل أوصاف المؤمنين قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١].

ولأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد قدمهما الله في هذه الآية على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ووعد أهله بالرحمة فقال: ﴿ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ بخلاف المنافقين والمنافقات فإنهم بالضد من ذلك قال تعالى: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[التوبة:٦٧].

وقال الله تعالى في صفات المؤمنين: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

---

(١) البخاري برقم (٤٥٥٧).

وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَافِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة : ١١٢] .

وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من علامات الصالحين قال الله تعالى: ﴿ ۞ لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ ٱللَّهِ ءَانَاءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ وَأُولَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١١٣ـ ١١٤] .

معاشر المسلمين: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة الأنبياء والمرسلين كما قال الله تعالى :في صفة نبينا محمد ﷺ ﴿ ... يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ... ﴾ [الأعراف١٥٧].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم أسباب النجاة من العذاب قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [الأعراف١٦٥] .

وفي صحيح البخاري [١] عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عن النبي ﷺ قال: [**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لوأنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ، ونجوا جميعًا**].

قال بعض العلماء: كل بلدة يكون فيها أربعة فأهلها معصومون من

(١) البخاري برقم (٢٤٩٣).

البلاء : إمام عادل لا يظلم وعالم على سبيل الهدى ، ومشايخ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحرضون على طلب العلم والقرآن ونساؤهم مستورات لا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى. [١]

وقال أبو داود الطيالسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لولا هذه العصابة ـ أي الفئة والجماعة من أهل العلم ـ لاندرس الإسلام.

وكما أن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذه المكانة العظيمة فإن تركهما له عواقب سيئة وأضرار جسيمة ففي سُنَن ابن ماجه [٢] عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**مُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم**].

وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : [**ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ، هم أعز منهم وأمنع لا يغيرون ، إلا عمهم الله بعقاب**]. [٣]

وعن أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾. وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول : [إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه]. [٤]

فبادروا المنكر بالإنكار   قبل حلول غضب الجبار

(١) تفسير القرطبي (٤/ ٤٩).
(٢) صحيح ابن ماجه برقم (٤٠٠٤).
(٣) صحيح ابن ماجه برقم (٤٠٠٩).
(٤) صحيح ابن ماجه برقم (٤٠٠٥).

قبل عقاب لا يخص من جنى | بــل كــل مــن أقـــره وداهــنـا

وقال آخر:

كن مع الحق كيف شئت واعمل | عملًا صالحـــًا مع الإخلاص

وقل الحق والبس الحــق تاجًا | يتحـــلى به كـــرام النواصي

لا تخف ظالمًا وإن جـــل قدرا | فهوشخص من جملة الأشخاص

ضربــة فـوق رأســه من تـقي | سوف تنهاه عن جميع المعاصي

نسأل الله العلي العظيم أن يوفقنا وإياكم لما فيه رضاه، وأن يحفظ علينا ديننا، والحمد لله رب العالمين



الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي هدانا لكتابه وفضلنا على سائر الأمم بأكرم أنبيائه والصلاة والسلام على النبي المصطفى والرسول المجتبى المبعوث رحمة للعالمين وقدوة للسالكين وإمامًا للأولين والآخرين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الجهاد في سبيل الله ففي سُنَن النسائي وابن ماجه [(١)] عن طارق بن شهاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا سأل النبي ﷺ وقد وضع رجله في الغرز : أي الجهاد أفضل، قال: [**كلمة حق عند سلطان جائر**].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكرسبب عظيم في نيل الأجور الوفيرة، فقد قال ﷺ : [**إن من أمتي قومًا يعطون مثل أجور أولهم ينكرون المنكر**[(٢)] .

والمراد بقوله ﷺ: [**مثل أجور أولهم**] أي أول الأمة وهم الصحابة فكما جاهدوا الكافرين، فهؤلاء جاهدوا أهل المعاصي فنالوا أجور الأوائل بذلك.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الصدقات ففي صحيح مسلم [(٣)] عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: [.. **وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة** ..].

---

(١) صحيح النسائي برقم (٤٢٠٩) وصحيح ابن ماجه برقم (٤٠١٢).
(٢) أحمد برقم (٤٢٠٩) والصحيحة برقم (١٧٠٠).
(٣) مسلم برقم (٧٢٠).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كفارات للذنوب ففي الصحيحين[١] عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [.. **فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره ، تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي ...**].

وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة ، فعن قبيصة بن برمة الأسدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كنت عند النبي ﷺ فسمعته يقول :[**أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة**]. [٢]

وأما آداب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر فمنها:

أن يكون عاملًا بما يأمر بعيدًا عما ينهى عنه قال الله تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[البقرة ٤٤].

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الصف٢ ـ٣].

وقال تعالى :إخبارًا عن خطيب الأنبياء شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ :﴿ ... وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ... ﴾[هود ٨٨].

وقد جاء الوعيد الشديد في شأن من يقول ما لا يفعل ففي الصحيحين[٣] عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر**

(١) البخاري برقم (٥٢٥) ومسلم برقم (١٤٤).
(٢) صحيح الأدب المفرد برقم (٢٢١).
(٣) البخاري برقم (٣٢٦٧) ومسلم برقم (٢٩٨٩).

بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ ، فيقول: بلى ، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه].

أي كنت آمر بالمعروف ولا أفعله وأنهى عن المنكر وأفعله نسأل الله السلامة من ذلك.

وفي مُسند الإمام أحمد [1] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**مررت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، قال : قلت من هؤلاء قالوا خطباء من أهل الدنيا ، كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب ، أفلا يعقلون**].

قال أبو العتاهية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى ... طبيب يداوي والطبيب مريض

وقال آخر:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا ... إذ عبت منهم أمورًا أنت تأتيها

أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدًا ... والموبقات لعمري أنت جانيها

تعيب دنيا وناسًا راغبين بها ... وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقال آخر :

لا تلم المرء على فعله ... وأنت منسوب إلى مثله

من ذم شيئًا وأتى مثله ... فإنما يزري على عقله

(١) أحمد برقم (١٢٨٥٦) والصحيحة برقم (٢٩١).

ومن آداب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر:

أن يصبر على ما يلقاه من الأذى في سبيل ذلك قال الله تعالى: إخبارًا عن لقمان ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ ﴾[لقمان١٧].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ ﴾[آل عمران: ٢١].

ومن آداب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر:

أن يكون قادرًا على تغيير المنكر قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﴾[الحج: ٤١].

ومن آداب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر:

أن يكون متحليًا بالرفق واللين والحكمة قال الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[النحل: ١٢٥].

وقال النبي ﷺ: [**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**]. (١)

أما إذا كان تغيير المنكر سيؤدي إلى ما هو أنكر منه فتركه أولى، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ ... ﴾[الأنعام: ١٠٨].

---

(١) مسلم برقم (٢٥٩٤) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

ولقد ذكر الله لنا مواقف خالدة تدل على البطولة والشجاعة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال الله تعالى :عن مؤمن آل فرعون: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[غافر : ٢٨].

وكان هذا الموقف الرائع سببًا في نجاته بإذن الله تعالى قال الله تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [غافر : ٤٥] .

وهذا موقف آخر في باب الصدع بالحق وهو موقف آل ياسين قال الله تعالى : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[يس : ٢٠ ـ ٢٧].

قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : رحم الله آل ياسين لقد نصح قومه حيًا وميتًا.

ومواقف الصحابة وأتباعهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة معلومة ، فمنها على سبيل المثال ، ما ثبت عن ابن ماجه [1] عن عبادة ابن الصامت الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه غزا مع معاوية أرض الروم . فنظر

(١) صحيح ابن ماجه برقم (١٨).

إلى الناس وهم يتبايعون كسر الذهب بالدنانير وكسر الفضة بالدراهم. فقال : يا أيها الناس إنكم تأكلون الربا: سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**لا تبتاعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل، لا زيادة بينهما ولا نظرة**] فقال له معاوية: يا أبا الوليد لا أرى الربا في هذه إلا من كان نظرة . فقال : عبادة: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن رأيك ، لئن أخرجني الله لا أساكنك بأرض لك علي فيها إمرة . فلما قفل لحق بالمدينة . فقال : له عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما أقدمك يا أبا الوليد ؟ ، فقص عليه القصة وما قال من مساكنته . فقال : ارجع يا أبا الوليد إلى أرضك . فقبح الله أرضًا لست فيها وأمثالك، وكتب إلى معاوية لا إمرة لك عليه ، واحمل الناس على ما قال فإنه هو الأمر.

ومنها ما جاء عند الطبراني في الكبير [١] عن سالم بن عبد الله قال : أعرست في عهد أبي فأذن أبي الناس وكان أبو أيوب فيمن آذنا وقد ستروا بيتي ببجاد أخضر فأقبل أبو أيوب فدخل فرآني قائمًا فاطلع فرأى البيت مسترًا ببجاد أخضر فقال :يا عبد الله أتسترون الجدر ؟، قال أبي واستحيى: غلبننا النساء يا أبا أيوب، قال : من خشي أن يغلبنه النساء فلم أخش أن يغلبنك، ثم قال : لا أطعم تلكم طعامًا ولا أدخل لكم بيتًا ثم خرج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا وإياكم من أنصار دينه، ومن حماة شريعته الآمرين بالمعروف العاملين به الناهين عن المنكر المجتنبين له.

وصلوا وسلموا على رسول الهدى ، محمد بن عبد الله ﷺ .

---

(١) الطبراني في الكبير برقم (٣٨٥٣).



حب النبي على الأنــام فريضة	لا تنس ذكر الهاشمي الأكرم
إن الصلاة على النبي وسيلــة	فيها النجاة لكل عبد مسلــم
صلوا على القمر المنير فإنـــه	نور تبدى في الغمام الـمظـلـم
رحم العباد به عزيز قـــادر	فالشكر لله العلـــي المنعـــم

والحمد لله رب العالمين .



٥ تحريم السرقة

الخُطْبَةُ الأُولَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المؤمنين : لقد انتشرت في هذه الآونة الأخيرة جريمة السرقة ، هذه الجريمة التي جعلت الناس لا يأمنون على أنفسهم ، ولا على ممتلكاتهم بل حتى على أولادهم.

وهذه الجريمة إن دلت على شيء فإنما تدل على ضعف إيمان صاحبها وقلة التقوى في قلبه وإلا فأين مراقبة الله الذي يعلم السر وأخفى ولعظم خطورة هذه الجريمة وأثرها في نزع الأمن من المجتمعات عدها النبي ﷺ من الكبائر وعاقب عليها بأشد العقوبات وكانت من الأمور التي بايع النبي ﷺ المسلمين على تركها في بداية الإسلام ولما كان هذا الموضوع من الأهمية بمكان أحببنا أن نذكر المسلمين بما يسره الله من كلام الله وكلام رسوله ﷺ، والله نسأله أن يهدينا جميعًا إلى الصراط المستقيم.

أيها المؤمنون: السرقة في اللغة هي الأخذ بخفية.

والمراد بها في لسان الشرع أخذ المال المحترم خفية بغير رضا صاحبه .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قال ابن بطال: ويقال لسارق الإبل الخارب وللسارق في المكيال مطفف وللسارق في الميزان مخسر.[1]

والسرقة من كبائر الذنوب حرمها الله في كتابه الكريم وحرمها نبيه ﷺ في سُنَّتِهِ ، وأجمع المسلمون على تحريمها ، قال الله تبارك وتعالى : : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[المائدة: ٣٨] .

وقدم الله السارق على السارقة لأن الغالب أن السرقة تكون من الرجل، بخلاف الزنا ، فقد قدم الله الزانية على الزاني ، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾[النور٢] ، لأن دواعي

(١) الفتح (١٢/ ١٠٠).

الزنا من المرأة أكثر من الرجل فالله تبارك وتعالى أمر في هذه الآية الكريمة بقطع يد السارق والسارقة واليد التي تقطع هي اليد اليمنى والحكمة في ذلك أن اليمنى يكون العمل بها غالبًا.

وفي قراءة عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾ والقطع يكون من مفصل الكف لا من المرفق والكتف.

ولا تقطع يد السارق والسارقة إلا بشروط ومن هذه الشروط:

١- أن يكون من حرز: وحرز كل مال ما يحفظ به عادة.

٢- أن يكون المسروق نصابًا: وهو ربع دينار أوثلاثة دراهم أوما يساوي أحدهما.

ففي مُسند أحمد وسُنَن البيهقي [(١)] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : قال رسول الله ﷺ: **[اقطعوا في ربع الدينار ولا تقطعوا فيما هو أدنى من ذلك]** وكان ربع الدينار يومئذ ثلاثة دراهم والدينار اثني عشر درهما.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ **[قطع في مجن ثمنه ثلاثة دراهم]** [(٢)]. والمجن الترس وهو آلة من آلات الحرب.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال : **[تقطع يد السارق في ربع دينار]** ، ولمسلم **[لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار]** [(٣)].

وهو مذهب جماهير العلماء فالآية عامة وخصصتها هذه الأحاديث وقوله تعالى: ﴿ .. وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿ عَزِيزٌ ﴾: في انتقامه من السارق.

---

(١) أحمد برقم (٢٤٥١٥) والبيهقي (٨/ ٢٥٥) وصحيح الجامع برقم (١١٨١).
(٢) البخاري برقم (٦٧٩٥) ومسلم برقم (١٦٨٦).
(٣) البخاري برقم (٦٧٩٠) ومسلم برقم (١٦٨٤).

﴿ حَكِيمٌ ﴾: فيما أوجبه من قطع يد السارق .

ولهذا لما سمع بعض العرب قارئًا يقرأ : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة: ٣٨]، (والله غفور رحيم) قال : ليس هذا كلام الله تعالى فقال : القارئ أتكذب بكلام الله تعالى فقال : لا ولكن ليس هذا بكلام الله فعاد إلى حفظه وقرأ ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ فقال : الأعرابي صدقت عز فحكم فقطع ، ولو غفر ورحم لما قطع[1].

ولما قدم أبوالعلاء المعري بغداد أورد إشكالًا على الفقهاء لماذا يد السارق تقطع بربع دينار فقال :

يد بخمس مئين عسجد[2] وديت ما بالها قطعت في ربع دينار

تناقض ما لنا إلا السكوت له وأن نعوذ بمولانا من النار

فطلبه الفقهاء ففر فردوا عليه ، فكان جواب القاضي عبد الوهاب المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن قال : لما كانت أمينة كانت ثمينة ولما خانت هانت.

وقال بعضهم في الرد عليه:

هناك مظلومة غالت بقيمتها وهاهنا ظلمت هانت على الباري

---

(١) جلاء الأفهام ص (٢٧٧).

(٢) العسجد : الذهب ، وقيل : هو اسم جامع ، يطلق على الجوهر كله ، كالدر والياقوت. وقال المازني : العسجد : (البعير الضخم) ، حاشية تاج العروس جـ٨ (٣٧٧) .

وقال آخر في الرد عليه:

يد بخمس مئين عسجد وديت	لكنها قطعت في ربـع دينار
حماية الـدم أغلاها وأرخصها	خيانة المال فانظر حكمة الباري

وقال شمس الدين الكردي:

قل للمعري عـــار أيمـــا عـــار	جهل الفتى وهو عن ثوب التقى عار
لا تقدحن بنود الشرع عن شبـه	شرائع الديـن لا تقدح بأشعـــار
فقيمة اليد نصف الألف من ذهب	فإن تعدت فلا تسـوى بدينـــار

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن الإمام السِلّفي أنه قال: إذا كان المعري قال: هذا الشعر معتقدًا معناه فالنار مأواه وليس له في الإسلام نصيب. [1].

ومن الأدلة في تحريم السرقة قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾ [الممتحنة:١٢].

وفي الصحيحين [2] عن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ وكان شهد بدرًا وهو أحد النقباء ليلة العقبة أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال وحوله عصابة من أصحابه:

---

(١) لسان الميزان (١/ ٣٩٠).
(٢) البخاري برقم (١٨) ومسلم برقم (١٧٠٩).

[بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهوكفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهوإلى الله ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه]. فبايعناه على ذلك .

وعند الإمام أحمد (١) عن عمروبن شعيب عن أبيه عن جده رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قال: جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله ﷺ تبايعه على الإسلام فقال: **[أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئًا ، ولا تسرقي ، ولا تزني ، ولا تقتلي ولدك ، ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ، ولا تنوحي ، ولا تبرجي تبرج الجاهلية الأولى]**.

وعند الإمام أحمد (٢) أيضًا عن سلمة بن قيس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع : **[إنما هن أربع لا تشركوا بالله شيئًا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسرقوا ولا تزنوا]**.

ويقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [البقرة : ١٨٨].

والسارق قد أكل أموال الناس بالباطل وقد جاء في الصحيحين (٣) عن أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : **[... إن دماءكم وأموالكم**

(١) أحمد برقم (٦٨٥٠) وسنده حسن.
(٢) أحمد برقم (١٨٩٨٩) والصحيحة برقم (١٧٥٩).
(٣) البخاري برقم (١٧٤١) ومسلم برقم (١٦٧٩).

وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب].

والسرقة من أعظم الظلم والفساد في الأرض قال الله تعالى :عن إخوة يوسف ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [يوسف: ٧٣-٧٥].

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يصلح أحوال المسلمين ، واستغفروا الله لي ولكم ولسائر المسلمين.



الخطبة الثانية:

الحمد لله الحكم العدل ، لا يظلم الناس شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ، وأشهد أن لا إله إلا الله كتب الرحمة لمن اتقاه ، وأعد الشقاء لمن عصى أمره ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله: واعلموا رحمني الله وإياكم واعلموا أنه لا يجوز الشفاعة في حد السرقة إذا رفع أمر السارق إلى السلطان ففي البخاري ومسلم [1] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟، فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِبُّ رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ : [**أتشفع في حد من حدود الله**] . ثم قام فاختطب ثم قال: [**إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لوأن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**].

وفي سُنَن أبي داود [2] عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله ، ومن خاصم في باطل وهويعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع عنه ، ومن**

(١) البخاري برقم (٦٧٨٨) ومسلم برقم (١٦٨٨).
(٢) صحيح أبي داود برقم (٣٥٩٧).

قال في مؤمن ما ليس فيه ، أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال] .

وفي سُنَن النسائي [١] عن صفوان بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن رجلًا سرق بردة له فرفعه إلى النبي ﷺ فأمر بقطعه فقال : يا رسول الله قد تجاوزت عنه ، فقال :[**أبا وهب أفلا كان قبل أن تأتينا به**] فقطعه رسول الله ﷺ.

فليحذر كل مسلم من الشفاعة في هذه الحدود وإيواء السارق والقاتل وغيرهما من أهل الجرائم والكبائر وإلا فالوعيد شديد فقد ثبت في صحيح مسلم [٢] عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**لعن الله من لعن والده ، ولعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من آوى محدثًا ، ولعن الله من غير منار الأرض**].

والمحدث: من ارتكب حدًا وقيل المبتدع وهو شامل للأمرين.

ومن الأدلة في خطورة هذه الجريمة والوعيد لمرتكبيها ما جاء في صحيح مسلم[٣] عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : [**...وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه في النار ، كان يسرق الحاج بمحجنه فإن فطن له قال : إنما تعلق بمحجني وإن غفل عنه ذهب به ...**].

ومعنى قصبه: أي أمعاءه فانظر يا أخا الإيمان إلى هذا العذاب الشديد نسأل الله السلامة من هذا كله.

والسارق ملعون على لسان رسولنا ﷺ ففي الصحيحين [٤] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي ﷺ قال: [**لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع**

---

(١) صحيح النسائي برقم (٤٨٩٣).
(٢) مسلم برقم (١٩٧٨).
(٣) مسلم برقم (٩٠٤).
(٤) البخاري برقم (٦٧٨٣) ومسلم برقم (١٦٨٧).

يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده] .

وقد اختلف العلماء ما المراد بالبيضة والحبل هنا: فمنهم من قال : المراد بالبيضة بيضة الحديد والحبل حبل السفينة وقد قال الإمام الأعمش رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانوا يرون أنه بيض الحديد والحبل كانوا يرون أنه منها ما يسوى دراهم.

ومن أهل العلم من قال: المراد بالبيضة بيضة الدجاجة ، والحبل الذي يربط به الحطب ، ويحمل الحديث على ظاهره ، وأنه إذا سرق القليل جره إلى الكثير الذي تقطع به يده.

والسارق يرتفع عنه الإيمان حين يسرق ويمارس هذه الجريمة فقد جاء في الصحيحين (١) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال النبي ﷺ : **[لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهومؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهومؤمن ، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهومؤمن]**.

عباد الله: السرقة محرمة في الشريعة الغراء إلا أن بعضها أشد من بعض فالسرقة من بيت الجار أشد إثمًا وأعظم حرمة من غير بيت الجار ففي مُسند الإمام أحمد (٢) عن المقداد بن الأسود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : **[ما تقولون في الزنا]** قالوا : حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة قال: فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : **[لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره]** قال : فقال :**[ما تقولون في السرقة]** ، قالوا حرمها الله ورسوله فهي حرام ، قال: **[لأن يسرق الرجل**

(١) البخاري برقم (٦٧٧٢) ومسلم برقم (٥٧).
(٢) أحمد برقم (٢٣٨٥٤) وصحيح الترغيب برقم (٢٥٤٩).

من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره].

فالسارق لا ينبغي أن يرحم ولا أن يتصدق عليه ولذلك ثبت في الصحيحين [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: **[قال رجل لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق ، فأصبحوا يتحدثون تصدق على سارق فقال اللهم لك الحمد ، لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية ، فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على زانية ، فقال اللهم لك الحمد على زانية ؟ ، لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته ، فوضعها في يدي غني ، فأصبحوا يتحدثون تصدق على غني ، فقال اللهم لك الحمد على سارق ، وعلى زانية ، وعلى غني ، فأتي فقيل له : أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته ، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها ، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله] .**

وقد نقع في السرقة من حيث لا نشعر فالذي لا يتم ركوع صلاته ولا سجودها يكون سارقًا كما ثبت عند الإمام أحمد [٢] عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: **[أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته]**، قالوا : يا رسول الله وكيف يسرق من صلاته ؟، قال: **[لا يتم ركوعها ولا سجودها] أو قال: [لا يقيم صلبه في الركوع والسجود].**

ومما يحسن التنبيه عليه إخوة الإيمان أنه لا يجوز شراء السلعة المسروقة إذا علم الإنسان بذلك قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ : إذا اشترى الرجل من رجل شيئًا وهو يعلم أنه سرقة ، فقد شاركه.

والله يقول في كتابه الكريم : ﴿ .. وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى

(١) البخاري برقم (١٤٢١) ومسلم برقم (١٠٢٢).
(٢) أحمد برقم (٢٢٦٤٢) وصحيح الترغيب برقم (٥٢٤).

ﭐلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة٢].

اللهم طهر مجتمعاتنا من الفسوق والعصيان ، ومن كل الرذائل والخبائث والآثام .

اللهم اختم لنا بخاتمة السعادة ، ولا تحرمنا الجنة والزيادة ، اللهم أصلح حكامنا وعلماءنا ، واهد شبابنا ، واستر نساءنا ، واحفظ اللهم أبنائنا .

هذا وصلوا وسلموا رحمكم الله على إمام المجاهدين، وسيد الأولين والآخرين ، كما أمركم الله بذلك فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب: ٥٦].



٦ التوكل على الله -عز وجل -

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: لقد دعا الله عباده المؤمنين في كثير من آيات القرآن الكريم للتوكل عليه وجعل سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ التوكل من أعلى مقامات أهل الإيمان ، قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ

وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ [الأنفال : ٢].

وقال تعالى: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الشورى : ٣٦].

ولا يصح الإيمان إلا بالتوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المائدة : ٢٣] .

وقال تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [آل عمران : ١٦٠].

وقد قرن الله بين الإيمان والتوكل فقال سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الملك : ٢٩].

قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ جماع الإيمان ، وكان يدعواللهم إني أسألك صدق التوكل عليك ، وحُسن الظن بك. (١)

وقال سهل بن عبد الله : من طعن في الحركة فقد طعن في السُّنَّة ، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان.

توكل على الرحمن في الأمر كله ... فما خاب حقًا من عليه توكلا

وكن واثقًا بالله واصبر لحكمه ... تفز بالذي ترجوه منه تفضلا

وقال الله تعالى : ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [المزمل : ٩].

وقال بعض السلف: متى رضيت بالله وكيلًا وجدت إلى كل خير سبيلًا.

---

(١) السير (٤/ ٣٢٥) .

وقال بعضهم: بحسبك من التوسل إليه أن يعلم من قلبك حسن توكلك عليه.

والمراد بالتوكل على الله: الثقة بالله ، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: التوكل الثقة بالله.

وقال بعض العلماء: التوكل صدق الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[الزمر : ٣٨].

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال له رسول الله ﷺ : [**يا غلام إني معلمك كلمات : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فلتسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لواجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولواجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**]. [١]

وقال الإمام الجرجاني رَحِمَهُ اللَّهُ: التوكل على الله هو الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس. [٢]

والتوكل على الله عَزَّ وَجَلَّ من أعمال القلوب قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: التوكل عمل القلب. [٣]

---

(١) رواه أحمد برقم (٢٨٠٣) ، وهو حديث صحيح ، صححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الترمذي برقم (٢٥١٦).
(٢) التعريفات ص (١٠٠)
(٣) طريق الهجرتين ص (٢٤٥).

والتوكل على الله من صفات الأنبياء والمرسلين قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [إبراهيم :١١-١٢].

وقال تعالى عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ ۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ [يونس : ٧١].

وقال تعالى عن هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود: ٥٤-٥٦].

وقال تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [يونس :٨٤-٨٥].

وانظروا إلى عظم توكل نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بربه قال تعالى عنه: ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الشعراء :٦١-٦٢].

وهذا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما رمى به قومه إلى النار قال كما في صحيح

البخاري (١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ . قالها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين ألقي في النار وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾.فنجاه الله وحماه من مكر الأعداء قال الله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء : ٦٩].

وقد أمر الله رب العالمين نبيه محمدًا ﷺ أن يتوكل عليه فقال سبحانه: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ [النمل : ٧٩].

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ ﴾[النساء : ٨١].

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الفرقان : ٥٨].

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [الشعراء : ٢١٧].

ولقد امتثل نبينا ﷺ أمر ربه فكان أعظم الناس توكلًا على الله ولعظم توكله على ربه أن الله عَزَّوَجَلَّ سماه المتوكل كما في صحيح البخاري (٢) عن عبد الله بن عمروبن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن هذه الآية التي في القرآن ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ . قال في التوراة يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا وحرزًا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفوويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن

(١) البخاري برقم (٤٥٦٣)
(٢) البخاري برقم (٤٨٣٨) .

يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفا].

ولننظر في ثقته بالله وكيف أنجاه الله من عدوه لعظم توكله على الحي الذي لا يموت ففي الصحيحين [1] عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخبر: أنه غزا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل نجد فلما قفل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة فنزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت سمرة وعلق بها سيفه ونمنا نومة فإذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعونا وإذا عنده أعرابي فقال : [**إن هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتًا فقال :من يمنعك مني ؟ فقلت: الله ثلاثًا**] . ولم يعاقبه وجلس.

وهكذا أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا متوكلين على الله وحده ، فقد قال ربنا عنهم: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾[آل عمران : ١٧٣].

وفي سُنَن أبي داود [2] عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا أن نتصدق فوافق ذلك مالًا عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا فجئت بنصف مالي فقال [لي] رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [**ما أبقيت لأهلك ؟**] فقلت مثله قال : وأتى أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكل ما عنده فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [**ما أبقيت لأهلك ؟**] قال : أبقيت لهم الله ورسوله قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا .

أيها المسلمون: إن التوكل على الله عَزَّ وَجَلَّ من أعظم الأسباب المنجية للعبد من الفتن والمحن والبلايا ، بل من كل مضائق الدنيا ، قال سبحانه وتعالى:

(١) البخاري برقم (٢٩١٠) ومسلم برقم(٨٤٣).
(٢) صحيح أبي داود برقم (١٦٧٨) .

﴿ ...وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ... ﴾ [الطلاق : ٣].

قال الربيع بن خثيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من كل ما ضاق على الناس.[1]

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم.[2]

فاتقوا الله عباد الله ، وحققوا التوحيد لله ، وتوكلوا عليه فإن الله عَزَّوَجَلَّ يحب المتوكلين: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر :٦٢ ـ ٦٣].

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم ، والذكر الحكيم ، وبهدي سيد المرسلين.

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العلي العظيم ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) البخاري معلقًا في الرقائق باب قوله : ﴿ ...وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ... ﴾ [الطلاق : ٣].
(٢) بدائع الفوائد (١/ ٤٨٢) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي من توكل عليه بصدق نيةٍ كفاه، ومن توسل إليه بخالص أدعيته أجابه ولباه، أحمده سبحانه وأشكره على ما أعطاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله ليس لنا رب سواه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي أعطاه من الفضل فوق ما يتمناه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن اقتفى أثره إلى يوم لقاه.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى ربكم حق التقوى وأخلصوا له في السر والنجوى واعلموا إخواني المسلمين أن من أسباب النجاة من كل بلاء التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ وتفويض الأمور إليه سبحانه قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود: ١٢٣].

والتوكل على الله عَزَّوَجَلَّ يورث العبد الغرف العالية في الجنة قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥٨ - ٥٩].

وهو من أسباب محبة الله للعبد قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والتوكل على الله عَزَّوَجَلَّ يضمن للعبد بإذن الله تعالى حصول الرزق

وسعته ففي الترمذي [١] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : [**من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أوآجل**].

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع نبي الله ﷺ يقول :[**لوأنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوخماصًا وتروح بطانا**]. [٢] ومعنى تغدو خماصًا وتروح بطانًا: أي تغدو في الصباح ضامرة البطون وتروح في المساء مملوءة البطون من رزق الله.

وفي الحلية [٣] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**لوأن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت ؛ لأدركه رزقه كما يدركه الموت**].

والتوكل على الله عَزَّ وَجَلَّ ينفع العبد في دنياه وآخرته بل وينجيه من أهوال يوم القيامة فعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ ، فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ فقال : لهم قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا**]. [٤]

والتوكل على الله عَزَّ وَجَلَّ يكون سببًا في دفع السحر والحسد والعين بإذن الله، قال تعالى عن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [يوسف :٦٧].

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٣٢٦).
(٢) أحمد برقم (٢٠٥) ، ورواه الترمذي برقم (٢٣٤٤) وصححه شيخنا العلامة الوادعي في الصحيح المسند برقم (٩٨٦) .
(٣) الحلية برقم (٩٧٧٩) وانظر صحيح الجامع برقم (٥٢٤٠).
(٤) صحيح الترمذي برقم (٢٤٣١).

والتوكل على الله عَزَّوَجَلَّ يقي العبد من مكائد الشيطان قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ ﴾ [النحل : ٩٩].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ :[**إذا خرج الرجل من بيته فقال : بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله قال : يقال حينئذ هديت وكفيت ووقيت ، فتتنحى له الشياطين فيقول:له شيطان آخر : كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي**]. [(١)]

والتوكل على الله عَزَّوَجَلَّ يوجب للعبد دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب ففي الصحيحين [(٢)] عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: **[عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى ﷺ وقومه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : ما الذي تخوضون فيه ؟ فأخبروه فقال: هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال :أنت منهم ، ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال :سبقك بها عكاشة]**.

---

(١) صحيح أبي داود برقم (٥٠٩٥).
(٢) البخاري برقم (٦٥٤١) ومسلم برقم (٢٢٠).

ومن ثمار التوكل أيضًا أنه سبب في ذهاب التشاؤم ففي الترمذي [(١)] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: [**الطيرة من الشرك وما منا ولكن الله يذهبه بالتوكل**].

عباد الله: إذا أعرض أحد منا عن عدوه فليتوكل على الله قال تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء : ٨١].

وإذا أعرض الخلق عنا فلنتوكل على الله قال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [التوبة : ١٢٩].

وإذا صالحنا قومًا فلنتوكل على الله قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنفال : ٦١].

وإذا نزلت بك الهموم والأمراض فاستقبلها بالتوكل على الله قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة : ٥١].

وإذا هداك الله لدينه فاشكره واستقبل ذلك بالتوكل قال تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [إبراهيم : ١٢].

معاشر المسلمين: إن التوكل يعني أن يرتب الإنسان المقدمات ويدع النتائج لله ، وأن يبذر الحب ويرجو الثمار من الرب ، ويكون متوكلًا لا متواكلًا ، قال بعض السلف : القلب يتوكل والجوارح تعمل.

---

(١) صحيح الترمذي برقم (١٦١٤).

وقد قال النبي ﷺ : **[يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟، قلت: الله ورسوله أعلم،قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا،وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا ، فقلت : يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا**[(١)].

وفي الترمذي عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رجل يا رسول الله أعقلها وأتوكل أواطلقها وأتوكل ؟ قال: [**أعقلها وتوكل**]. [(٢)]

وقد بين الله عَزَّوَجَلَّ أن المتوكلين عليه سبحانه هم العاملون فقال تعالى: ﴿ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[العنكبوت:٥٨ـ٥٩].

وهو القائل عَزَّوَجَلَّ لنبيه لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾[هود : ٨١].

وأمر نبيه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال تعالى: ﴿ **فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾** ﴾[الدخان : ٢٣].

وأمر أهل الإيمان فقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾[النساء : ٧١].

أللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين ، واحم حوزة الدين ، واهدِ عبادك الصراط المستقيم ، اللهم اغفر لجميع موتى المسلمين الذين شهدوا لك بالوحدانية ، ولنبيك بالرسالة ، وماتوا على ذلك يا أرحم الراحمين .

ربنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا وإليك المصير .

---

(١) البخاري برقم (٢٨٥٦) ومسلم برقم (٣٠).
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٥١٧).

٧ ثمار طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون:

لقد أمر الله بطاعته وطاعة رسوله ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ

وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾ [المائدة٩٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال٤٦] .

وقال تعالى :في شأن أزواج النبي ﷺ :﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب٣٣] .

وطاعة الرسول ﷺ من طاعة الله قال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء٨٠] .

والمراد بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ هي الموافقة والاستجابة بفعل الأوامر واجتناب النواهي.

وتأتي الطاعة بمعنى التقوى كما قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران١٠٢] ، هو أن يُطاع فلا يُعصى وأن يُذكر فلا يُنسى وأن يُشكر فلا يُكفر. (١)

وقال طلق بن حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: التقوى عمل بطاعة الله ، رجاء رحمة الله ، على نور من الله ، والتقوى ترك معصية الله مخافة عقاب الله ، على نور من الله. (٢)

عباد الله : إن لطاعة الله ورسوله ثمارًا عظيمة وأثارًا حميدة في الدنيا

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٦).
(٢) ابن أبي شيبة (٨/ ٢٥٠).

والآخرة منها:

١-الفلاح: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٥١﴾ [النور٥١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: والفلاح هو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب.(١)

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٥٧﴾ [الأعراف١٥٧].

قال بعض السلف: الاجتهاد في طاعة الله ورسوله ﷺ أربح بضاعة.

٢- الهداية: قال الله وتعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف١٥٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ٥٤﴾ [النور٥٤].

قال الزهري: من الله الرسالة وعلى رسول الله ﷺ البلاغ وعلينا التسليم.(٢)

---

(١) ابن كثير (٣/ ٢٨٩).
(٢) علقه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد (١٥/ ٤٧٩).

٣- الرحمة: قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ﴾ [آل عمران ١٣٠ ـ ١٣٢].

وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور ٥٦].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ ﴾ [التوبة ٧١].

٤- الفوز: قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب ٧٠ ـ ٧١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٥٢ ﴾ [النور ٥٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ أي فيما أمراه به وترك ما نهياه عنه ﴿ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ ﴾ فيما مضى من ذنوبه ﴿ وَيَتَّقۡهِ ﴾ فيما يستقبل وقوله ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ يعني الذين فازوا بكل خير وآمنوا من كل شر في الدنيا والآخرة.(١)

٥- محبة الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ ﴾ [آل عمران: ٣١].

---

(١) ابن كثير (٣/ ٢٨٩).

قال بعض الحكماء من العلماء: ليس الشأن أن تُحِبّ، إنما الشأن أن تُحَبّ

وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾.[1]

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

تعصي الإلـه وأنـت تزعم حبه	هذا محـال في القيـاس بديع
لوكان حبك صـادقًـا لأطعته	إن المحب لمن يحب مطيـع

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]:

شرط المحبة أن توافق مـــن	تحـب عـلى محبته بـلا عصيان
فـإذا ادعيت له المحبة مع خلا	فـك مـا يحـب فـأنـت ذوبهـتـان
أتحب أعداء الحبيب وتدعـي	حبًا له مــا ذاك في إمكـــان
وكذا تعادي جاهدًا أحبـابــه	أيـن المحبة يا أخـا الشيطـان

٦- مغفرة الذنوب كما في الآية نفسها : ﴿ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

٧- دخول الجنة : قال الله تعالى : ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٧﴾ ﴾ [الفتح١٧] .

(١) ابن كثير (١/ ٣٣٨).
(٢) النونية (١/ ٢٣).

وقال تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾ [النساء١٣] .

وفي صحيح البخاري [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: [**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى** ، قالوا : يا رسول الله ومن يأبى قال: **من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**].

٨- حسن العاقبة : قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء٥٩] .

ومعنى قوله : ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ أي أحسن عاقبة ومآلا .

٩- الحياة الطيبة : قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال٢٤] .

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى : فتضمنت هذه الآية أمورًا :

أحدها: أن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ورسوله ، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له ، وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات. فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله والرسول ظاهرًا وباطنًا. فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا ، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان، ولهذا كان أكمل الناس حياةً أكملهم استجابةً لدعوة الرسول ﷺ فإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة ، فمن فاته جزء منه

(١) البخاري برقم (٧٢٨٠).

فاته جزء من الحياة ، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول ﷺ.[١]

١٠- النجاة من الفتن والمحن والمصائب: قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنفال٢٠ ـ ٢٦] .

عباد الله : من لم يطع الله ورسوله ويستجب لهما فقد عرض نفسه للفتنة وعقاب الله ، ولذا ختمت الآية بقوله ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾.

وقال تعالى : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور٦٣] .

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى ، اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وألسنتنا من الكذب ، وأعمالنا من الرياء ، وأعيننا من الخيانة، إنك تعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور ، والحمد لله رب العالمين .

(١) فوائد الفوائد ص(١٥٥).

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي جعل القيام بطاعته خير الوسائل وحصول مغفرته ورحمته أفضل المقاصد والمطالب الكوامل وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا ند له ولا مماثل وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث بالحق الظاهر وأوضح الدلائل ، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، أولي المقامات العالية والفضائل .

أما بعد :

فإن ثمار طاعة الله ورسوله ﷺ أكثر من أن تحصى ، وإن من أجلِّ تلك الثمار أيضًا:

١١- مرافقة المُنعم عليهم : قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء٦٩] .

وقد ثبت عند الطبراني في الوسط [(١)] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال :يا رسول الله ! إنك لأحب إلي من نفسي ، وإنك لأحب إلي من أهلي ، وأحب إلي من ولدي ، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك ، فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك ؟، فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئًا حتى نزل جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بهذه

---

(١) الطبراني في الأوسط (٤٧٧) والصحيحة برقم (٢٩٣٣).

الآية ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء٦٩] .

وثبت في الصحيحين [(١)] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: [**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أوالمغرب لتفاضل ما بينهم**] ، قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: [**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**].

وفي الصحيحين [(٢)] أيضًا عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله متى الساعة قال: [**وما أعددت للساعة**] ، قال : حُب الله ورسوله قال: [**فإنك مع من أحببت**] ، قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قول النبي ﷺ : [**فإنك مع من أحببت**] قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر ، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم.

١٢-الأجر الحسن : قال تعالى :﴿ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًاۖ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الفتح١٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحجرات١٤] .

١٣- ١٦ : ومن ثمار طاعة الله ورسوله ﷺ : الحصول على الخير ، والثبات عليه، والأجر الوافر والثواب الكامل .

---

(١) البخاري برقم (٣٢٥٦) ومسلم برقم (٢٨٣١).
(٢) البخاري برقم (٦١٧١) ومسلم برقم (٢٦٣٩).

والهداية إلى الصراط المستقيم قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [النساء٦٦ـ٦٨] .

أيها المسلمون: إن طاعة الله ورسوله ﷺ من الأهمية بمكان فلا إسلام ولا دين إلا بطاعة الله ورسوله ﷺ قال الله تعالى :﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنفال١] .

قال أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لا إسلام إلا بطاعة الله، ولا خير إلا في جماعة، والنصيحة لله ولرسوله، وللخليفة وللمؤمنين عامة. [(١)]

فهذه يا عباد الله ستة عشرة ثمرة من ثمار طاعة الله ورسوله ﷺ.

اللهم أعزنا بطاعتك، ولا تذلنا بمعصيتك،اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين ، ودمر اليهود ومن شايعهم من المستعمرين الغاصبين، وألِّف بين قلوب المسلمين ، وأصلح قادتهم ، واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين.

اللهم آمنا في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك ، يا أرحم الراحمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار.

عباد الله : إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون فاذكروا الله على نعمه ، واشكروه على آلائه ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

---
(١) ابن كثير (٣ / ٢٨٩).

٨ الأمانة وعظم شأنها

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

فيا معاشر المسلمين: اتقوا الله تعالى واعلموا أن الله تبارك وتعالى قد عظم أمر الأمانة في كثير من مواضع القرآن الكريم وبين سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن حملها ثقيل وأن هذا الإنسان قد تحملها لظلمه وجهله ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا

عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب : ٧٢].

والمراد بالأمانة هنا التكاليف الشرعية من الطهارة والصلاة والصيام والحج وغير ذلك من الواجبات الشرعية وقد بين الله جل جلاله في ختام هذه الآيات انقسام الناس بعد حمل هذه الأمانة إلى ثلاثة أقسام:

١-المنافقون والمنافقات وهم الذين التزموا بها ظاهرًا وضيعوها باطنًا.

٢- المشركون والمشركات الذين ضيعوها ظاهرًا وباطنًا.

٣- المؤمنون والمؤمنات الذين حفظوها وقاموا بها ظاهرًا وباطنًا قال الله تعالى: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب : ٧٣].

أيها المؤمنون: الأمانة عظيمة المعنى واسعة الدلالة فهي عبارة عن كل ما استحفظ عليه الإنسان من حقوق سواء كانت لله تعالى أولخلقه فالودائع والعواري عندك أمانة والسر الذي بينك وبين أخيك أمانة والذي بينك وبين زوجتك أمانة والأولاد عندك أمانة والحكم بما أنزل الله أمانة والمشورة أمانة وهكذا تكون الأمانة في كثير من الأعمال فالمدرس قد تحمل الأمانة والتاجر قد تحمل الأمانة والسلطان قد تحمل الأمانة والقاضي قد تحمل الأمانة والمرأة في بيتها قد تحملت الأمانة فالأمانة مسئولية الجميع.

معاشر المسلمين: لقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بأداء الأمانة فقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء : ٥٨].

وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ

رَبَّهُۥ ﴾ [البقرة : ٢٨٣].

وأمر رسول الله ﷺ بأداء الأمانة فقد جاء عند أبي داود [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : [**أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك**].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أخبرني أبوسفيان أن هرقل قال له: سألتك ماذا يأمركم ؟ فزعمت أنه أمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة قال : وهذه صفة نبي]. [(٢)]

وقال ميمون بن مهران :ثلاثة يؤدين إلى البر والفاجر ، الأمانة والعهد وصلة الرحم.

ولقد وصف الله المؤمنين بحفظ الأمانة فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ ﴾ [المؤمنون : ٨].

وبيَّن النبي ﷺ أن أداء الأمانة من موجبات الجنة فعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال : [**اضمنوا لي ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدوا إذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم**] . [(٣)]

ولأهمية الأمانة فقد كان النبي ﷺ يودع المسافر ويوصيه بهذه الكلمات [**استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك**]. [(٤)]

ولقد أخبر نبينا ﷺ أن الأمانة هي أول ما يضيع من الدين فعند الطبراني

(١) صحيح أبي داود برقم (٣٥٣٥) والترمذي برقم (١٢٦٤).
(٢) البخاري برقم (٢٦٨١).
(٣) أحمد برقم (٢٢٧٥٧) بتحقيق شعيب الأرنؤوط.
(٤) صحيح الترمذي برقم (٣٤٤٣).

في الكبير(١) **عن شداد بن أوس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **: أن رسول الله** ﷺ **قال : [إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة].**

لذلك نهى الله عَزَّوَجَلَّ عن خيانة الأمانة فقال عز من قائل سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنفال : ٢٧].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: **[لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له]**.(٢)

وقد أخبر ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن خيانة الأمانة من صفات اليهود فقال جلت عظمته في محكم التنزيل: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [آل عمران : ٧٥].

وأخبر نبينا ﷺ أن خيانتها من صفات المنافقين، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عن النبي** ﷺ **قال: [آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان] وفي رواية لمسلم [وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم].** (٣)

ومعنى آية المنافق :أي علامة المنافق.

ومعنى كذب : أي أخبر بخلاف الحقيقة قصدا.

ومعنى اخلف : أي لم يف بوعده.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أن النبي** ﷺ **قال: [أربع من كن فيه كان**

---

(١) الطبراني برقم (٧١٨٢) والصحيحة برقم (١٧٣٩).

(٢) أبويعلى برقم (٢٨٦٥) وصحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٠٠٤).

(٣) البخاري برقم (٣٣) ومسلم برقم (٥٩).

منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر]. [١]

وتأمل أخي المسلم عقوبة الغادرين الخائنين ، كيف يفضحون يوم القيامة على رؤوس الخلائق والأشهاد ، ففي الصحيحين [٢] عن ابن مسعود وابن عمر وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنهم قالوا : قال رسول الله ﷺ : [**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ، يرفع لكل غادر لواء ، فقيل هذه غدرة فلان بن فلان].**

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: [**لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة] .** [٣]

وعند استه: أي خلف ظهره.

وعن عمرو بن الحمق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**أيما رجل أمّن رجلًا على دمه ثم قتله ، فأنا من القاتل بريء ، وإن كان المقتول كافرًا].** [٤]

وكان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من الخيانة كما جاء عند الإمام النسائي[٥] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كان رسول الله ﷺ يقول : [**اللهم إني أعوذ بك من الجوع ، فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة ، فإنها بئست البطانة].**

---

(١) البخاري برقم (٣٤) ومسلم برقم (٥٨).
(٢) البخاري برقم (٣١٨٨) ومسلم برقم (١٧٣٥).
(٣) مسلم برقم (١٧٣٨).
(٤) ابن حبان برقم (٥٩٨٢) الترغيب والترهيب برقم (٣٠٠٧).
(٥) صحيح النسائي برقم (٥٤٨٤).

فيا أمة الإسلام: احذروا من ضياع الأمانة ومن الغدر والخيانة واقبلوا النصيحة من قبل يوم الخجل والفضيحة فإن الواجب على كل مسلم أن يكون أمينًا وأن يتحلى بلباس العفة والأمانة ويتخلى عن الغدر والخيانة.

أدِّ الأمانة والخيانة فاجتنب واعدل ولا تظلم يطيب المكسب

واحذر من المظلوم سهمًا صائبًا واعلم بأن دعاءه لا يحجب

وقال آخر:

إني أرى من لا حياء له ولا أمانة وسط الناس عريانا

إخوة الإيمان: لقد وصف الله الأنبياء بالأمانة وجعلها من أبرز أخلاقهم وصفاتهم، فقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في سورة الشعراء نوحًا وهودًا وصالحًا ولوطًا وشعيبًا وأخبر عن هؤلاء الخمسة أن كل واحد منهم قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الشعراء: ١٠٧].

وهذا نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد وصفه الله بالقوة والأمانة كما قال الله: إخبارًا عن ابنة الرجل الصالح أنها قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٢٦].

وهذا يوسف نبي الله الكريم ينعت بالمكين الأمين،قال الله تعالى إخبارًا عن الملك، أنه قال: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ [يوسف: ٥٤].

وهذا هود نبي الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال الله تعالى عنه أنه قال لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف: ٦٨].

ووصف الله عَزَّوَجَلَّ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالقوة والأمانة فقال سبحانه: ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [التكوير :٢٠ ـ ٢١].

وقال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء :١٩٣ ـ ١٩٤].

وهذا نبينا ﷺ كان يلقب عند قومه قبل البعثة بالصادق الأمين وما ذاك إلا لصدقه وأمانته. بل وجاء في الصحيحين [١] عن علي وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا : قال رسول الله ﷺ : [**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساء**].

وقد ورد أن الأمانة ترفع في آخر الزمان وتظهر الخيانة في أوساط الناس إلا من رحم الله ففي صحيح البخاري [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة ؟ . فمضى رسول الله ﷺ يحدث فقال : بعض القوم سمع ما قال : فكره ما قال . وقال بعضهم: بل لم يسمع حتى إذ قضى حديثه قال:[**أين -أراه-السائل عن الساعة**] . قال : ها أنا يا رسول الله قال:[**فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**]. قال : كيف إضاعتها ؟ قال: [**إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**].

وفي الصحيحين [٣] عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر [**أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السُّنَّة**].

---

(١) البخاري برقم (٤٣٥١) ومسلم برقم (١٠٦٤).
(٢) البخاري برقم (٥٩) .
(٣) البخاري برقم (٧٠٨٦) ومسلم برقم (١٤٣).

وحدثنا عن رفعها قال: [**ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت ، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرًا وليس فيه شيء ، فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة ، فيقال: إن في بني فلان رجلًا أمينًا ، ويقال للرجل ما أعقله ، وما أظرفه ، وما أجلده ، وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**].

ومعنى قوله جذر قلوب الرجال: أي أصلها.

ومعنى قوله والوكت :هو الأثر اليسير.

ومعنى قوله المجل: هو التنفط الذي يصير في اليد من العمل بفأس أونحوها ويصير كالقبة فيه ماء قليل.

ومعنى قوله منتبرًا: أي مرتفعا.

وعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي ﷺ :[**خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**] . قال : عمران لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنه قرنين أوثلاثة قال النبي ﷺ :[**إن بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون ، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن**]. (١)

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: [**قبل الساعة سنون خداعة، يكذب فيها الصادق ، ويُصدق فيها الكاذب ، ويُخون فيها الأمين، ويُؤتمن فيها الخائن ، وينطق فيها الرويبضة**]. (٢)

هذا والله نسأله مزيد الهداية والتوفيق ، والحمد لله رب العالمين

---

(١) البخاري برقم (٢٦٥١) ومسلم برقم (٢٥٣٥).
(٢) أحمد برقم (٨٤٥٩) تحقيق شعيب.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه ، والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ﷺ ، وسلم تسليماً كثيرًا وعلى آله وأصحابه.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله: واعلموا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سائلكم يوم القيامة عن هذه الأمانة حفظتم أم ضيعتم

فقد روى الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما [(١)] عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الإمام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله وهومسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته**].

كل هذه الأمور المذكورة في هذا الحديث المبارك من الأمانة.

والحكم بما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ من الأمانة ففي البخاري [(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال : متى الساعة ؟ . فمضى رسول الله ﷺ يحدث فقال : بعض القوم سمع ما قال: فكره ما قال : . وقال بعضهم بل لم يسمع . حتى إذ قضى حديثه قال: [**أين – أراه – السائل عن الساعة**] . قال : ها أنا يا رسول الله قال: [**فإذا**

(١) البخاري برقم (٢٥٥٤) ومسلم برقم (١٨٢٩).
(٢) البخاري برقم (٥٩) .

ضيعت الأمانة فانتظر الساعة] . قال: كيف إضاعتها ؟ قال: [**إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة]**.

وأمانة الحكم تقتضي إسناد المناصب إلى الأمناء الأقوياء والأكفاء المخلصين في أعمالهم وأما غيرهم فضياع للأمانة وهلاك للأمة وهذا هو ما خافه رسول الله ﷺ على أمته فعند الطبراني في الكبير [(١)] عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي ﷺ قال : [**أخاف عليكم ستًا إمارة السفهاء وسفك الدماء وبيع الحكم وقطيعة الرحم ونشوًا يتخذون القرآن مزامير وكثرة الشرط**]. ومعنى نشوًا: أي شبابًا.

وأموال الدولة أمانة في يد الحاكم فالواجب عليه أن يضعها في مواضعها وأن ينفقها فيما ينفع الجماعة والفرد.

وتأملوا معاشر الناس إلى عدل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد جاء في صحيح مسلم[(٢)] عن أبي عثمان قال: كتب إلينا عمر ونحن بأذربيجان يا عتبة بن فرقد إنه ليس من كدك ولا من كد أبيك ولا من كد أمك فأشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك وإياكم والتنعم وزي أهل الشرك ولبوس الحرير فإن رسول الله ﷺ نهى عن لبوس الحرير قال: إلا هكذا ورفع لنا رسول الله ﷺ إصبعيه الوسطى والسبابة وضمهما].

فيجب علينا يا عباد الله أن نؤدي الأمانة وأن نقوم بها حق القيام ولهذا جاء في مسلم أيضًا [(٣)] عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت يا رسول الله : ألا تستعملني ؟ قال : فضرب بيده على منكبي ثم قال: [**يا أبا ذر إنك ضعيف**

---

(١) الطبراني في الكبير برقم (١٠٥) .
(٢) مسلم برقم (٢٠٦٩) .
(٣) مسلم برقم (١٨٢٥) .

وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها] .

ومعنى قوله: [**إنك ضعيف وإنها أمانة**] : هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلًا لها أوكان أهلًا ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط ، وأما من كان أهلًا للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة.

ومن الأمانة أيضًا تربية الأبناء، فالأبناء أمانة في أعناق الآباء والأمهات وهم مسئولون عنهم يوم القيامة فقد ثبت عند ابن حبان [1] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: [**إن الله سائل كل راع عن ما استرعاه حفظ ذلك أم ضيع ، حتى يُسأل الرجل عن أهل بيته**].

فاتقوا الله أيها الآباء والأمهات في فلذات أكبادكم يجب عليكم أن تحسنوا رعايتهم وتربيتهم وتنشئتهم تنشئة سليمة يربون على الفضيلة ومكارم الأخلاق حتى ينفعوا أنفسهم وأمتهم.

ومن الأمانة أيضًا حفظ الأسرار التي بين الرجل وامرأته فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: [**ألا عسى أحدكم أن يخلوبأهله يغلق بابًا ثم يرخي سترًا ثم يقضي حاجته ثم إذا خرج حدث أصحابه بذلك ألا عسى إحداكن أن تغلق بابها وترخي سترها فإذا قضت حاجتها حدثت صواحبها**] ، فقالت امرأة سفعاء الخدين: والله يا رسول الله إنهن ليفعلن وإنهم ليفعلون قال : [**فلا تفعلوا فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة**

(١) ابن حبان برقم (٤٤٩٢) والصحيحة برقم (١٦٣٦).

على قارعة الطريق فقضى حاجته منها ثم انصرف وتركها]. [١]

والأسرار التي بين الرجل وإخوانه أمانة فقد ثبت عند الترمذي [٢] عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي ﷺ قال: **[إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة].**

لأن التفاته دليل على أنه لا يحب أن يسمعه أحد فمن أفشاه فقد ضيع الأمانة.

ومن الأمانة أيضًا المرأة فالمرأة أمانة عند الرجل يجب عليه أن يرحمها وأن يحسن إليها ويعاشرها بالمعروف ففي صحيح مسلم [٣] عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : **[...فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ...].**

ومن الأمانة أيضًا الأذان وذلك أنه يجب على المؤذن أن يتحرى دخول الوقت، وأن لا يخون الناس في أذانه ففي سُنن الترمذي [٤] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : **[الإمام ضامن ، والمؤذن مؤتمن ، اللهم أرشد الأئمة، واغفر للمؤذنين].**

ومن الأمانة أيضًا المشورة فالمستشار مؤتمن لما صح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ :**[المستشار مُؤتمن].** [٥]

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : **[من أفتي بغير علم كان إثمه على من أفتاه ، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره**

---

(١) الطبراني برقم (٤١٤) وصحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٠٢٣).
(٢) صحيح الترمذي برقم (١٩٥٩).
(٣) مسلم برقم (١٢١٨).
(٤) صحيح الترمذي برقم (٢٠٧).
(٥) صحيح أبي داود برقم (٥١٢٨).

فقد خانه]. [١]

وتكون الأمانة في البيع والشراء والإجارة والاستئجار فلا يجوز للبائع أن يخون المشتري أويكتم العيب وغير ذلك مما لا يجوز فعله فإن غش أوأخفى عيبًا فقد وقع في الخيانة.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لأداء الأمانة ، وإبراء الذمة ، وأن يعيننا على أدائها ، إنه جواد كريم ، بر رحيم .



(١) صحيح أبي داود برقم (٣٦٥٧).

٩ الهلاك وأسبابه

الخُطبَةُ الأُولَى[1]:

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إلَهَ إلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ

أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الأعراف :٩٦ ـ ١٠٠].

ومعنى قوله ﴿ بَأْسُنَا ﴾ : أي عذابنا ونكالنا.

ومعنى ﴿ بَيَٰتًا ﴾ أي ليلًا.

وهذا تهديد من الله عَزَّوَجَلَّ لأهل القرى بأن يأتيهم عذابه في حال النوم أو ضُحى في حال اللعب.

وهكذا الله عَزَّوَجَلَّ يهدد العصاة والمجرمين بالخسف في الأرض أوبإنزال العذاب عليهم من حيث لا يشعرون كما قال تبارك وتعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾[النحل :٤٥ ـ ٤٧].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[الأنعام : ٦٥].

والله عَزَّوَجَلَّ قد أهلك كثيرًا من القرى من الأمم السابقة بسبب معاصيهم وتكذيبهم للرسل قال تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾[الحج : ٤٥].

فهذه ثلاثة أشياء:

الأولى: ﴿ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ . أي على سقوفها بمعنى خربت منازلها وتعطلت حواضرها.

والثانية: ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾ أي لا يستقى منها ولا يرد أحد عليها بعد كثرة وارديها.

والثالثة: ﴿ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ أي حصين منيع مرتفع.

وقال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الإسراء : ١٧].

وكم: هنا تفيد التكثير ، أي أهلك الله كثيرًا من الأمم.

وقال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الأعراف : ٤].

وقال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًاۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [القصص : ٥٨].

وقال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾ ﴾ [مريم : ٩٨].

وأصل الهلاك في اللغة الموت كما قال الله تعالى: ﴿ ... إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ ... ﴾ [النساء : ١٧٦].

وقال تعالى عن الكفار أنهم قالوا: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الجاثية : ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا

جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [غافر: ٣٤].

والمراد بالهلاك هو ما ينزله الله بأعدائه من العذاب المستأصل كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأنعام: ٦].

وقد ورد الهلاك في القرآن الكريم بألفاظ وأساليب متنوعة وهذا من بلاغة القرآن الكريم:

فيأتي الهلاك بمعنى التدمير كما قال تعالى: ﴿فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا ﴿٣٦﴾﴾ [الفرقان: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿۞أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴿١٠﴾﴾ [محمد: ١٠].

ويأتي بمعنى التتبير مأخوذ من التبار وهو الهلاك قال تعالى: ﴿وَكُلّٗا ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَۖ وَكُلّٗا تَبَّرۡنَا تَتۡبِيرٗا ﴿٣٩﴾﴾ [الفرقان: ٣٩].

ويأتي بمعنى التعذيب كما في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨﴾﴾ [الطلاق: ٨].

ويأتي بمعنى الدمدمة كما في قوله تعالى: ﴿فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾ [الشمس: ١٤].

ويأتي بمعنى القصم كما في قوله تعالى: ﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنبياء: ١١].

وأصل القصم التحطيم والهشم وهو عبارة عن الهلاك.

ويأتي بمعنى الانتقام ومنه قوله تعالى : ﴿ ... فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم : ٤٧].

ويأتي بمعنى الذهاب ومنه قوله تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [فاطر : ١٦].

أيها المسلمون: أما آن لنا أن نتعظ ونعتبر بما قصه الله علينا عن الأمم الخالية والقرون الماضية وما حل بهم من النقم فأين القلوب التي بها نعقل وأين الآذان التي بها نسمع قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج : ٤٦].

ولكن للأسف الشديد ربما أصبح بعض الناس لا تؤثر فيه موعظة ولا ذكرى لا ينتفع بسمعه ولا ببصره ولا بقلبه كما جرى لعاد ـ قوم هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأحقاف : ٢٧] .

وأعظم سبب لهلاك الأمة ودمارها الذنوب والمعاصي ، فالذنوب والمعاصي سبب لنزول البلايا والرزايا ، والمحن والفتن ، والكوارث والأمراض ، والعقوبات والمصيبات.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتحدث عن آثار المعاصي: اقشعرت الأرض وأظلمت السماء وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة

وذهبت البركات ، وقلت الخيرات ، وهزلت الوحوش ، وتكدرت الحياة من فسق الظلمة ، وبكى ضوء النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة ، وشكا الكرام الكاتبون والمعقبات إلى ربهم من كثرة الفواحش ، وغلبة المنكرات والقبائح ، وهذا والله منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه ، ومؤذن بليل بلاء قد ادلهم ظلامه ، فاعتزلوا عن طريق هذا السبيل بتوبة نصوح ما دامت التوبة ممكنة ، وبابها مفتوح ، وكأنكم بالباب وقد أغلق ، وبالرهن وقد غلق ، وبالجناح وقد علق وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. [(١)]

وأعظم تلك الذنوب وأكبرها عند الله الشرك بالله كما في الصحيحين[(٢)] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال : سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟، قال: [**أن تجعل لله ندا وهو خلقك**] . قلت إن ذلك لعظيم قلت ثم أي؟، قال: [**وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك**] . قلت: ثم أي ؟، قال: [**أن تزاني حليلة جارك**].

وقد أنزل الله بأسه وبطشه على القوم الكافرين بسبب وقوعهم في الشرك بالله تعالى قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأنعام : ٦].

وقال تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٤].

(١) فوائد الفوائد ص (٤٤١).
(٢) البخاري برقم (٤٤٧٧) ومسلم برقم (٨٦).

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٠٠].

وفي الصحيحين [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: [**اجتنبوا السبع الموبقات**] . قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال: [**الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**].

ومعنى الموبقات: أي المهلكات.

كما أن كثرة الوقوع في الفسق والمجون والعهر والفجور من أعظم أسباب دمار الأمة وعذابها ففي الصحيحين [(٢)] عن زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: [**نعم،إذا كثر الخبث**].

وقال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : [إنكم لتعملون أعمالًا هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنا لنعدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات] رواه البخاري[(٣)]

يا عباد الله :

إن المعاصي سبب لحرمان الرزق وسبب لحصول الخسف والزلازل والأمراض وغلاء الأسعار وتأخر نزول الأمطار وما أجمل تلك الكلمات التي قالها ابن عطاء الله رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: قال: من أنفق عافيته وصحته في معصية الله فمثاله كمن خلف له أبوه ألف دينار ، فاشترى بها حيات

---

(١) البخاري برقم (٢٧٦٦) ومسلم برقم (٨٩).
(٢) البخاري برقم (٣٣٤٦) ومسلم برقم (٢٨٨٠).
(٣) البخاري برقم (٦٤٩٢).

وعقارب ، وجعلها من حوله تلدغه هذه مرة ، وتلسعه هذه أخرى ، أفما تقتله.

وقال أيضًا: إياك والمعصية ، فقد تكون سببًا لتوقف الرزق.

ورحم الله من قال:

إذا لم تصن عرضًا ولم تخض خالقًا   وتستح مخلوقًا فما شئت فاصنع

اللهم إنا نسألك الخيرات وملازمة الطاعات ، وترك المنكرات وهجر السيئات ، وأن تغفر لنا الخطاء والزلات ، وأن ترحمنا برحمتك الواسعة يا رب الأرض والسماوات ، والحمد لله رب العالمين .



الخطبة الثانية :

الحمد لله معز من أطاعه واتقاه ومذل من أضاع أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله وعظموا أمره وأمر رسوله ﷺ واجتنبوا ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ واعلموا أنه ليس من شر في العالم إلا وسببه الذنوب والمعاصي ولا خير في العالم إلا وسببه طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ لذلك يقول الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت : ٤٠].

إخوة الإيمان والإسلام: احمدوا الله عَزَّوَجَلَّ الذي منَّ عليكم بهذا الدين العظيم ، وهداكم إليه وجنبكم الكفر فإن الكفر بالله عَزَّوَجَلَّ من أعظم أسباب الهلاك كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الرعد : ٣٢].

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [غافر :٨٤ـ ٨٥].

وإن من أعظم أسباب الهلاك أيضًا الظلم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف : ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾[إبراهيم: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود : ١٠٢].

وفي الصحيحين [(١)] عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : [**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**] قال : ثم قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾.

ومن أسباب الهلاك أيضًا: الاستكبار عن الحق قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المؤمنون :٤٥ ـ ٤٨].

ومن أسباب الهلاك أيضًا: الاستهزاء بالرسل وبما جاءوا به من الدين العظيم كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾[الزخرف :٦ ـ ٨].

ومن أسباب الهلاك أيضًا: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ

---

(١) البخاري برقم (٤٦٨٦) ومسلم برقم (٢٥٨٣).

يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الأعراف:١٦٤ ـ ١٦٦].

وقال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود :١١٦ ـ ١١٧].

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عن النبي ﷺ قال: [**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لوأنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ، ونجوا جميعًا**]. (١)

ومن أسباب الهلاك أيضًا: الكفر بالنعم كما قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَـٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [القصص :٥٨].

ومعنى ﴿ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ ﴾ **أي طغوا في نعمة الله فأهلكهم الله تعالى بالعذاب في الدنيا.**

وقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ

---

(١) البخاري برقم (٢٤٩٣).

وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [النحل :١١٢ـ١١٣].

ومن أسباب الهلاك أيضًا: ما ثبت عند الطبراني [(١)] وغيره عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: [**ثلاث مهلكات: شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه من الخيلاء ، وثلاث منجيات : العدل في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفاقة ، ومخافة الله في السر والعلانية**].

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : [(٢)] وأما الثلاث المهلكات فأولها هوىً متبع قال الله تعالى: ﴿ ... وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ... ﴾ [القصص : ٥٠] ، فإن الهوى يهوي بصاحبه إلى أسفل الدركات وبالهوى تندفع النفوس إلى الشهوات الضارة المهلكات.

وأما الشح المطاع فقد أحضرت النفوس شحها قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن : ١٦].

ومن انقاد لشحه فأولئك هم الخاسرون ، فإن الشح يحمل على البخل ومنع الحقوق ، ويدعوإلى الضرر والقطيعة والعقوق أمر الشح أهله بالقطيعة فقطعوا ، ودعاهم إلى منع الحقوق الواجبة فامتثلوا ، وأغراهم بالمعاملات السيئة من البخس والغش والربا ففعلوا ، فهو يدعوإلى كل خُلق رذيل ، وينهى عن كل خلق جميل.

وأما إعجاب المرء بنفسه ، فإنه من أعظم المهلكات وفظائع الأمور ، فإن العجب باب إلى الكبر والزهو والغرور ووسيلة إلى الفخر والخيلاء

---

(١) الطبراني في الأوسط برقم (٥٤٥٢) والصحيحة برقم (١٨٠٢).
(٢) الفواكه الشهية في الخطب المنبرية ص (١٤١).

واحتقار الخلق ، الذي هو من أعظم الشرور ، فهذه الثلاث الهوى المتبع والشح المطاع والإعجاب بالنفس من جمعها فهو من الهالكين ، ومن اتصف بها فقد باء بغضب من الله واستحق العذاب المهين ، فطوبى لمن كان هواه تبعًا لمراضي الله ، وطوبى لمن وقي شح نفسه فكان من المفلحين وعرف نفسه حقيقتها فتواضع للخلق ، وخفض جناحه للمؤمنين.

اللهم اغفر زلاتنا ، وأقل عثراتنا ، وجُد علينا بالعفووالمغفرة ، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين ، دمرهم تدميرًا ، والعنهم لعنًا كبيرًا، اللهم لا ترفع لهم في الأرض راية ، واجعلهم لسائر خلقك عبرة وآية.

اللهم هذا الدعاء ومنك الإجابة ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وأصحابه ، وسلم تسليمًا مزيدًا إلى يوم الدين.



١٠ الفلاح أسبابه وموانعه

الخُطْبَةُ الأُوْلَى:

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُور مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَة بدْعَةٌ، وَكُلَّ بدْعَة ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ في النَّار .أيها المسلمون: موضوع حديثنا في هذه الجمعة المباركة سيكون بمشيئة الله بعنوان (**الفلاح أسبابه وموانعه**) .

وأصل الفلاح في اللغة: القطع والشَّق ومنه سمي الزارع فلاحًا لأنه

يشق الأرض ومنه قول الشاعر:

قد علِمتْ خيلُكَ أني الصحصح وأن الحديد بالحديد يُفلح

أي يشق. فهم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة أوأن المفلح قد قطع المصاعب حتى فاز بالمطلوب ونجا من المرهوب قال تعالى: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران١٨٥] .

وقد يطلق الفلاح على السحور ومنه حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح؟قال:قلت : وما الفلاح؟قال:السحور]. [١]

والمؤذن ينادي في كل يوم وليلة خمس مرات حي على الصلاة حي على الفلاح لأن بالصلاة الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب.

والمراد بالفلاح كما قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: هو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب. [٢]

وقد جعل الله لكل شيء سببًا ولا يتأتى الفلاح إلا بأسبابه وأسباب الفلاح كثيرة منها:

١ – الإيمان بالله : قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ

(١) صحيح أبي داود برقم (١٣٧٥).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٩).

هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: هذا تنويه من الله، بذكر عباده المؤمنين، وذكر فلاحهم وسعادتهم، وبأي: شيء وصلوا إلى ذلك، وفي ضمن ذلك، الحث على الاتصاف بصفاتهم، والترغيب فيها. فليزن العبد نفسه وغيره على هذه الآيات، يعرف بذلك ما معه وما مع غيره من الإيمان، زيادة ونقصًا، كثرة وقلة، فقوله ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾ أي: قد فازوا وسعدوا ونجحوا، وأدركوا كل ما يروم المؤمنون الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين الذين من صفاتهم الكاملة أنهم ﴿ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾.(١)

٢- ومن أسباب الفلاح التوبة والعمل الصالح : قال تعالى :﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[القصص٦٧] .

قال ابن كثير(٢) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ أي: في الدنيا، ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ أي: يوم القيامة، و«عسى» من الله موجبة، فإن هذا واقع بفضل الله ومنّته لا محالة.

وقد أخبر الله تعالى أن التوبة من أسباب الفلاح قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[النور٣١] .

٣- ومن أسباب الفلاح ذكر الله تعالى كثيرًا : قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الجمعة١٠] .

فذكر الله تعالى يسبب الفلاح والنجاح وينجي من العذاب ففي سُنَن

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣/ ٣٨٨).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٣).

ابن ماجه [(١)] عن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ : قال: [**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأرضاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم** ؟] ، قالوا : وما ذاك ؟ يا رسول الله: قال: [**ذكر الله**] .

وقال معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ما عمل امرؤ بعمل أنجي له من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ من ذكر الله .

٤- ومن أسباب الفلاح تزكية النفوس: قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾[الشمس٩ـ١٠].

وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ ﴾[الأعلى:١٤-١٥].

٥- ومن أسباب الفلاح وقاية شح الأنفس : قال تبارك وتعالى : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾[الحشر: ٩].

وعند الطبري [(٢)] عن أبي الهياج الأسدي قال: كنت أطوف بالبيت، فرأيت رجلًا يقول: اللهم قني شح نفسي، لا يزيد على ذلك، فقلت له، فقال : إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق، ولم أزن، ولم أفعل شيئًا وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ .

٦- ومن أسباب الفلاح الإيمان بالغيب وإقام الصلاة والإنفاق في سبيل الله والإيمان بالكتب السماوية والإيمان باليوم الآخر كل هذه من أسباب الفلاح : قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٣٧٩٠).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٣٠) وسنده صحيح .

إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾[البقرة : ١ ـ ٥].

٧- ومن أسباب الفلاح: التقوى قال تبارك وتعالى:﴿ ... وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [البقرة : ١٨٩].

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾[آل عمران : ١٣٠].

وقال تعالى : ﴿ قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[المائدة : ١٠٠].

٨- ومن أسباب الفلاح : الجهاد في سبيل الله قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة : ٣٥].

وقال تعالى : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[التوبة: ٨٨].

٩- ومن أسباب الفلاح :ترك شرب الخمر قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[المائدة : ٩٠].

١٠- ومن أسباب الفلاح فعل الخير : قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[لحج : ٧٧].

١١-ومن أسباب الفلاح: طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ : قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [النور : ٥١] .

١٢-ومن أسباب الفلاح: إتباع الرسول ﷺ : قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف : ١٥٧].

١٣- ومن أسباب الفلاح: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤].

١٤- ومن أسباب الفلاح: البراءة من الكفار : قال تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[المجادلة : ٢٢].

١٥- ومن أسباب الفلاح : الإحسان إلى الأقرباء وإعطاؤهم حقوقهم: قال تعالى : ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[الروم : ٣٨].

١٦-ومن أسباب الفلاح: إخراج الزكاة ، قال تعالى :﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [لقمان : ١ ـ ٥].

١٧-ومن أسباب الفلاح : الهداية إلى الإسلام، ففي صحيح مسلم [(١)] عن عبد الله بن عمروبن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال : [**قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما آتاه**].

وعن فضالة بن عبيد الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: [**أفلح من هدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافًا، وقنع به**]. [(٢)]

١٨-ومن أسباب الفلاح: الصدق ، ففي الصحيحين[(٣)] عن طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : [**خمس صلوات في اليوم والليلة**] فقال: هل علي غيرها، قال : [**لا إلا أن تطوع**] قال رسول الله ﷺ : [**وصيام رمضان**] قال : هل علي غيره قال: [**لا إلَّا أن تطوع**] قال : وذكر له رسول الله ﷺ [**الزكاة**] قال: هل علي غيرها قال: [**لا إلَّا أن تطوع**] قال: فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله ﷺ : [**أفلح إن صدق**].

---

(١) مسلم برقم (١٠٥٤).
(٢) الحاكم (٤/ ١٢٢) والصحيحة برقم (١٥٠٦).
(٣) البخاري برقم (٤٦) ومسلم برقم (١١).

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد :

فإن الإنسان لا ينال الفلاح إلا إذا حقق هذه الأسباب التي سمعتم ذكرها فحري بكم يا عباد الله أن يكون لكم نصيب من هذا الخير العميم لتنالوا الثواب الجزيل والعطاء الوفير نسأل الله ذلك من فضله.

معاشر المسلمين: كما أن الفلاح له أسباب فهناك أيضًا موانع وعقبات وعوائق تحول بين الإنسان وبين نيل هذا الفوز والفلاح فعلى المسلم إذا أراد أن ينال ذلك أن يعرف هذه العوائق وهذا الحواجز ليتنبه لها.

قد هيؤوك لأمر لوفطنت له فربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

ومن تلك الموانع:

١- الظلم : قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [الأنعام : ١٣٥].

فكن أخي المسلم حذرًا من الظلم ، وأعظم الظلم الشرك بالله ، كما قال تعالى عن لقمان : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان : ١٣].

٢- ومن موانع الفلاح السحر ، قال تعالى :﴿ ... وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾ [يونس: ٧٧] .

وقال تعالى :﴿ ... وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه : ٦٩].

٣- ومن موانع الفلاح الكفر ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون : ١١٧].

وقال تعالى :﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[القصص : ٨٢].

٤- ومن موانع الفلاح الافتراء على الله ، قال تعالى :﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[يونس : ٦٩].

وقال تعالى :﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [النحل : ١١٦].

٥- ومن موانع الفلاح الإجرام ، قال تعالى :﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [يونس : ١٧].

فيا أيها المسلمون عليكم بالإكثار من الطاعة والأعمال الصالحة ، فإنها سبب للفلاح وتثقيل الموازين يوم القيامة ، قال تعالى :﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الأعراف : ٨ - ٩].

وقال تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[المؤمنون: ١٠٢ ـ ١٠٣].

تمسك بحبل الله واتبع الهدى	**ولاتــك بدعيـًا لعلك تفلــح**
ودن بكتاب الله والسُنَن التي	**أتت عن رسول الله تنجووتربح**

نسأل الله العلي الأعلى أن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، وأن يجعلنا قادة صالحين مصلحين.

اللهم أنر قلوبنا بالعلم والإيمان والسُّنَّة والقرآن، اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين، وجندك الفائزين، وحزبك المفلحين.

وصلى الله على نبيا الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين.





سؤال الله للعباد يوم القيامة

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

فيا أيها المسلمون: إن الله عَزَّوَجَلَّ لم يخلق الخلق عبثًا كما قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون :١١٥ـ١١٦].

ولم يتركهم هملًا كما قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾ [القيامة :٣٦ـ٣٨].

ولــوأنــا إذا مــتــنــا تركنا لــكــان المــوت راحــة كــل حي

ولــكــنــا إذا مــتــنــا بعثنا ونــســأل بــعــده عــن كــل شيء

فالله خلق الخلق وهو الذي يميتهم ويحاسبهم على أعمالهم ويجازيهم بها كما قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة :٧ـ٨].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران : ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف :٤٧ـ٤٩].

وموضوع حديثنا في هذه الجمعة المباركة سيكون بإذن الله تعالى عن **(سؤال الله لعباده يوم القيامة)** فأحضروا قلوبكم وتدبروا لما سيلقى عليكم، فإن هذا الموضوع من الأهمية بمكان ، قال تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأعراف : ٦].

فالله يخبر في هذه الآية الكريمة أنه سيسأل الأمم ، ويسأل الأنبياء

والمرسلين يوم القيامة ، قال : بعض العلماء يسأل الله العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة : عما كانوا يعبدون ، وعما ذا أجابوا المرسلين .

أما الرسل فلقوله تعالى: ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [المائدة : ١٠٩].

وهكذا يسأل الصادقين المبلغين عن الرسل كما قال تعالى:﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾ [الأحزاب : ٨].

قال مجاهد: في قوله ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ ﴾ المبلغين المؤدين عن الرسل.

ويسأل الأمم عن أعمالهم وأقوالهم يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر :٩٢ـ ٩٣].

وقال تعالى:﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [النحل : ٩٣].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[القصص :٦٥ ـ ٦٧].

قال أبوالعالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلمتان يُسأل عنهما الأولون والآخرون ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين.[١]

قال تعالى:﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الصافات :٢٤ـ ٢٦]. ومعنى ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ ﴾ أي احبسوهم.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٤١).

ويسأل الله العباد يوم القيامة عن العهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين الله، والتي كانت بينهم وبين الخلق كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحزاب : ١٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء : ٣٤].

ويسألهم عن جميع أقوالهم وأسماعهم وأبصارهم وقلوبهم قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء : ٣٦].

قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تقل رأيت ولم تر ، وسمعت ولم تسمع ، وعلمت ولم تعلم ، فإن الله سائلك عن ذلك كله. [١]

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ :إن الله عَزَّوَجَلَّ سائل كل عبد عما استودعه من نعمه وحقه[٢]

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فإذا كان العبد مسئولًا ومحاسبًا على كل شيء حتى على سمعه وبصره وقلبه ، كما قال تعالى : ﴿ .. إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦] فهو حقيق أن يحاسب نفسه قبل أن يناقش الحساب. [٣]

وصح عند الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ [٤] عن أبي هريرة وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: قال رسول الله ﷺ : [**يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله له: ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا ومالًا وولدًا ، وسخرت لك الأنعام والحرث،**

(١) أخرجه عبد الرازق بسند صحيح وهو في تفسير ابن كثير (٥/ ٧٤) ، تحقيق:حكمت ياسين –وفقه الله– .
(٢) تفسير القاسمي (٧/ ١٠٢).
(٣) إغاثة اللهفان (١ / ١٣٨).
(٤) صحيح الترمذي برقم (٢٤٢٨).

وتركتك ترأس وتربع فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا ؟،قال : فيقول: لا فيقول: له اليوم أنساك كما نسيتني].

وفي صحيح مسلم [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ ، قال: [هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة ؟] ، قالوا: لا ، قال: [فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة ؟] قالوا : لا ، قال: [فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ، قال : فيلقى العبد فيقول: أي فل – أي يا فلان –ألم أكرمك وأسودك– أي أجعلك سيدًا على غيرك– وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس– أي تكون رئيس القوم وكبيرهم – وتربع؟ – ، أي تأخذ المرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة وهوربعها – فيقول:بلى قال : فيقول:أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا ، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول:أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ؟ ، فيقول: بلى أي رب ، فيقول:أفظننت أنك ملاقي ؟ ، فيقول: لا ، فيقول:فإني أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثالث فيقول:له مثل ذلك فيقول:يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول:ههنا إذا قال : ثم يقال له الآن نبعث شاهدنا عليك ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي ؟، فيختم على فِيْهِ ، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه].

عباد الله: هذا موقف عظيم ما أعظمه وما أشده وجوارحه تشهد

---

(١) مسلم برقم (٢٩٦٨).

عليه بما عمل ، وصدق الله القائل في كتابه الكريم: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [فصلت :١٩ ـ ٢٤].

ويسأل الله العباد يوم القيامة عن الخصومات التي كانت بينهم في الدنيا كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾[الزمر: ٣١].

وفي مُسند الإمام أحمد [١] عن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزلت ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ قال : الزبير أي رسول الله مع خصومتنا في الدنيا قال: [نعم] ، ولما نزلت ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ قال : الزبير: أي رسول الله أي نعيم نسأل عنه وإنما يعنى هما الأسودان التمر والماء ، قال: [أما إن ذلك سيكون].

وعن الزبير بن العوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال أيضاً لما نزلت : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ ، قال الزبير : يا رسول الله أتكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا ؟، **قال: نعم** ، فقال: إن الأمر إذا لشديد [٢] .

ويسأل الله المشركين عن شركهم والكافرين عن كفرهم يوم القيامة كما

---

(١) أحمد برقم (١٤٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٢٣٦) وحسنه العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ كما في الجامع الصحيح (٦/ ١١٥) .

قال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النحل : ٥٦].

ويسأل الله العباد عن أعمالهم وشبابهم وأموالهم وعلمهم ، كما ثبت عن أبي برزة الأسلمي وغيره رضي الله عنهم قال : قال رسول الله ﷺ : [**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلا**]. (١)

عباد الله: ها نحن نرى الأيام تمر والأعوام تنقضي والأعمار تطوى ، ورصيد أحدنا من الحسنات قليل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصدق من قال :

قد مضى العمر وفات ... يا أسير الغفلات
حصل الزاد وبادر ... مسرعًا قبل الفوات
فإلى كم ذا التعامي ... عن أمور واضحات
وإلى كم أنت غارق ... في بحار الشهوات
لم يلن قلبك أصلاً ... بالزواجر والعظات
بينما الإنسان يسأل ... عن أخيه قيل مات
وتراه حملوه ... سرعة للفلوات
أهله يبكوا عليه ... حسرة بالعبرات
أين من قد كان ... يفخر بالجياد الصافنات

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٤١٧).

ولـــه مـــال جـزيـــل	كـــالجـبـــال الـــراسـيـــات
ســـار عـنـهـا رغـــم أنـف	لـــلـقـبـــور المـــوحـشـــات
فـــاغــنـم الـعـمـر وبـــادر	بـــالــتــقــى قــبــل المــمات
وأنـــب وارجــــع وأقـــلـع	عـــن عــظــيـم الــسـيـئـات
واطـلـــب الـغــفــران ممن	تـــرتجـــى مـــنـــه الهـــبـــات
ثـــم نـــاد في الـــديــاجـي	يـــا مجـيـــب الـــدعـــوات
اعــــف عـنـــا يـــا رحـيـــماً	وأقـــلـــنـــا الـــعـــثـــرات

أقول ما سمعتم ، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون: إن الله تبارك وتعالى يسأل العباد يوم القيامة عن جميع أعمالهم ويجازيهم على الفتيل والنقير والقطمير وسؤال الله للناس، كما يقول الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

والباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يسأل الخلق في الدنيا والآخرة تقريرًا لإقامة الحجة وإظهارًا للحكمة. (١)

وإن مما يسأل العباد عنه يوم القيامة النعيم الذي تمتعوا به كما قال : سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [التكاثر : ٨].

والنعم كثيرة كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم : ٣٤].

فالمآكل والمشارب والمساكن من النعيم ولذة النوم واعتدال الخلق وصحة الأبدان والأسماع والأبصار من النعيم حتى إن الإنسان لوشبع يومًا سوف يُسأل عن ذلك الشبع كما جاء في صحيح مسلم (٢) عن أبي

---

(١) التذكرة (١/ ٣٠٨) للقرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٢) مسلم برقم (٢٠٣٨).

هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أوليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال :[**ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟**] قالا : الجوع يا رسول الله قال: [**وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما قوموا**]، فقاموا معه فأتى رجلًا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبًا وأهلًا فقال : لها رسول الله ﷺ : [**أين فلان ؟**] قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال : الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافًا مني قال : فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال : كلوا من هذه وأخذ المدية فقال له رسول الله ﷺ : [**إياك والحلوب**] فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: [**والذي نفسي بيده ، لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم**].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : خرج النبي ﷺ في ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها أحد فأتاه أبو بكر فقال : ما جاء بك يا أبا بكر ؟ فقال : خرجت ألقى رسول الله ﷺ وأنظر في وجهه والتسليم عليه فلم يلبث أن جاء عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال : ما جاء بك يا عمر ؟ قال : الجوع يا رسول الله ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : وأنا قد وجدت بعض ذلك فانطلقوا إلى منزل أبي الهيثم ابن التيهان الأنصاري وكان رجلًا كثير النخل والشاء ولم يكن له خدم فلم يجدوه فقالوا: لامرأته أين صاحبك فقالت انطلق يستعذب لنا الماء فلم يلبثوا أن جاء أبوالهيثم بقربة يزعبها فوضعها ثم جاء يلتزم النبي ﷺ ويفديه بأبيه وأمه ثم انطلق بهم إلى حديقته فبسط لهم بساطًا ثم انطلق إلى نخلة فجاء بقنوفوضعه فقال النبي ﷺ :أفلا تنقيت لنا من

رطبه؟ فقال : يا رسول الله إني أردت أن تختاروا أوقال تخيروا من رطبه وبسره فأكلوا وشربوا من ذلك الماء فقال رسول الله ﷺ : هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسئلون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب طيب وماء بارد فانطلق أبوالهيثم ليصنع لهم طعامًا فقال النبي ﷺ :لا تذبحن ذات در قال: فذبح لهم عناقًا أوجديًا فأتاهم بها فأكلوا فقال النبي ﷺ : هل لك خادم ؟ ، قال : لا قال : فإذا أتانا سبي فائتنا فأتي النبي ﷺ برأسين ليس معهما ثالث فأتاه أبوالهيثم فقال النبي ﷺ :اختر منهما فقال : يا نبي الله اختر لي فقال النبي ﷺ :إن المستشار مؤتمن خذ هذا فإني رأيته يصلي واستوص به معروفًا فانطلق أبوالهيثم إلى امرأته فأخبرها بقول رسول الله ﷺ فقالت امرأته : ما أنت ببالغ ما قال فيه النبي ﷺ إلا أن تعتقه ، قال: فهو عتيق؟، فقال النبي ﷺ : إن الله لم يبعث نبيًا ولا خليفة إلا وله بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر ، وبطانة لا تألوه خبالًا ، ومن يوق بطانة السوء فقد وقى]. (١)

وعند الإمام أحمد (٢) عن أبي عسيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : خرج رسول الله ﷺ ليلًا فمر بي فدعاني فخرجت إليه ثم مر بأبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فدعاه فخرج إليه ثم مر بعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فدعاه فخرج إليه فانطلق حتى دخل حائطًا لبعض الأنصار، فقال : لصاحب الحائط : أطعمنا ،فجاء بعذق فوضعه فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه، ثم دعا بماء بارد فشرب ،فقال :[**لتسألن عن هذا يوم القيامة**] ، قال : فأخذ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ العذق فضرب به الأرض حتى تناثر البسر قبل رسول الله ﷺ ، ثم قال: يا رسول الله إنا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة ؟، قال: [**نعم إلا من ثلاث : خرقة كف بها عورته**

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٣٦٩).
(٢) أحمد برقم (٢٠٧٦٨) وصحيح الترغيب برقم (٣٢٢١).

،أوكسرة سد بها جوعته، أوجحرًا يدخل فيه من الحر والقر].

وعند الترمذي [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول : قال رسول الله ﷺ : **[إن أول ما يسئل عنه يوم القيامة العبد من النعيم أن يقال له : ألم نصح لك جسمك ، ونروك من الماء البارد].**

وفي صحيح البخاري [(٢)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي ﷺ : **[نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ].**

ومما يسأل الله العباد عنه يوم القيامة أنه يسأل الراعي عن رعيته والرجل عن أولاده وأهل بيته كما جاء في الصحيحين[(٣)] عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : **[كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته ،والرجل راع في أهله وهومسؤول عن رعيته ،والمرأة راعية في بيت زوجها ،ومسؤولة عن رعيتها ،والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته].**

وعند ابن حبان [(٤)] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **[إن الله سائل كل راع عن ما استرعاه ، حفظ ذلك أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته].**

ومما يسأل الله العباد عنه يوم القيامة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مخافة الناس ، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: **[إن الله ليسأل العبد يوم القيامة ، حتى يقول ما منعك إذ**

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٣٣٥٨).
(٢) البخاري برقم (٦٤١٢).
(٣) البخاري برقم (٢٥٥٤) ومسلم برقم (١٨٢٩).
(٤) ابن حبان برقم (٤٤٩٢) والصحيحة برقم (١٦٣٦).

رأيت المنكر أن تنكره ؟، فإذا لقن الله عبدًا حجته قال : يا رب رجوتك وفرقت من الناس]. [(١)]

معاشر المسلمين: اعلموا أن رحمة الله واسعة بالمؤمنين عند السؤال يوم القيامة ، فسؤال الله للمؤمنين إنما هو سؤال تذكير بنعم الله وتقرير لهم بذلك.

أما سؤال الكفار فهو سؤال تقريع وتوبيخ ، ولذلك جاء في الصحيحين[(٢)] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول:أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول:نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته. وأما الكافر والمنافق فيقول:الأشهاد ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ﴾ [هود:١٨] .

ومعنى كنفه: أي ستره وعفوه.

وعن عبد الله بن عمروبن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : **[إن الله سيخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول : أتنكر من هذا شيئًا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول: لا يا رب فيقول: أفلك عذر ؟ فيقول: لا يارب فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فيقول: احضر وزنك فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه**

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٤٠١٧).
(٢) البخاري برقم (٢٤٤١) ومسلم برقم (٢٧٦٨).

السجلات فقال :إنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء]. [(١)]

اللهم آمنا بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت، اللهم اجعل في قلوبنا نورًا نهتدي به إليك ،ووفقنا للأعمال الصالحة المقربة إليك، وعاملنا بفضلك وكرمك ،ولا تفضحنا يوم العرض عليك.

اللهم هذا الدعاء ومنك الإجابة ،وهذا الجهد وعليك التكلان .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.



(١) صحيح الترمذي برقم (٢٦٣٩).



الخُطْبَةُ الأُوْلَى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَة بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَة ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَة فِي النَّارِ .

قال تعالى :﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾[إبراهيم٤٨] .

اختلف العلماء في هذا التبديل الذي يحصل للأرض والسماوات يوم القيامة على قولين:

القول الأول: تبديل صفة فالذات باقية ولكن تبدل صفتها فالأرض يوم القيامة تسوى وتمد كمد الأديم ويلقى ما على ظهرها من جبال ومعالم فتصير قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتا.

وأما السماوات فتكون تارة كالمهل وتارة كالدهان من شدة أهوال يوم القيامة ثم يطويها رب العالمين بيمينه كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[الأنبياء ١٠٤] ، ولذلك قال : ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: تبدل آكام الأرض ونجوم السماء.

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تبدل صورتها ويطهر دنسها.

القول الثاني: قول جماهير العلماء: أن المراد تبديل ذات بذات فيذهب بهذه الأرض ويؤتى بأرض أخرى ويذهب بهذه السماوات ويؤتى بسماوات أخر.

ثم اختلفوا في كيفية تبديلهما على أقوال فروي عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تبدل الأرض فضة والسماء ذهبًا.

وعن كعب: تبدل الأرض نارًا والسماء جنة.

وعن القاسم بن محمد: تطوى كطي السجل.

وقيل تختلف أحوالها تارة كالمهل وتارة كالدهان. [١]

---

(١) المفهم (٧/ ٣٥١).

وأصل التبديل في لغة العرب تغيير الشيء ومنه قوله تعالى ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[النساء٥٦] .

وقوله تعالى﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾[البقرة:٥٩].

وقوله تعالى: ﴿ ... وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ... ﴾[النور:٥٥] .

وقوله تعالى: ﴿ ...فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾[الفرقان: ٧٠].

وقوله تعالى ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا ... ﴾[القلم:٣٢] .

وقد ثبت في الصحيحين [١] عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : [**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي**] قال : سهل أوغيره : ليس فيها معلم لأحد.

قال الخطابي رحمه الله: العفر بياض ليس بالناصع. [٢]

وقال القرطبي رحمه الله: وكأنها تغيرت من لهب النار. [٣]

وقوله عليه الصلاة والسلام : [كقرصة النقي] القرصة الخبزة والنقي أي النقي من الغش من النخالة والقشرة.

وقول سهل بن سعد رضي الله عنه : ليس فيها [معلم أوعلم] ، روايتان بمعنى واحد أي أن الأرض مستوية ليس فيها علامة ، لا سكن ولا بناء ولا شجر ، ولا أثر ولا شيء من العلامات التي يهتدى بها في الطرقات.

كما قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[طه: ١٠٥ ـ ١٠٧] .

---

(١) البخاري برقم (٦٥٢١) مسلم برقم (٢٧٩٠)
(٢) فتح الباري (١٣/ ١٨٤)
(٣) المفهم (٧/ ٣٥٠).

والنسف هو القلع أي يقلعها من أصلها ويجعلها هباءً منثورًا .

قال تعالى : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ ﴾ [الواقعة ١ ـ ٦] .

وقوله: ﴿ فَيَذَرُهَا ﴾ أي فيترك أماكن الجبال من الأرض ﴿ قَاعًا ﴾ أي أرضًا ملساء مستوية لا نبات فيها والقاع ما انبسط من الأرض.

وقوله : ﴿ صَفْصَفًا ﴾ والصفف الأملس.

وقوله : ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا ﴾ قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: انخفاضًا وارتفاعًا.

وقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العوج ما انخفض من الأرض.

وقوله: ﴿ وَلَآ أَمْتًا ﴾ الأمت ما نشز من الروابي والمعنى لا ترى واديًا ولا رابية.

وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا ترى فيها صدعًا ولا أكمة. [١]

فالله تبارك وتعالى بقدرته يدك الأرض وينسف الجبال نسفًا ، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤ ﴾ [الحاقة١٣ـ١٤] .

وقال تعالى :﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ ﴾ [الفجر٢١] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝١٤ ﴾ [المزمل١٤] . والمهيل هو الرمل الذي إذا أخذت منه شيئًا تبعك ما بعده.

عباد الله: هذه الجبال العظيمة الصلبة القوية تكون يوم القيامة كالعهن

(١) تفسير البغوي (٢/ ٢٣١).

ـ والعهن الصوف ـ قال تعالى: ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ ﴾[المعارج:٩] .

بل تكون كالصوف المنفوش قال تعالى: ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ ﴾[القارعة:٥] .

هذه الجبال تسير سيرًا كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ ﴾ [التكوير:٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠ ﴾[النبأ:٢٠] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ ﴾ [المرسلات:١٠] .

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧ ﴾[الكهف:٤٧] .

فلا إله إلا الله، ما أعظم تلك الأهوال الأرض تدك وتزلزل والجبال تسير وتنسف والبحار تفجر وتسجر، والسماء تتشقق وتمور، والشمس تذهب وتكور، والقمر يُخسف، والنجوم تنكدر وتتناثر، فما أشد غفلتنا عن ذلك اليوم العظيم، فإننا في غفلة عن اليوم الآخر عن يوم البعث والنشور، عن يوم التناد، عن يوم الدين، عن يوم التغابن، ذلك اليوم يوم عصيب، ويوم عسير، ويوم شديد، فيا ويل من غفل عن ذلك اليوم ونسيه، ولم يستعد للعمل له، قال تعالى: ﴿ ... إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ۝٢٦ ﴾[ص:٢٦] .

وقال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ ﴾ [الماعون:١] .

معاشر المسلمين:

إن الواجب علينا أن نؤمن بيوم القيامة وأن لا نغفل عنه أبدًا، قال

تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١﴾[الأنبياء:١].

وقال تعالى :﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١﴾[القمر:١].

وقال تعالى :﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ٧﴾[المعارج:٦ ـ ٧].

وقال تعالى :﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١﴾[النحل:١].

وهذه الأرض التي نحن فيها تصير نزلًا لأهل الجنة يوم القيامة بقدرة الله ففي الصحيحين [١] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ : **[تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار ـ ومعناها يميلها من كفأت الإناء إذا قلبته ـ بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة]** فأتى رجل من اليهود فقال :بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة قال: [بلى] قال : تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي ﷺ ، **فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال : ألا أخبرك بإدامهم قال : إدامهم بالام ونون قالوا : وما هذا قال: [ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا].**

وفقنا الله وإياكم للعمل الذي يرضيه ، وجعل أعمالنا مقبولة نافعة عنده، والحمد لله رب العالمين.



(١) البخاري برقم (٦٥٢٠) مسلم برقم (٢٧٩٢)

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على نبينا الكريم ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد:

فيا معاشر المؤمنين: لقد وردت آثار كثيرة متعلقة بتفسير هذه الآية ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [إبراهيم : ٤٨] .

ومنها ما ثبت في صحيح مسلم [(١)] عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود ـ أي عالم ـ فقال: السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال : لم تدفعني ؟ فقلت ألا تقول يا رسول الله فقال : اليهودي إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله فقال رسول الله ﷺ : إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي فقال : اليهودي جئت أسألك فقال : له رسول الله ﷺ أينفعك شيء إن حدثتك؟ قال: أسمع بأذني فنكت رسول الله ﷺ بعود معه ـ أي خط بالعود في الأرض وهذا يفعله المفكر ـ فقال : سل فقال : اليهودي أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال رسول الله ﷺ : هم في الظلمة دون الجسر ـ أي على الصراط ـ قال : فمن أول الناس إجازة؟ـ أي أول من يمر ويعبر عليه ـ قال : فقراء المهاجرين قال : اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : زيادة كبد النون ـ أي الحوت ـ قال : فما

---

(١) مسلم برقم (٣١٥).

غذاؤهم على إثرها ؟ قال : ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : من عين فيها تسمى سلسبيلا قال : صدقت قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أورجل أورجلان قال : ينفعك إن حدثتك ؟، قال : أسمع بأذني قال: جئت أسألك عن الولد ؟ قال : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنث بإذن الله قال : اليهودي: لقد صدقت وإنك لنبي ثم انصرف فذهب، فقال رسول الله ﷺ : **لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به**].

وفي صحيح مسلم [(١)] أيضًا عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ فأين يكون الناس يومئذ ؟ يا رسول الله فقال :[على الصراط].

قال القرطبي صاحب كتاب التفسير: فهذه الأحاديث تنص على أن السماوات والأرض تبدل وتزال ويخلق الله أرضًا أخرى يكون الناس عليها بعد كونهم على الجسر. [(٢)]

وصح في مُسند الإمام أحمد [(٣)] عن مجاهد قال : قال : ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أتدري ما سعة جهنم قلت لا قال : أجل والله ما تدري أن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفًا تجري فيها أودية القيح والدم قلت أنهارًا قال : لا بل أودية ثم قال : أتدرون ما سعة جهنم قلت: لا قال: أجل والله ما تدري حدثتني عائشة ، أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله

(١) مسلم برقم (٢٧٩١).
(٢) التفسير (٩/ ٣٨٣).
(٣) أحمد برقم (٢٤٨٥٦) وصححه شيخنا العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الجامع (١/ ٤٨٦).

﴿ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾ فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟، قال: [**هم على جسر جهنم**].

ومعنى قوله ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ أي خرجوا من قبورهم وظهروا بين يدي الله الواحد القهار الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يشاء قال الله تبارك وتعالى : : ﴿ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦ ﴾ [غافر : ١٦] .

وفي صحيح البخاري [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ، ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض**].

نسأل الله أن يصلح أحوالنا ، وأن يسدد أقوالنا ، وأن يثقل موازيننا ، اللهم نجنا من أهوال يوم القيامة ، ومن ظمأ يوم القيامة ، ومن كُرب يوم القيامة ، والحمد لله رب العالمين.



(١) البخاري برقم (٤٨١٢).

١٣ الميـــــــزان

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[1]:

إِنَّ الحَمْدَ للَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُه وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: إن الله عَزَّوَجَلَّ يقيم يوم القيامة ميزانًا عظيمًا ليزن أعمال الخلائق من خير وشر ، وسيكون حديثنا في هذه الجمعة -إن شاء الله- عن الميزان في العناصر الآتية:

١ ـ تعريف الميزان.

٢ ـ الآيات في الميزان.

٣ ـ حضور النبي ﷺ عند الميزان.

٤ ـ الأعمال التي تثقل الميزان.

٥ ـ ما الذي يوزن يوم القيامة؟.

أيها المسلمون: إن موقف الميزان من المواقف الرهيبة لأن فيها تحديد المصير إما إلى الجنة وإما إلى النار.

والمراد بالميزان: هو عبارة عن الآلة التي توزن بها أعمال العباد يوم القيامة من خير وشر قال: العلماء إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها. (١)

كذا وقوف الخلق للحساب   والصحف والميزان للثواب

والميزان كبير الحجم واسع الكفتين، كما قال: الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأعراف: ٨] ... وقال الأكثرون: أراد به وزن الأعمال بالميزان وذاك أن الله تعالى ينصب ميزانًا له لسان وكفتان، كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب. (٢)

وقد صح عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: عن عبد الملك بن أبي

(١) التذكرة (٢/ ٤١٧) للقرطبي.
(٢) معالم التنزيل (٢/ ١٤٩).

سليمان، قال: « ذكر الميزان عند الحسن، فقال :له لسان وكفتان » . (١)

وقد جاء عند الإمام الحاكم (٢) عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : [**يوضع الميزان يوم القيامة فلووزن فيه السماوات والأرض لوسعت فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا ؟ فيقول الله تعالى :: لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ويوضع الصراط مثل حد الموس فتقول الملائكة: من تجيز على هذا ؟ فيقول: من شئت من خلقي فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك**].

وفي مُسند الإمام أحمد (٣) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: [**...إن نبي الله نوحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما حضرته الوفاة قال : لابنه : إني قاص عليك الوصية آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين آمرك بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأرضين السبع لووضعت في كفة ، ووضعت لا إله إلا الله في كفة ، رجحت بهن لا إله إلا الله ، ولوأن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله وسبحان الله وبحمده ، فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق ، وأنهاك عن الشرك والكِبر** ، قال : قلت أوقيل يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر **قال : أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان قال: لا ، قال : هوأن يكون لأحدنا حلة يلبسها قال : لا ، قال : الكبر هوأن يكون لأحدنا دابة يركبها ، قال: لا ، قال: أفهموا أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه قال : لا ، قيل : يا رسول الله فما الكبر قال : سفه الحق وغمص الناس**].

والميزان إنما هو ميزان واحد وأما ما ورد من ذكر الجمع في بعض الآيات

(١) اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة ج٦(١١٧٣)
(٢) الحاكم (٤/ ٥٨٦) والصحيحة برقم (٩٤١).
(٣) أحمد برقم (٦٥٨٣).

فإنما هو باعتبار تعدد الأوزان أو الموزون.

وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ الميزان في كتابه الكريم في آيات كثيرة منها:

قال تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٨-٩].

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠١-١٠٤].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾ [القارعة: ٦-٩].

قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وغيرهما من الصحابة: يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: فمن رجحت حسناته على سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته بواحدة دخل النار، ومن استوت حسناته وسيئاته فهو من أهل الأعراف.(٤)

فيا أخي المسلم لا تحقرن الحسنة فأنت بحاجة إليها يوم القيامة، فربما كانت سببًا في دخولك الجنة واحذر من المعصية فربما كانت سببًا في ترجيح ميزان سيئاتك يوم القيامة فتدخل النار فإن الله يأتي بجميع الأعمال يوم القيامة من الحسنات والسيئات كما قال تعالى: إخبارًا عن لقمان الحكيم أنه قال: ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى

(٤) الضوء المنير (٣/ ١٢٣).

ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [لقمان : ١٦].

تذكر يوم تأتي الله فردًا ... وقد نصبت موازين القضاء

وهتّكت الستّور عن المعاصي ... وجاء الذنب مكشوف الغطاء

وقال آخر:

كأني بنفسي في القيامة واقف ... وقد فاض دمعي والمفاصل ترعد

وقد نصب الميزان للفصل والقضاء ... وقد قام خير العالمين محمد

فإن الإنسان سوف يحقر أعماله يوم القيامة من شدة الأهوال كما جاء عن عتبة بن عبد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: [**لو أن رجلًا يجر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هَرَمًا في مرضاة الله عَزَّ وَجَلَّ لحقره يوم القيامة**]. [(١)]

ومن الآيات في ذكر الميزان أيضًا قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة:٧ـ٨].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف :١٠٣ ـ ١٠٥].

وفي الصحيحين [(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: [**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤوا إن شئتم** ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾].

(١) أحمد برقم (١٧٦٤٩) والصحيحة برقم (٤٤٦).
(٢) البخاري برقم (٤٧٢٩) ومسلم برقم (٢٧٨٥).

وقوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[الأنبياء:٤٧].

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رجلًا قعد بين يدي النبي ﷺ فقال :يا رسول الله، إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم؟ قال: «يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا، لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلًا لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل». قال: فتنحى الرجل فجعل يبكي ويهتف، فقال رسول الله ﷺ : « أما تقرأ كتاب الله ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[الأنبياء:٤٧] ،الآية فقال : الرجل: والله يا رسول الله ما أجد لي ولهم شيئًا خيرًا من مفارقتهم، أشهدك أنهم أحرار كلهم».(١)

فانظروا يا عباد الله كيف يخبر الله جل جلاله في هذه الآية الكريمة ، أن مثقال حبة الخردل توزن يوم القيامة في الميزان ، فما بالكم بالأعمال العظام والكبائر من الذنوب ، كالشرك والظلم ، والزنا والربا ، واللواط وشرب الخمر، وقتل النفس المعصومة ، وترك الصلاة ومنع الزكاة ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وموالاة الكفار والتبرج والسفور والاختلاط، وسماع الأغاني والمزامير، وسائر المعاصي، وقانا الله من ذلك كله .

ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعفوعنا جميعًا ، وأن يرحمنا برحمته الواسعة ، وأن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين ، وأن يثقل موازين حسناتنا يوم لقائه ، إنه أرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) الترمذي برقم (٣١٦٥) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، إمام المتقين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد :

فيا معاشر المسلمين : ومما أخبرنا به نبينا ﷺ أنه يتواجد يوم القيامة في ثلاثة مواطن عند الصراط وعند الميزان وعند الحوض كما صح ذلك عند الإمام الترمذي [1] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال :[**أنا فاعل**] قال: قلت : يا رسول الله فأين أطلبك ؟ قال: [**اطلبني أول ما تطلبني على الصراط**] قال: قلت : فإن لم ألقك على الصراط ؟ قال: [**فاطلبني عند الميزان**] قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال: [**فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن**].

فلأهمية هذه الثلاثة المواطن يحضر النبي ﷺ فيها ليرى أعمال أمته ومصيرهم فنسأل الله لنا ولكم اللطف.

عباد الله: وأما الأعمال التي تثقل بها الموازين فأعظمها كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله ، كما جاء عند الترمذي [2] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ: [**إن الله سيخلص رجلًا من**

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٤٣٣).
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٦٣٩).

أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول : أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول: لا يا رب فيقول: أفلك عذر ؟ فيقول: لا يارب فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فيقول: احضر وزنك فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال :إنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء] .

وقوله فينشر عليه (أي يفتح له) ، وقوله - السجل (أي الكتاب الكبير) ، وقوله فطاشت السجلات (أي خفت) .

ومن الأعمال الصالحة التي يثقل الله بها ميزان العبد يوم القيامة الخُلق الحسن كما جاء عند أبي داود [(١)] عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **[ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق]**.

فانظر أخي المسلم أين أنت من حسن الخلق فإنه يزيد في إيمانك ويثقل ميزانك ولذلك جاء عند الترمذي [(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قال : قال : رسول الله ﷺ : **[إن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم خياركم لنسائهم]**.

وحسن الخلق يوصلك إلى المنازل العالية في الدنيا والدرجات العلا في الآخرة كما جاء عند أبي داود [(٣)] عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله

---

(١) صحيح أبي داود برقم (٤٧٩٩).
(٢) صحيح الترمذي برقم (١١٦٢).
(٣) صحيح أبي داود برقم (٤٨٠٠).

ﷺ : [**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا ؛ وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا ، وببيت في أعلى الجنة لمن حسُن خلقه**]. والزعيم الكفيل والضمين.

وصح أيضًا عند أبي داود [١] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**].

وحُسن الخلق يجعلك قريبًا من رسول الله ﷺ يوم القيامة فعند الترمذي[٢] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: [**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا ..**].

ومما يثقل ميزان العبد يوم القيامة احتباس الفرس في سبيل الله ففي صحيح البخاري [٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال النبي ﷺ : [**من احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده ، فإن شبعه وريه وروثه وبوله، في ميزانه يوم القيامة**].

ومن الأعمال التي تثقل بها الموازين التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، ففي صحيح مسلم [٤] عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن ـ أوتملأ ـ ما بين السماوات والأرض ، والصلاة نور والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أوعليك ، كل الناس يغدوفبايع نفسه فمعتقها ، أوموبقها**].

---

(١) صحيح أبي داود برقم (٤٧٩٨).
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٠١٨).
(٣) البخاري برقم (٢٨٥٣).
(٤) مسلم برقم (٢٢٣).

وفي الصحيحين [(١)] ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : [**كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله ، وبحمده سبحان الله العظيم**].

وفي مُسند الإمام أحمد [(٢)] عن أبي سلمى مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : [**بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده وقال بخ بخ لخمس من لقي الله عَزَّوَجَلَّ مستيقنًا بهن دخل الجنة يؤمن بالله واليوم الآخر وبالجنة والنار وبالبعث بعد الموت والحساب**].

وأما الذي يوزن يوم القيامة فالأعمال توزن وإن كانت أعراضًا فإن الله تعالى يجعلها أجسامًا فإن الله على كل شيء قدير كما في حديث البراء ابن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد [(٣)] وغيره أن النبي ﷺ قال: [**...ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول:أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول:له من أنت فوجهك الوجه يجئ بالخير فيقول:أنا عملك الصالح فيقول:رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي ...**]. وكذلك العمل السيء يأتيه كما جاء في هذا الحديث والأدلة على هذا كثيرة.

ويوزن صاحب العمل كما جاء في مُسند الإمام أحمد [(٤)] عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يجتني سواكًا من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه فقال رسول الله ﷺ : [**مم تضحكون**]

---

(١) البخاري برقم (٧٥٦٣) مسلم برقم (٢٦٩٤).
(٢) أحمد برقم (١٥٦٦٢) والصحيحة برقم (١٢٠٤).
(٣) أحمد برقم (١٨٥٣٤) والصحيحة برقم (١٢٠٤).
(٤) أحمد برقم (٣٩٩١).

قالوا : يا نبي الله من دقة ساقيه فقال :[**والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحد**].

وفي الصحيحين [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: [**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة ، لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال : اقرؤوا إن شئتم** ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾].

وتوزن صحائف الأعمال كما سمعتم في حديث البطاقة ﷺ ، وكل هذه وردت بها الأدلة .

فيا أيها المسلمون: أكثروا من الأعمال الصالحة التي تثقل موازينكم ، واحذروا من الذنوب والمعاصي ، فهي موزونة عليكم ، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا ، وتزينوا للعرض الأكبر ، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واجعل كلمتك هي العُليا إلى يوم الدين، اللهم ثقل موازين حسناتنا يوم تخف الموازين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



---

(١) البخاري برقم (٤٧٢٩) ومسلم برقم (٢٧٨٥).

(١٤) فوائد الإستغفار

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: لقد أمر الله تبارك وتعالى بالإستغفار من الذنوب قال : عز من قائل: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَـٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾ [غافر : ٥٥].

وقال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر: ٣].

وقال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [فصلت: ٦].

وفي صحيح مسلم[1] عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى [**أنه قال : ... يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا ، فاستغفروني أغفر لكم...**]. والإستغفار هو طلب المغفرة وهي وقاية شر الذنوب مع سترها .

والإستغفار على قسمين:

١- مفرد. ٢- ومقرون بالتوبة.

فالمفرد الإستغفار من ذنب قد مضى.

والمقرون بالتوبة العزم على أن لا يفعل الذنب في المستقبل وعند الإطلاق فكل منهما يدخل في مسمى الآخر.

معاشر المسلمين: لقد دعا الأنبياء والمرسلون أقوامهم إلى التوبة والإستغفار فهذا نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال لقومه : ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ ﴾ [نوح :١٠ ـ ١٣].

---

(١) مسلم برقم (٢٥٧٧).

وقال هود عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [هود: ٥٢].

وقال صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود : ٦١].

وقال شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ [هود : ٩٠].

وقال نبينا محمد ﷺ لقومه: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾ [هود : ٣].

وما من نبي من الأنبياء إلا وقد طلب المغفرة من الله ، يقول الله تعالى عن الأبوين: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف : ٢٣].

وقال عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [هود : ٤٧].

وقال تعالى عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم : ٤١].

وقال تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص : ١٦].

وقال تعالى عن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾ [ص : ٢٤].

وقال تعالى عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ص : ٣٥].

وكان نبينا محمد ﷺ يقول:[**اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق**] رواه مسلم(١)

أيها المسلمون: بالإستغفار تكشف الكروب وتمحى الذنوب وتستر العيوب وبه تنزل البركات من السماء وتحصل الأموال والبنون وأعظم من هذا كله جنات النعيم.

فالإستغفار لا يحصي فوائده إلا الله رب العالمين فهو سبب لمغفرة الله عَزَّوَجَلَّ قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران :١٣٥ ـ ١٣٦].

وقال تعالى:﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء : ١١٠].

وفي الصحيحين (٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عَزَّوَجَلَّ قال: [**أذنب عبد ذنبًا فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال : تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال : أي رب اغفر لي ذنبي فقال : تبارك وتعالى عبدي أذنب ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال : أي رب اغفر لي ذنبي فقال : تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر**

(١) مسلم برقم (٢٤٤٤) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٢) البخاري برقم (٧٥٠٧) ومسلم برقم (٢٧٥٨).

الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك].

وعند الترمذي[١] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله : **[يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي يا ابن آدم لوبلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم إنك لوأتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لاتيك بقرابها مغفرة]**.

وعند الإمام أحمد[٢] عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : **[إن الشيطان قال : وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم قال : الرب: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما ستغفروني]**.

وفي صحيح مسلم [٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **[والذي نفسي بيده لولم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون ؛ فيستغفرون الله فيغفر لهم]**.

بل إن الإستغفار يمحوالشرك بإذن الله فعند الحكيم الترمذي[٤] عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **[الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره، تقول : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم]**.

ومن فوائد الإستغفار: أنه ينجي صاحبه من النار ففي صحيح مسلم[٥] عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله ﷺ أنه قال: **[يا معشر النساء**

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٣٥٤٠)
(٢) أحمد برقم (١١٢٣٧) ، والصحيحة للألباني رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (١٠٤) .
(٣) صحيح مسلم برقم (٢٧٤٩)
(٤) صحيح الجامع برقم (٣٧٣١) للألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٥) مسلم برقم (٧٩)وغيره.

تصدقن وأكثرن الإستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة منهن جزلة وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن قالت يا رسول الله وما نقصان العقل والدين ؟ قال : أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين].

ومن فوائد الإستغفار ، أنه سبب لجلب محبة الله للعبد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة : ٢٢٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: إذا أحب الله عبدًا الهمه التوبة والإستغفار فلم يصر على الذنوب ومن ظن أن الذنوب لا تضر من أصر عليها فهو ضال مخالف للكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف والأئمة بل من يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره. [١]

ومن فوائد الإستغفار أنه سبب لبياض القلب وصفائه ونقائه فعند الإمام أحمد[٢] ، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان زاد زادت حتى يعلوقلبه ذاك الرين الذي ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾].

وفي صحيح مسلم [٣] عن الأغر بن يسار المزني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: [**إنه ليُغان على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**].

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٥٦).
(٢) أحمد برقم (٧٩٥٢)
(٣) مسلم برقم (٢٧٠٢)

أستغفر الله مما يعلـــم الله   إن الشقي لمن لا يرحـــم الله
ما احلم الله عمن لا يراقبـــه   كـلٌ مسيء ولكن يحلــم الله
فاستغفر الله مما كان من زلل   طوبى لمن كف عما يكره الله
طوبى لمن حسنت منه سريرته   طوبى لمن ينتهي عما نهى الله

والحمد لله رب العالمين .



الخطبة الثانية :

الحمد لله غافر الذنوب ، وكاشف الكروب ، نحمده سبحانه علام الغيوب ، وستار العيوب ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يكفر السيئات ويتوب على من يتوب ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أرشد أمته إلى صلاح الأعمال والقلوب ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى وسلوا ربكم التوفيق والسداد واسلكوا سبل الخير لعلكم تفلحون.

إخوة الإيمان والإسلام: ومن فوائد الإستغفار أنه سبب لرفع البلاء ودفع الشقاء قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأنفال : ٣٣].

وقال تعالى عن يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[الصافات :١٤٣ ـ ١٤٤].

وقد بين الله دعاءه في قوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الأنبياء :٨٧ ـ ٨٨].

ومن فوائد الإستغفار أنه سبب لقوة البدن قال تعالى عن هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [هود: ٥٢]..

ومن فوائد الإستغفار أنه سبب للمتاع الحسن قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾ [هود :٣].

وقد فُسر المتاع الحسن في هذه الآية بسعة الرزق ورغد العيش والعافية في الدنيا. والمراد بالأجل المسمى الموت.

ومن فوائد الإستغفار أنه سبب لنزول الأمطار والإمداد بالمال والبنين كما قال تعالى عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه : ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ ﴾ [نوح :١٠ ـ ١٣].

وقد خرج عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ يستسقي فلم يزد على الإستغفار حتى رجع فأمطروا فقالوا : ما رأيناك استسقيت ؟ ، فقال : لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر ثم قرأ ﴿ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ ﴾ .

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اللهم إنا سمعناك تقول : ﴿ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ ﴾ [التوبة : ٩١] ، وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا ؟ ! اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا ! ، فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا.

وقال ابن صبيح رَحِمَهُ ٱللَّهُ :شكا رجل إلى الحسن الجدوبة فقال له: استغفر الله وشكا آخر إليه الفقر فقال له: استغفر الله وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولدًا فقال له: استغفر الله وشكا إليه آخر جفاف بستانه فقال له: استغفر الله فقلنا له في ذلك ؟، فقال :ما قلت من عندي شيئًا إن الله تعالى يقول في سورة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾.[1]

ومن فوائد الإستغفار أنه سبب لرحمة الله، قال الله تعالى :عن صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النمل : ٤٦].

عباد الله : قال : بعض السلف : إنما معول المذنبين البكاء والإستغفار فمن همته ذنوبه أكثر لها من الإستغفار.

وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم فأما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالإستغفار.

وبعض المسلمين هداهم الله يستغفرون بألسنتهم ولا يقلعون عن ذنوبهم ، وهذه هي توبة الكذابين ، قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: استغفار بلا إقلاع توبة الكذابين.

وقال بعضهم: استغفارنا يحتاج إلى استغفار.

فهنيئًا لك أيها المسلم إذا امتلأت صحيفتك يوم القيامة بالإستغفار، فقد ثبت عند ابن ماجه[2] عن عبد الله بن بسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: [**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرا**].

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ٣٠٢-٣٠٣)
(٢) صحيح ابن ماجه برقم (٣٨١٨)

وأعظم صيغة وردت في الإستغفار حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: [**سيد الإستغفار أن تقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي ، وأبوء لك بذنبي ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . قال : ومن قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي ، فهومن أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهوموقن بها فمات قبل أن يصبح ، فهومن أهل الجنة**]. (١)

أيها المسلمون: اعزموا عزمًا جادًا على التوبة والإستغفار في كل وقت لا سيما عند حصول الزلل والخطأ قبل أن يكتبها الملك في صحائف الأعمال فقد قال النبي ﷺ : [**إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ أوالمسيء ، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها وإلا كتبت واحدة**]. (٢)

قد مضى العمر وفات — يا أسير الغفلات
حصل الزاد وبادر — مسرعًا قبل الفوات
فإلى كم ذا التعامي — عن أمور واضحات
وإلى كم أنت غارق — في بحار الشهوات
لم يلن قلبك أصلاً — بالزواجر والعظات
بينما الإنسان يسأل — عن أخيه قيل مات
وتراه حملوه — سرعة للفلوات

(١) البخاري برقم (٦٣٠٦)
(٢) الطبراني (٨/ ١٨٥) والصحيحة برقم (١٢٠٩) عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أهـــلـــه يـبـكـــوا عـلـيـــه	حــــســرة بـــالـــعــبرات
أيــــن مــــن قــــد كـــان	يفخر بـالجـيـاد الصافنات
ولـــــه مـــــال جـزيـــــل	كـــالجـــبــال الـــراســيـــات
ســـار عـــنـــهـــا رغـــم أنــف	لـــلـــقـــبـــور المـــوحـــشـــات
فـــاغـــنـــم الـــعـــمـــر وبـــادر	بـــالـــتـــقـــى قـــبـــل المـــمات
وأنـــــب وارجـــــع وأقـــلـــع	عـــن عـــظـــيـــم الـــسـيـئـــات
واطـــلـــب الـــغـــفـــران ممن	تـــرتجـــى مـــنـــه الهـــبـــات
ثـــم نـــاد في الـــديـــاجـــي	يـــا مجـــيـــب الـــدعـــوات
اعـــف عـــنـــا يـــا رحـــيـــماً	وأقـــلـــنـــا الـــعـــثـــرات

اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين ، وأذل الشرك واخذل المشركين اللهم عليك بطواغيت الأرض ، اللهم احصهم عددًا ، واقتلهم بددًا ، ولا تبق منهم على الأرض أحدًا.

اللهم أصلح ولاة أمور المسلمين ، وهيئ لهم البطانة الصالحة الناصحة التي تدلهم على الخير وتحضهم عليه ، اللهم أبعد عنهم بطانة السوء والمكر والخيانة يا رب العالمين.

اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين ، اللهم اشف مرضى المسلمين وعاف مبتلاهم ، واجبر مصابهم برحمتك يا ذا الجلال والإكرام.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

١٥ الفساد والتحذير منه

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُه وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمن سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: فإن موضوع حديثنا في هذه الجمعة المباركة سيكون بمشيئة الله وتوفيقه عن الفساد في الأرض وسيكون تحت العناصر الآتية:

* تعريف الفساد.

❁ الفرق بين الفساد والظلم.

❁ معاني الفساد.

❁ كثرة ظهور الفساد.

❁ نهي الله عن الإفساد في الأرض.

❁ الوعيد الشديد في حق المفسدين في الأرض.

❁ تحذير الأنبياء من الإفساد في الأرض.

❁ أنواع الفساد في الأرض.

فأعيروني القلوب والأسماع فإن هذا الموضوع من الأهمية بمكان .

أولًا: تعريف الفساد لغة:

ضد الصلاح قال : العباس بن الفضل: الفساد هو الخراب ، وقال الليث ابن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الفساد نقيض الصلاح.

قال تعالى : ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [النمل: ٤٨].

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾[[الأعراف:٥٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [البقرة : ١١].

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [الشعراء : ١٥٢].

والمراد بالفساد في الاصطلاح كما قال العلامة ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الفساد تغيير الشيء عما كان عليه من الصلاح.[١]

---

(١) نزهة الأعين النواظر ص (٤٦٩)

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الفساد هو العدول عن الاستقامة إلى ضدها.[١]

ثانيًا: الفرق بين الفساد والظلم:

قال الكفوي : الفساد أعم من الظلم لأن الظلم النقص فإن من سرق مال الغير مثلًا فقد نقص حق الغير أما الفساد فيقع على ذلك وعلى غيره كالابتداع واللهو واللعب.[٢]

ثالثًا: معاني الفساد فإنه يأتي في القرآن الكريم على عدة معانٍ منها:

١- المعصية: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [البقرة : ١١].

٢- الخراب: قال تعالى عن ملكة سبأ : ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النمل٣٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥١].

٣-المنكر: قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مَآ أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [هود : ١١٦].

٤- السحر: قال تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [يونس : ٨١].

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ٢٠٢)
(٢) الكليات ص (٦٩٢).

رابعًا: كثرة ظهور الفساد:

فما أكثره في أرض الله وما أكثر المفسدين فيها لا كثرهم الله قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الروم: ٤١].

وظهور الفساد في الأرض مؤذن بنزول العذاب وشدة العقاب قال تعالى: ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾[الفجر: ١٠ ـ ١٤].

وتأملوا عباد الله لما كثر الفساد من فرعون وقومه كيف أغرقهم الله قال تعالى: ﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[يونس: ٩٠ـ ٩١].

وقال تبارك وتعالى﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الزخرف: ٥٥ ـ٥٦].

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وجدت النقمة مع الغفلة، يعني قوله: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.[١]

ففرعون كان كثير الإفساد في الأرض متكبرًا ظالمًا قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾[القصص: ٤].

والعجيب الغريب أنه كان يدعي الصلاح ويتهم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٣).

بالفساد، بل ويخاف من موسى أن يبدل الدين قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾[غافر : ٢٦] .

وهكذا قومه قالوا لفرعون كما قال الله عنهم : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[الأعراف١٢٧] .

إخوة الإيمان والإسلام: كلما كثر الفساد في أرض الله قل الخير والصلاح فيها فقد صح عند الترمذي [(١)] عن قرة بن إياس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [**إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم ، لا تزال طائفة من أُمتى منصورين ، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة**].

وقد ذكر ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن الفساد إذا عم في الشام يعم ذلك في سائر المدن. [(٢)]

خامسًا: نهي الله عن الإفساد في الأرض :

معاشر المسلمين: لقد نهى الله عن الإفساد في الأرض ، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ ﴾[الأعراف : ٥٦].

قال عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم. [(٣)]

وقال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾[محمد: ٢٢ ـ ٢٣].

(١) صحيح الترمذي برقم (٢١٩٢)
(٢) صحيح ابن حبان (١٦/ ٢٩٢)
(٣) تفسير البغوي (٢/ ١٦٦)

سادسًا: وعيد الله الشديد للمفسدين في الأرض.

عباد الله: ينبغي لنا أن نعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ قد توعد المفسدين في الأرض بمضاعفة العذاب وزيادته قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨].

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨]. قال: «زيدوا عقارب أنيابها كالنخل الطوال»[١].

ولعن الله المفسدين في الأرض وطردهم من رحمته، قال تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

حقًا أيها المسلمون إن المفسدين في الأرض هم الأخسرون قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧].

والله لا يحب الفساد ولا المفسدين بل يكره ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٧].

وقال تعالى في جزاء المفسدين: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ

---

(١) مُسند أبي يعلى برقم (٢٦٥٩) والحاكم برقم (٨٧٥٥) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٦٧٨).

وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المائدة : ٣٣].

وأعظم الناس سعيًا في الأرض فسادًا هم اليهود أعداء الله وأعداء الأنبياء وأعداء المؤمنين وما من جريمة ولا شر إلا وهم من ورائها قال تعالى :﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[المائدة : ٦٤] .

فاحذروا يا أمة الإسلام من الإفساد في الأرض ومن إيواء المفسدين وكونوا صالحين مصلحين ، فقد جاء عند الترمذي [١] عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة**] قالوا : بلى ، قال: [**صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة**] ، ويروى عن النبي ﷺ [**هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين**].

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال : قال رسول الله ﷺ ، «**لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غير المنار**» [٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين ، من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٥٠٩) .
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٩٧٨) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي أمر عباده بكل ما فيه خير لهم وصلاح ، ونهاهم عن جميع المضار والأعمال القباح، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الكريم الفتاح ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، الذي نهى عن كل خبيث ، وأذن في كل طيب وأباح ، اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه ، أولي الرشد والتقى والنجاح .

أما بعد:

فإن الله عَزَّوَجَلَّ أرسل الرسل مبشرين ومنذرين فكم حذر الأنبياء أقوامهم من الإفساد في الأرض فهذا نبي الله شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي كان يلقب بخطيب الأنبياء يحذر قومه أهل مدين من الفساد في الأرض، قال الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الأعراف : ٨٥] .

وهذا نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لقومه : ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأعراف٧٤].

وقال لهم أيضا : ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا

يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ [الشعراء : ١٥١ ـ ١٥٢] .

وهذا نبي الله لوط عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يدعو الله أن ينصره على القوم المفسدين قال تعالى :﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[العنكبوت : ٢٨ ـ ٣٠] .

وهذا نبي الله موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يقول لأخيه هارون عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ ... ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾[الأعراف : ١٤٢] .

معاشر المسلمين : الفساد له صور كثيرة منها :

١ – موالاة أعداء الله من اليهود والنصارى والمشركين ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾ ﴾[الأنفال:٧٣].

٢– ومنها النميمة ، ففي صحيح مسلم [١] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: إن محمدًا ﷺ قال: **[ألا أنبئكم ما العضة؟، هي النميمة القالة بين الناس]** وإن محمدًا ﷺ قال: **[إن الرجل يصدق حتى يكتب صديقًا ، ويكذب حتى يكتب كذابًا]**.

وفي سُنَن الدارمي[٢]عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال:قال رسول الله ﷺ :**[هل أنبئكم ما العضة،وإن العضة هي النميمة التي تفسد بين الناس]**.

---

(١) مسلم برقم (٢٦٠٦)
(٢) الدارمي (٢/ ٣٠٠) والصحيحة برقم (٨٤٥).

٣-ومنها تتبع عورات الناس، ففي سُنَن أبي داود [١] عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم ، أو كدت أن تفسدهم**].

وفي سُنَن أبي داود [٢] عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي ﷺ قال: [**إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم**].

والريبة التهمة وسوء الظن.

٤-ومنها فساد النيات ففي الصحيحين [٣] عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**...ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ،وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**].

وفي سُنَن بن ماجه [٤] عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**إنما الأعمال كالوعاء إذا طاب أسفله طاب أعلاه ، وإذا فسد أسفله فسد أعلاه**].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: والله لقد رأيت من يكثر الصلاة والصوم والصمت ويتخشع في نفسه ولباسه، والقلوب تنبو عنه ، وقدره في النفوس ليس بذاك ، ورأيت من يلبس فاخر الثياب وليس له كبير نفل ولا تخشع والقلوب تتهافت على محبته ، فتدبرت السبب فوجدته السريرة ... فمن أصلح سريرته فاح عبير فضله ، وعبقت القلوب بنشر طيبه ، فالله الله في السرائر ، فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح ظاهر. [٥]

(١) صحيح أبي داود برقم (٤٨٨٨)
(٢) صحيح أبي داود برقم (٤٨٨٩)
(٣) البخاري برقم (٥٢) مسلم برقم (١٥٩٩)
(٤) صحيح ابن ماجه برقم (٤١٩٩)
(٥) صيد الخاطر ص (٣٥٥) ، تحقيق / عامر بن علي ياسين .

٥- ومنها أن يتقدم إليك الرجل الصالح الكفو لخطبة موليتك فترده ، لما جاء عند الترمذي [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : [**إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**].

٦- ومنها أن يفسد المرء زوجة أخيه المسلم أومملوكه، فعند أبي داود [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : [**ليس منا من خبب امرأة على زوجها ، أوعبدًا على سيده**]. والتخبيب الخدع والفساد.

٧- ومنها قطه الدراهم والدنانير ، قال : سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ: قطع الدراهم من الفساد في الأرض ، وقد جاء في صحيح مسلم [٣] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : [**أمسكوا عليكم أموالكم ولا تفسدوها...**].

أيها المؤمنون: أنواع الفساد في الأرض كثيرة فالقتل والسلب والنهب وقطع الطريق وقطيعة الرحم وعقوق الوالدين وإهلاك الحرث والنسل ونشر الرذائل والفواحش كل هذه الأمور من الفساد في الأرض.

هكذا أيضًا مما يسبب الفساد لدين المرء المسلم الحرص على الملك ففي سُنَن الترمذي [٤] عن كعب بن مالك الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : [**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**].

---

(١) صحيح الترمذي برقم (١٠٨٤)
(٢) صحيح أبي داود برقم (٢١٧٥)
(٣) مسلم برقم (١٦٢٥)
(٤) صحيح الترمذي برقم (٢٣٧٦)

ومما يسبب الفساد للدين الفراغ والغنى قال : الشاعر:

إن الشباب والـفـراغ والجـدة   مفسدة للمرء أي مفسدة

فيا أيها المسلمون: الواجب علينا أن نصلح أنفسنا وأن نستقيم على أمر الله وأن نصلح ما بيننا وبين ربنا فالله يعلم سرنا وجهرنا قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٢٠﴾[البقرة٢٢٠] .

وقال تعالى :﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[يونس٤٠] .

اللهم أصلح فساد قلوبنا ، واهدنا سبل السلام ، ونجنا من الظلمات إلى النور ، اللهم أصلح العباد والبلاد يا أرحم الراحمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



١٦ الفرج بعد الشدة

الخُطْبَةُ الأُولَى[1]:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

فيا أيها المسلمون : إن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يجيب دعوة المضطرين ، ويكشف كرب المكروبين ، ويفرج هموم المهمومين ، فسبحانه من إلهٍ عظيم .

يــا رجــائــي في بــلائـي   لا تــزل عـــنّــيَ خــيرك
أنـــت ربي أنـــت حسبي   أنـــا لا أعـــبـــد غــيرك

أيها المسلمون عباد الله ، هذه الخطبة عنوانها الفرج بعد الشدة قال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء :٨٧ ـ ٨٨].

وقال تعالى: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ ﴾ [الزمر : ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل : ٦٢].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق :٢ ـ ٣].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر : ٦٠].

وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة :١٥٥ ـ ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ﴿٦﴾ ﴾ [الشرح:٥ ـ ٦].

وقال تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٧].

وجاء عند أحمد [(١)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : كنت رديف النبي ﷺ فقال :[**يا غلام أويا غليم ، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، فقلت : بلى، فقال :احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، قد جف القلم بما هو كائن ، فلو أن الخلق كلهم جميعًا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه ، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه ، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرًا**].

ويروى عن الشافعي أنه قال:

صبرًا جميلًا ما أقرب الفرجا ... من راقب الله في الأمور نجا
من صدق الله لم ينله أذى ... ومن رجاه يكون حيث رجا

معاشر المسلمين: إن الله عَزَّوَجَلَّ يكشف الكروب ويرفع الخطوب حتى عن الكافر إذا دعا ربه مخلصًا كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنعام :٦٣ ـ ٦٤].

ولهذا وردت أدعية كثيرة في سُنَّة رسول الله ﷺ إذا لازمها المؤمن ودعا بها كشف الله كربه ورفع شدته ففي الصحيحين [(٢)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب : [**لا إله إلا الله العظيم**

---

(١) أحمد برقم (٢٨٠٣) تحقيق شعيب.
(٢) البخاري برقم (٧٤٢٦) ومسلم برقم (٢٧٣٠).

الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم].

وهذا حديث جليل ينبغي الاعتناء به والإكثار منه عند الكرب والأمور العظيمة قال : الطبري كان السلف يدعون به ويسمونه دعاء الكرب.

وعند ابن أبي الدنيا [(١)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عن النبي ﷺ قال : **[كلمات الفرج : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم].**

وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : **[دعوات المكروب اللهم رحمتك أرجوفلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت].** [(٢)]

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُقال كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ فقال :**[ألا أخبركم بشيء، إذا نزل برجل منكم كرب أوبلاء من أمر الدنيا دعا ربه ففرج عنه ؟]** فقالوا: بلى فقال :**[دعاء ذي النون : لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين].** [(٣)]

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: **[ما قال : عبد قط إذا أصابه هم أوحزن : اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيَّ حكمك عدل فيَّ قضاؤك أسألك بكل اسم هولك سميت به نفسك أوأنزلته في كتابك أوعلمته أحدًا من خلقك أواستأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني**

(١) موسوعة ابن أبي الدنيا برقم (٤٨) وصحيح الجامع برقم (٤٥٧١).
(٢) صحيح أبي داود برقم (٥٠٩٠).
(٣) موسوعة ابن أبي الدنيا برقم (٣٤) وصحيح الجامع برقم (٢٦٠٥).

وذهاب همي إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحًا] ، قالوا : يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات ؟ ، قال : [**أجل ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن]**. [(١)]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والدعاء من أنفع الأدوية وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أويخففه إذا نزل وهو سلاح المؤمن.[(٢)]

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء]**. [(٣)]

فالإنسان في هذه الحياة يتراوح بين عسر ويسر ، وصحة وسقم ، وغنىً وفقر ، وعز وذل ، وشباب وهرم ، واجتماع وفرقة.

وصدق من قال:

ثمانية لا بد منها على الفتى ... ولا بد أن تجري عليه الثمانية

سرور وهم واجتماع وفرقة ... ويسر وعسر ثم سقم وعافية

وعن أسماء بنت عميس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت : سمعت رسول الله ﷺ بأذني هاتين يقول : [**من أصابه هم أوغم أوسقم أوشدة ، فقال :الله ربي لا شريك له كشف ذلك عنه]**. [(٤)]

وعن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن مكاتبًا جاءه فقال :إني قد عجزت عن كتابتي فأعني قال : ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لوكان عليك مثل جبل ثبير دينًا أداه الله عنك ؟، قال: **قل اللهم اكفني بحلالك عن**

---

(١) ابن حبان برقم (٩٧٢) تحقيق شعيب.
(٢) الجواب الكافي ص (١٤).
(٣) صحيح الترمذي برقم (٣٣٨٢).
(٤) الطبراني برقم (٣٩٦) وصحيح الجامع برقم (٦٠٤٠).

حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك]. (١)

إخوة الإيمان والإسلام: ودونكم هذه الأمثلة في الفرج بعد الشدة بدءًا من الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين:

١. نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أمتحن بكفر قومه وعصيان ابنه له وحصل له من البلاء والشدة ما حصل وأصابه من الكرب ما أصابه ففرج الله عنه بعد الشدة قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الصافات :٧٥ ـ ٧٦].

وقال تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الأنبياء : ٧٦].

٢. إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما كسر الأصنام قام قومه بإحراقه في النار فجعلها الله بردًا وسلامًا فجاءه الفرج بعد الشدة قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنبياء :٦٨ ـ ٧١].

ولما أمر الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن يذبح ولده إسماعيل امتثل لأمر الله واستسلم له وتله للجبين ليذبحه، فجاءه الفرج من الله بعد هذه الشدة والبلاء العظيم قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٣٥٦٣).

ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الصافات :١٠١ـ١٠٧].

٣. لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما أمر قومه بطاعة الله ودعاهم إلى توحيده ونهاهم عن ارتكاب الفاحشة عصوه وكذبوه وتوعدوه بأن يخرجوه من القرية وجاءوا إلى أضيافه من الملائكة يريدون فعل الفاحشة بهم فجاءه الفرج من الله فخسف بهم وأنجى الله لوطًا قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ ﴾ [القمر :٣٨].

٤. ويوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حسده إخوته فأخذوه وألقوه في الجب فحصل له من البلاء العظيم ما قص الله علينا في كتابه العزيز حتى جاءت تلك السيارة واستخرجوه من البئر ثم باعوه بثمن بخس دراهم معدودة فجاءه الفرج من الله ثم جرى له من امرأة العزيز ما جرى فعصمه الله وفرج عنه من بعد أن لبث في السجن بضع سنين ، ومكن له في الأرض ، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يوسف :٥٦].

٥. أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال تعالى: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٣ـ٨٤].

٦. نبينا محمد ﷺ قال تعالى:﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[الأنفال: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة : ٤٠].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا ، فقال :[**ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**]. [(١)]

إخوة الإيمان والإسلام: وإن من أعظم أسباب تفريج الشدائد من الله للعبد ورفع البلايا وإزالة المحن والرزايا الإخلاص لله الواحد القهار والإيمان بالقضاء والقدر وتقوى الله ومراقبته في السر والعلن والتوكل عليه سبحانه واحتساب الأجر والثواب والاعتصام بالله عَزَّوَجَلَّ والصدقات للفقراء والمحتاجين وتذكر نعم الله وآلآئه وانتظار الفرج من الله عَزَّوَجَلَّ .

قال بعض الأدباء:

يا صاحب الهم إن الهم منفرج   أبشر بخير فإن الفارج الله

اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه   لا تيأسن فإن الفارج الله

قد يحدث الله بعد العسر ميسرة   لا تجزعن فإن الكافي الله

وقال آخر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى   ذرعًا وعند الله منها المخرج

---

(١) البخاري برقم (٣٥٦٣) ومسلم برقم (٢٣١٨).

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها   فُرجت وكنت أظنها لا تفرج

أقول ما سمعتم ، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .



الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي لا يحمـد على مكروه سواه ، أحمـده سبحانه وأشكره، لا إله غيره ولا نعبد إلا إياه لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولوكره الكافرون وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على العباد أجمعين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم إلى يوم الدين .

أما بعد:

فياأيها المؤمنون: بعد سماعكم لهذه الأمثلة الرائعة في تفريج الله الشدائد والمحن عن أنبيائه ورسله يحسن بنا أن نذكر أمثلة أخرى لعباد الله الصالحين فمن ذلك:

١- ما جاء في الصحيحين (١) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ، فقال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلًا ولا مالًا فنأى بي في طلب شيء يومًا فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلًا أومالًا فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن**

---

(١) البخاري برقم (٢٢٧٢) ومسلم برقم (٢٧٤٣).

فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج قال النبي ﷺ: وقال الآخر : اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها قال النبي ﷺ: وقال الثالث اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال : يا عبد الله أد إلي أجري فقلت له كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال : يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت: إني لا أستهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون].

٢- قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة :١١٨ ـ ١١٩] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ولما ذكر الله تعالى ما فرج به عن هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب من هجر المسلمين إياهم نحوًا من خمسين ليلة بأيامها، وضاقت عليهم أنفسهم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، أي مع سعتها فسدت عليهم المسالك والمذاهب ، فلا يهتدون ما يصنعون فصبروا

لأمر الله واستكانوا لأمر الله ، وثبتوا حتى فرج الله عنهم ، بسبب صدقهم رسول الله ﷺ في تخلفهم وأنه كان عن غير عذر.[(١)]

٣- وتأملوا أيها المسلمون ما حصل من الشدة والكرب لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك وفيها أنها قالت [...فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم قالت وأصبح أبوي عندي قد بكيت ليلتين ويومًا ولا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأني بشيء قالت فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: [**أما بعد يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه**] . قالت رضي الله عنها: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ عني فيما قال ، فقال : أبي والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال : قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرًا إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقونني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني فوالله لا أجد لي ولكم مثلًا إلا أبا يوسف حين قال : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨١).

جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾. ثم تحولت واضطجعت على فراشي والله يعلم أني حينئذ بريئة ، وأن الله مبرئي ببراءتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيًا يتلى لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر ولكني كنت أرجوأن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه العرق مثل الجمان وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه قالت: فلما سرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال : [**يا عائشة أما الله فقد برأك**] . قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه فقلت: والله لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا الله عَزَّوَجَلَّ ، قالت : وأنزل الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ ﴾ العشر الآيات. (١)

٤- وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ : [هاجر إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بسارة فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك أوجبار من الجبابرة ، فقيل دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء فأرسل إليه أن يا إبراهيم من هذه التي معك ؟ . قال : أختي ثم رجع إليها فقال : لا تكذبي حديثي فإني أخبرتهم أنك أختي ، والله إن على الأرض مؤمن غيري وغيرك فأرسل بها إليه فقام إليها فقامت توضأ وتصلي فقالت : اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي الكافر فغط حتى ركض برجله قال : قالت : اللهم إن يمت يقال هي قتلته فأرسل ثم قام إليها فقامت توضأ تصلي وتقول: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك

(١) البخاري برقم (٤١٤١).

وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي هذا الكافر فغط حتى ركض برجله قال : فقالت اللهم إن يمت فيقال هي قتلته فأرسل في الثانية أوفي الثالثة فقال : والله ما أرسلتم إلي إلا شيطانًا أرجعوها إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأعطوها آجر فرجعت إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فقالت : أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم وليدة]. (١)

ومعنى كبت: أي أخزاه .

ومعنى وليدة: أي جارية.

عليك إذا ضاقت أمورك والتوت ... بصبر فإن الضيق مفتاحه الصبر

ولا تشكونْ إلا إلى الله وحـــده ... فمن عنده تأتي الفوائد والبشر

عسى فــــرج يأتي به الله إنه ... له كل يــــوم في خليقته أمر

إذا لاح عسر فارج يسرًا فـــإنه ... قضى الله أن العسر يعقبه يسر

اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته ، ولا همًا إلا فرجته ، ولا كربًا إلا نفسته، ولا دينًا إلا قضيته ، ولا حاجةً هي لك رضًا ولنا صلاح إلا قضيتها ويسرتها يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين ، وأهلك الكفرة والمشركين ، اللهم دمرهم تدميرًا والعنهم لعنًا كبيرًا ، اللهم لا ترفع لهم في الأرض راية ، واجعلهم لسائر خلقك عبرة ، وآية والحمد لله رب العالمين.



(١) البخاري برقم (٢٢١٧).

١٧ فضائل سيد الأولين والآخرين

الخُطْبَةُ الأُوْلَى:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

فيا أيها المسلمون: موضوع حديثنا في هذه الجمعة المباركة عن فضائل سيد الأولين والآخرين نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أجمعين.

ونذكر هذه الفضائل التي حباه الله بها وأكرمه ربه إياها ، لأن المؤمن

يزداد بسماعها محبة واقتداءً بهذا النبي العظيم والرسول الكريم.

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

وقال آخر:

فما فقد الماضون مثل محمد ولا مثله حتى القيامة يُفقد

وقد ثبت عند الترمذي [(١)] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ أتي بالبراق ليلة أُسري به ملجمًا مسرجًا فاستصعب عليه فقال: له جبريل أبمحمد تفعل هذا؟، فما ركبك أحد أكرم على الله منه، قال: فارفض عرقًا].

ونبدأ بذكر نسبه الشريف هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان.

فنسبه ﷺ خير الأنساب وأفضلها حتى شهد له بذلك أعداؤه ففي صحيح البخاري [(٢)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال هرقل لأبي سفيان: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها...].

وقد جاء في صحيح مسلم [(٣)] عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم**].

(١) صحيح الترمذي برقم (٣١٣١).
(٢) البخاري برقم (٧).
(٣) مسلم برقم (٢٢٧٦).

وصح عند أحمد [١] عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **[إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه، وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة ،وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة ،وجعلهم بيوتًا فجعلني في خيرهم بيتًا ، فأنا خيركم بيتًا وخيركم نفسًا].**

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **[خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء].** [٢]

معاشر المسلمين: إن نبينا ﷺ فضله عند الله عظيم يقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾ [النساء : ١١٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ﴾ [الإسراء : ٨٧].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾ ﴾[الأحزاب :٤٥ـ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[التوبة: ١٢٨].

ولقد قرن الله الإيمان به بالإيمان برسوله ﷺ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

---

(١) أحمد برقم (١٧٨٨).
(٢) صحيح الجامع برقم (٣٢٢٥).

ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء : ١٣٦].

وقرن الله طاعته بطاعة رسوله فقال سبحانه: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾ [المائدة : ٩٢].

وجعل طاعة رسوله من طاعته سبحانه فقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء : ٨٠].

وجعل بيعة رسوله ﷺ كبيعته كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الفتح : ١٠].

وقرن أذى رسوله بأذاه سبحانه ، فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأحزاب : ٥٧].

ومنع الله عَزَّوَجَلَّ نزول العذاب على المشركين لوجود رسوله ﷺ بين أظهرهم كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال : ٣٣].

وعصمه الله عَزَّوَجَلَّ من الغواية والضلال كما قال : سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[النجم :١ ـ ٤] .

واقسم الله عَزَّوَجَلَّ بحياته ولم يرد هذا في حق نبي من الأنبياء سواه كما قال تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الحجر : ٧٢].

ولما أكثر المؤمنون النجوى عليه أمرهم الله أن يقدموا بين يدي مناجاتهم له ﷺ صدقة فلما شق ذلك عليهم نسخ الله هذا الحكم رحمة بهم وأبقى وجوب طاعته ﷺ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ (١٢) ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ (١٣)﴾ [المجادلة :١٢ـ١٣].

وجعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طاعة رسوله ﷺ موجبًا لمحبته سبحانه كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٣١) قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ (٣٢)﴾ [آل عمران :٣١ـ٣٢].

ألا يا محب المصطفى زد صبابة　　　وضمخ لسان الذكر منك بطيبه

ولا تعبأن بالمبطلين فإنما　　　علامة حب الله حب حبيبه

ومن فضائله ﷺ أن الله عَزَّوَجَلَّ غفر له ذنوبه المتقدمة والمتأخرة وهو على قيد الحياة ولم يحصل هذا لأحد من الأنبياء سواه قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا (١) لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا (٢) وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا (٣)﴾ [الفتح :١ـ٣].

وثبت في الصحيحين [(١)] عن المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن كان النبي ﷺ ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه أوساقاه .فيقال له فيقول:[**أفلا أكون عبدًا شكورًا**].

ومن فضائله أيضًا أن الله سماه في كتابه الكريم نورًا ، كما قال تعالى:

(١) البخاري برقم (٤٨٣٦) ومسلم برقم (٢٨١٩).

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ ﴾ [المائدة : ١٥].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ ﴾ يعني: محمدًا ﷺ.

ومن فضائله أيضًا أن الله عَزَّوَجَلَّ خاطبه باسم الرسالة والنبوة ولم يناده باسمه أبدًا في كتابه الكريم إلا إذا كان عن طريق الإخبار قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤ ﴾ [الأنفال : ٦٤].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١ ﴾ [الأحزاب : ١].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ ﴾ [الطلاق : ١] .

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ ﴾ [التحريم : ١].

وقال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ [المائدة : ٦٧].

وأما بقية الأنبياء فناداهم بأسمائهم قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦ ﴾ [هود : ٤٦].

وقال تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا

﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾ [الأعراف : ١٩].

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [الأعراف : ١٤٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ [ص : ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤﴾ [الصافات : ١٠٤].

بل إن الله عَزَّوَجَلَّ جمع بين إبراهيم والنبي ﷺ ولم يذكره باسمه بل كناه بالنبوة تعظيمًا له كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨﴾ [آل عمران : ٦٨].

ونهى الله المؤمنين عن مناداته باسمه وإنما يخاطبونه يا رسول الله يا نبي الله كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النور : ٦٣].

ومن فضائله أيضًا أن الله عَزَّوَجَلَّ وملائكته يصلون عليه وأمر المؤمنين بالصلاة عليه ﷺ فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب : ٥٦].

ومن فضائله أيضًا: أن الله أخذ العهد والميثاق من الأنبياء والمرسلين على الإيمان به وتصديقه ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾ [آل عمران : ٨١].

ومن فضائله أيضًا: أن الله عَزَّوَجَلَّ رفق به وسلاه في كثير من آي الكتاب قال تعالى: ﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ ﴾[طه :١ـ٣].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر :٨].

وقال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾[الكهف :٦].

وقال تعالى:﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[النحل :١٢٧].

والحمد لله رب العالمين.



الخطبة الثانية :

الحمد لله أولًا وآخرًا ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن الله عَزَّوَجَلَّ أنزل آيات تتلى بل وسورًا تقرأ إلى يوم القيامة في فضل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾[الشرح :١ ـ ٤].

قال مجاهد : لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.[1]

وما أجمل ما قال حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

ألم تر أن الله أرسل عبده ... ببرهانه والله أعلى وأمجد

أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهود يلوح ويشهد

وضم الإله اسم النبي مع اسمه ... إذا قال : في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجله ... فذ والعرش محمود وهذا محمد[2]

(١) ابن كثير (٤/ ٥٢٦).
(٢) تفسير البغوي (٤/ ٥٠٢).

وقال تعالى: ﴿ وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى :١ ـ ١١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾ [الكوثر :١ـ٣].

ومعنى قوله ﴿ شَانِئَكَ ﴾ :أي مبغضك.

ومعنى قوله ﴿ الْأَبْتَرُ ﴾ : قال : شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: ﴿ الْأَبْتَرُ ﴾ المقطوع النسل الذي لا يولد له خير ولا عمل صالح فلا يتولد عنه خير ولا عمل صالح. (١)

ومن فضائله ﷺ أن الله اختصه بمنزلة رفيعة في الجنة ، ففي صحيح مسلم (٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع النبي ﷺ يقول: [**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرًا ، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة ، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجوأن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة**].

وهو سيد ولد آدم وأول من ينشق عنه القبر يوم القيامة ففي صحيح مسلم(٣) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ :[**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع**].

---

(١) الفتاوى (١٦/ ٥٢٨).
(٢) مسلم برقم (٣٨٤).
(٣) مسلم برقم (٢٢٧٨).

وصح عند ابن ماجه [(١)] عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: [**أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر ، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر**].

وهو أول من يُكسى يوم القيامة بعد نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ففي مُسند أحمد [(٢)] عن كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : [**يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي تبارك وتعالى حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذاك المقام المحمود**].

وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم يوم القيامة كما ثبت عند ابن ماجه [(٣)] عن أُبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: [**إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم غير فخر**].

وهو أول من يقرع باب الجنة ففي صحيح مسلم [(٤)] عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: [**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن :من أنت ؟ فأقول محمد فيقول:بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك**].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : [**أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة**]. [(٥)]

ومن فضائله ﷺ ما ثبت في صحيح البخاري [(٦)] عن عطاء بن يسار

---

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٤٣٠٨).
(٢) أحمد برقم (١٥٧٨٣).
(٣) صحيح ابن ماجه برقم (٤٣١٤).
(٤) مسلم برقم (١٩٧).
(٥) مسلم برقم (١٩٦).
(٦) البخاري برقم (٢١٢٥).

قال : لقيت عبد الله بن عمروبن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: قلت أخبرني عن صفة رسول الله في التوراة قال : أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفوويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا].

ومن فضائله ﷺ أن الله عَزَّوَجَلَّ كتبه نبيًا عنده وآدم بين الروح والجسد ففي مُسند أحمد [1] عن ميسرة الفجر قال : قلت : يا رسول الله متى كتبت نبيًا قال: [وآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بين الروح والجسد].

وعن العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**إني عند الله في أُم الكتاب لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأنبئكم بتأويل ذلك ، دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى قومه ، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام**]. [2]

ومعنى لمنجدل:لمطروح على وجه الأرض صورة من طين لم يجر الروح بعد.

ومن فضائله ﷺ أن الله اتخذه خليلًا والخلة هي أعلى أنواع المحبة ففي صحيح مسلم [3] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: [**لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ، ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله عَزَّوَجَلَّ صاحبكم خليلًا**].

---

(١) أحمد برقم (٢٠٥٩٦) وصححه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (١٨٥٦).
(٢) أحمد برقم (١٧١٥٠) والصحيحة برقم (١٥٤٥).
(٣) مسلم برقم (٢٣٨٣).

ومن فضائله ﷺ أيضًا أن الله عَزَّوَجَلَّ بعثه متممًا لمكارم الأخلاق وصالحها فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: **[إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق]**. (١)

اللهم صل على نبينا محمد ، صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات، وتقضي لنا بها جميع الحاجات ، وتطهرنا بها من جميع السيئات ، وترفعنا بها أعلى الدرجات ، وتبلغنا بها أقصى الغايات ، من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات.



(١) أحمد برقم (٨٩٥٢).

١٨ فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون : إن أصحاب محمد ﷺ هم خير جيل وخير خلق بعد الأنبياء والمُرسلين -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ

خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنًا، فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ» (١).

ويتأكد الفضل والخير في الخلفاء الأربعة لسباقهم في الإسلام ولائهم وجهادهم قال: مسروق بن الأجدع رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السُّنَّة.

وقيل للحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: حب أبي بكر وعمر من السُّنَّة؟ قال: بل فرض.

وقال أبوجعفر الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: من جهل أبي بكر وعمر فقد جهل السُّنَّة. (٢)

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: إن السلف كانوا يعلمون أولادهم حب أبي بكر وعمر كما يعلمونهم السورة من القرآن.

وفي هذه الجمعة المباركة بمشيئة الله تعالى نعيش مع أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي هو أفضل الصحابة قدرًا وأعلاهم منزلة وفخرًا.

أبو بكر الصديق والملقب بالعتيق، إنه خليفة رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار إنه الذي آمن برسول الله ﷺ حين كفر به الناس ونصره يوم خذله الناس وصدقه يوم كذبه الناس إن الله عَزَّ وَجَلَّ جعله آية في كل ميادين العطاء فما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين على رجل خير منه.

(١) أحمد برقم (٣٦٠٠) وسنده حسن.
(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة برقم (١٠٨) بتحقيق شيخنا العلامة وصي الله محمد عباس حفظه الله تعالى.

ورضي الله عن حسان بن ثابت حين قال :

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها إلا النبي وأوفاها بما حملا

التالي الثاني المحمود مشهده وأول الناس طرًا صدق الرسلا

أما نسبه فهو: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي أبو بكر الصديق بن أبي قحافة يجتمع نسبه مع نسب النبي ﷺ في مرة بن كعب.

وأما فضائله فهي كثيرة جدًا يعجز المقام عن ذكر جميعها ولكن أشير إلى أهميها:

أولًا: ذكر الآيات من الذكر الحكيم في فضل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٤٠].

وقد أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب المذكور في هذه الآية الكريمة أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال عن سفيان بن عيينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عاتب الله المسلمين جميعًا في نبيه ﷺ غير أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحده فإنه خرج من المعاتبة ثم قرأ هذه الآية . [١]

(١) الدر المنثور ج٤(٢٠٠) للسيوطي .

وفي الصحيحين [١] عن أنس بن مالك، أن أبا بكر الصديق، حدثه قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله لوأن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال :«**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**» .

قال حسان بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

والثاني اثنين في الغار المنيف   وقد طاف العدوبه إذ صعد الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا   من البرية لم يعدل به رجلا

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر : ٣٣] ، قال : علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ ﴾ قال : محمد ﷺ ، ﴿ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ [٢].

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم : ٤] .

ذهب كثير من المفسرين ، منهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر ومجاهد وغيرهم ، أن صالح المؤمنين : أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ١٧ ٱلَّذِى يُؤۡتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١ ﴾ [الليل : ١٧-٢١] .

---

(١) البخاري برقم (٤٦٦٣) ومسلم برقم (٢٣٨١) واللفظ له.
(٢) تفسير ابن جرير ج ٢٠ (٢٠٤-٢٠٥).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى عنه [(١)]: وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك. ولا شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ ﴾ ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة؛ فإنه كان صديقًا تقيًا كريمًا جوادًا بذالًا لأمواله في طاعة مولاه، ونصرة رسول الله، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منّةٌ يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل؛ ولهذا قال: له عروة بن مسعود -وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية-: أما والله لولا يد لك كانت عندي لم أجزك بها لأجبتك. وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل، فكيف بمن عداهم؟ ولهذا قال: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢].

وفي الصحيحين [(٢)]: من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: ...... قال: أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره-:

---

(١) تفسير ابن كثير ج٤(٥٢٢)
(٢) صحيح البخاري برقم (٤٧٥٠) ومسلم برقم (٢٧٧٠).

والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قال : أبو بكر: بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا...).

وأما ما ورد من الأحاديث في فضائل الصديق فكثيرة منها:

ما ثبت عند الترمذي[1] : عن عائشة، أن أبا بكر، دخل على رسول الله ﷺ فقال :«**أنت عتيق الله من النار**» فيومئذ سمي عتيقًا.

وفي الصحيحين[2] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خطب رسول الله ﷺ ، الناس وقال: «إن الله خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله»، قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه: أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير، فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ : «**إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر**» .

وفي الصحيحين [3] عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال : بعثني رسول الله ﷺ على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ ، قال: «عائشة» قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها» قلت: ثم من؟ قال: «عمر» فعد رجالًا، فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم.

(١) صحيح الترمذي برقم (٣٦٧٩).
(٢) صحيح البخاري برقم (٤٣٥٤) ومسلم برقم (٢٣٨٢).
(٣) صحيح البخاري برقم ٤٣٥٨) ومسلم برقم (٤٣٨٤).

وقد كان الصاحبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لا يقدمون أحدًا منهم على أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال : عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. [١]

وعن محمد ابن الحنفية، قال: قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال: «أبو بكر»، قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر»، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟، قال: «ما أنا إلا رجل من المسلمين» [٢] .

وصح عند النسائي [٣] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. فأتاهم عمر فقال : «ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يصلي بالناس، فإيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟» قالوا : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر.

فهكذا اتفق المسلمون على إمامته وفضله وأحقيته بالإمامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ولله در من قال:

أتته الخلافة منقادة ... تجر إليه بأذيالها

فلم تك تصلح إلا له ... ولم يك يصلح إلا لها

وقد ثبت في سُنَن الترمذي [٤] : عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «أبو بكر سيدنا وخيرنا ، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ » .

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى[٥] : «فهو خير من مؤمن آل فرعون

(١) صحيح البخاري برقم (٣٦٥٥) .
(٢) صحيح البخاري برقم (٣٦٧١) .
(٣) صحيح النسائي برقم (٧٧٦) .
(٤) صحيح الترمذي برقم (٣٦٥٦) .
(٥) فوائد الفوائد ص (٣٥٩).

لان ذلك كان يكتم ايمانه والصديق اعلن به وخير من مؤمن آل ياسين لان ذلك جاهد ساعة والصديق جاهد سنين » .

وقال علي بن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: أعز الله الدين برجلين بأبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يوم الردة ، وبأحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم المحنة.

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: لازم الصديق الصدق فلم يقع منه هناة ولا وقفة في حال من الأحوال.

والهناة : الشر والفساد.

وقال وكيع بن الجراح رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى : لولا أبو بكر لذهب الإسلام.

نسأل الله تعالى أن يحفظ علينا ديننا ، وأن يتوفانا مسلمين ، والحمد لله رب العالمين.



الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي فضل من شاء من عباده ، ورفع في الجنة منازل أحبابه ، والصلاة والسلام على خير الخلاق أجمعين ، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

فيا أيها المؤمنون : إن فضائل أبي بكر ومناقبه أكثر من أن تحصى ، ولكن حسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق ، ومن السوار ما أحاط بالمعصم ، وإن من أجل فضائله أنه أول العشرة المبشرين بالجنة ففي سُنَن الترمذي(١) عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبوعبيدة بن الجراح في الجنة**» .

وفي الصحيحين (٢) عن أبوموسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه توضأ في بيته، ثم خرج، فقلت: لألزمن رسول الله ﷺ ، ولأكونن معه يومي هذا، قال: فجاء المسجد فسأل عن النبي ﷺ ، فقالوا: خرج ووجه ها هنا، فخرجت على إثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس، فجلست عند الباب، وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأ، فقمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها، وكشف عن ساقيه ودلاهما

(١) صحيح الترمذي برقم (٣٧٤٧) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.
(٢) البخاري برقم (٣٦٧٤) ومسلم برقم (٢٤٠٣).

في البئر، فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب، فقلت لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم، فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلت: من هذا؟ فقال :أبو بكر، فقلت: على رسلك ثم ذهبت، فقلت: يا رسول الله، هذا أبو بكر يستأذن؟ فقال :«ائذن له وبشره بالجنة». فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل، ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف، ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ ، وكشف عن ساقيه».

بل أخبر النبي ﷺ أنه يدعى يوم القيامة من أبواب الجنة الثمانية ففي البخاري ومسلم [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : أن رسول الله ﷺ قال: **«من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة، دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد، دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة، دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام، دعي من باب الريان « قال : أبو بكر الصديق: يا رسول الله، ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال رسول الله ﷺ : «نعم، وأرجوأن تكون منهم» .**

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ :

ولسوف يدعى المرء من أبوابها جميعا إذا وفى حلى الإيمان
منهم أبو بكر الصديق ذا ك خليفة المبعوث بالقرآن

(١) البخاري برقم ٣٦٦٦) ومسلم برقم (١٠٢٧).

بل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أهل الغرف العالية في الجنان فعند الترمذي[١] عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر، وعمر منهم وأنعما**» ومعنى وأنعما: أي زادا فضلًا وقيل معناه صارا إلى النعيم ودخلا فيه.

وفي سُنَن الترمذي[٢] عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت مع رسول الله ﷺ إذ طلع أبو بكر وعمر، فقال رسول الله ﷺ: «**هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، يا علي لا تخبرهما**».

ومن فضائله أن رسول الله ﷺ بشره بالصديقية، ففي البخاري[٣] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ صعد أحدًا، وأبو بكر، وعمر، وعثمان فرجف بهم، فقال: «**اثبت أحد فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان**» والشهيدان هما عمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ومن فضائله سبقه إلى الخيرات وإنفاقه المال في إعلاء كلمة الله ففي صحيح مسلم[٤] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم اليوم صائمًا؟**»، قال: أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا، قال: «**فمن تبع منكم اليوم جنازة؟**»، قال: أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا، قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟**»، قال: أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا، قال: «**فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟**»، قال: أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن في امرئ، إلا دخل الجنة**».

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٣٦٥٨) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) صحيح الترمذي برقم (٣٦٦٥) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) البخاري برقم (٣٦٧٥).
(٤) صحيح مسلم (١٠٢٨).

وفي سُنَن أبي داود [١] عن عمر بن الخطاب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق، فوافق ذلك مالًا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ : «ما أبقيت لأهلك؟»، قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكل ما عنده، فقال : له رسول الله ﷺ : «**ما أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا.

وفي مُسند الإمام أحمد[٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **من أنفق زوجًا - أوقال زوجين - من ماله - أراه قال: في سبيل الله - دعته خزنة الجنة: يا مسلم، هذا خير هلم إليه** »، فقال : أبو بكر: هذا رجل لا توى عليه، فقال رسول الله ﷺ : «**ما نفعني مال قط إلا مال أبي بكر**»، **قال: فبكى أبو بكر، وقال: وهل نفعني الله إلا بك؟ وهل نفعني الله إلا بك؟ وهل نفعني الله إلا بك**» .

أبـو بكـر حبا في الله مـالًا   واعـتـق في محبتـه بـلالا

وقـد واسـى النبي بكل فضل   وأسرع في إجـابته بلالا

ومن فضائله أيضًا أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن يقتدوا بأبي بكر وعمر ، فقد ثبت عند الترمذي [٣] عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود**» .

إن منزلة أبي بكر وعمر من هذا الدين عظيمة فعن جابر بن عبد الله،

(١) صحيح أبي داود برقم (١٦٧٨) وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) مُسند أحمد برقم (٨٧٩٠) وحسنه شعيب رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٣) صحيح الترمذي برقم (٣٨٠٥) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال: قال رسول الله ﷺ : «**أبو بكر وعمر من هذا الدين ، كمنزلة السمع والبصر من الرأس**» . [(١)]

ومن فضائله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جمع القرآن الكريم حتى قال : علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : أعظ الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر .

فقد عهد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بجمع القرآن إلى زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقام بالأمر وكتب المصحف في صحف جمعت كلها عند أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حتى اتكلت بعده إلى عمر ومن بعد عمر إلى عثمان .

ومن فضائله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه كان أورع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأكثرهم زهدًا ففي صحيح البخاري [(٢)] عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: « كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يومًا بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال : له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال : أبو بكر: وما هو؟، قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده، فقاء كل شيء في بطنه » .

فيا عباد الله : اعرفوا مكانة هذا الصحابي وقدره واحذروا من الطعن فيه فقد قال : محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: قال: «ما أظن رجلًا ينتقص أبا بكر وعمر يحب النبي ﷺ ». [(٣)]

وفاته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: مرض أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وتوفي في ليلة الثلاثاء بين مغرب وعشاء ليلة ثلاث وعشرين من جمادى الآخرة سَنة ثلاث عشرة من الهجرة

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة برقم (٢٥٠٧) وحسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٨١٥) .

(٢) البخاري برقم (٣٨٤٢) .

(٣) صحيح الترمذي برقم (٣٦٨٥).وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

وسِنه ثلاث وستون سَنة وافق عمره عمر النبي ﷺ وصلى عليه عمر بن الخطاب ودفن بجوار رسول الله ﷺ وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وتسع ليال وعهد بالخلافة من بعده إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فنسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجزي أبا بكر الصديق عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، وأن يجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ،وحسن أولئك رفيقًا.

اللهم ارزقنا حبك، وحب نبيك ،وحب صحابة نبيك، اللهم اجزهم عنا خير الجزاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



١٩ فضائل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الخُطْبَةُ الأُولَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون : حديثنا معكم في هذه الجمعة بمشئة الله تعالى عن رجل عظيم القدر والمنزلة عن رجل يفخر تاريخنا بانتسابه إليه ، ولله در من قال:

اقــرؤوا التاريخ إذ فيه العبر ضـل قــوم ليس يــدرون الخبر

إنه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول من أرخ بالتاريخ الهجري وأول من دون الدواوين وأول من اتخذ الدِّرة وأول من جمع الناس على صلاة التراويح وأول من سمي أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ولد في مكة بعد عام الفيل بثلاث عشر سَنة قبل الهجرة بأربعين عامًا وأسلم في السَنة السادسة من النبوة وعمره سبع وعشرون سَنة وزوج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بابنته حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

أما نسبه فهو: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي يجتمع نسبه مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كعب وكنيته أبو حفص ولقبه الفاروق.

وبإسلام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ظهر الدين وعلت كلمت التوحيد، فقد كان إسلامه فتحًا وإمارته رحمة .

قال : ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ما زلنا بعزة منذ أسلم عمر. [١]

وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ما عُبد الله جهرة حتى أسلم هذا الرجل .

وهذا مصداق لدعاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أن قال : «**اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أوبعمر بن الخطاب**» [٢].

ولله در القحطاني القائل:

لمـا قـضى صـديـق أحمـد نحبه دفـع الخـلافـة لـلإمـام الثاني

(١) البخاري برقم (٣٦٨٤).
(٢) الترمذي برقم (٣٦٨١) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أعني به الفاروق فرق عنوة بالسيف بين الكفر والإيمان
هو أظهر الإسلام بعد خفائه ومحا الظلام وباح بالكتمان

معاشر المسلمين : لقد وردت الأدلة الكثيرة والأخبار الشهيرة في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإذا سألتم عن إيمانه ففي صحيح البخاري [١] عن عبد الله بن هشام، قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال : له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ : «**لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك**» فقال : له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ : «**الآن يا عمر**» .

وإذا سألتم عن دينه ففي الصحيحين [٢] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ ، يقول: «**بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي، وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض علي عمر وعليه قميص اجتره**»، قالوا: فما أولته يا رسول الله قال: «**الدين**» .

قال عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر بن الخطاب. [٣]

وأما إذا سألتم عن علم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ففي الصحيحين [٤] عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله ﷺ ، قال: «**بينا**

---

(١) البخاري برقم (٦٦٣٢)
(٢) البخاري برقم (٣٦٩١) ومسلم برقم (٢٣٩٠)
(٣) فضائل الصحابة برقم(٣٤٠)بتحقيق شيخنا الكريم/ وصي الله عباس –حفظه الله-.
(٤) البخاري برقم (٣٦٨١) ومسلم برقم (٢٣٩١)

أنا نائم، إذ رأيت قدحًا أتيت به فيه لبن، فشربت منه حتى إني لأرى الري يجري في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب» قالوا: فما أولت ذلك؟ يا رسول الله قال: «**العلم**» .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى(١): والمراد بالعلم هنا العلم بسياسة الناس بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ واختص عمر بذلك لطول مدته بالنسبة إلى أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وباتفاق الناس على طاعته بالنسبة إلى عثمان.

قال قبيصة بن جابر : ما رأيت أحدًا أعلم بالله، ولا أقرأ لكتاب الله، ولا أفقه في دين الله، من عمر بن الخطاب. (٢)

وأما إذا سألتم عن عبقرية عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ففي الصحيحين (٣) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي ﷺ ، قال: «**أريت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبًا، أوذنوبين نزعًا ضعيفًا، والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربًا، فلم أر عبقريًا يفري فريه حتى روي الناس، وضربوا بعطن**» .

ومعنى العبقري : السيد ، والمعنى لم أرى سيدًا يعمل عمله.

واعطن : مبرك الأبل ، ومربض الغنم عند الماء.

وأما إذا سألتم عن هيبة عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وخوف الشيطان منه فقد جاء في البخاري ومسلم (٤) عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ ، وعنده نسوة من قريش

---

(١) فتح الباري ج٧(٥٦).
(٢) فضائل الصحابة برقم (٤٧٢) بتحقيق شيخنا الكريم / وصي الله عباس حفظه الله .
(٣) البخاري برقم (٣٦٨١) ومسلم برقم (٢٣٩١)
(٤) البخاري برقم (٣٦٨٣) ومسلم برقم (٢٣٩٦)

يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته ، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك، فقال : عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال النبي ﷺ : «**عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب**» فقال : عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله، ثم قال: عمر: يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ ؟ فقلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «**إيهًا يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا قط، إلا سلك فجًا غير فجك**» . ومعنى إيهًا : أي حدثنا بما شئت.

وعن بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ ، قال: «إني لأحسب الشيطان يفر منك يا عمر» .[1]

وفي سُنَن الترمذي [2] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قالت: كان رسول الله ﷺ جالسًا فسمعنا لغطًا وصوت صبيان، فقام رسول الله ﷺ فإذا حبشية تزفن والصبيان حولها، فقال :«**يا عائشة تعالي فانظري**». فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله ﷺ ، فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه، فقال : لي: «**أما شبعت، أما شبعت**». قالت: فجعلت أقول : لا لأنظر منزلتي عنده إذ طلع عمر، قالت: فارفض الناس عنها: قالت: فقال رسول الله ﷺ : «**إني لأنظر إلى شياطين الإنس والجن قد فروا من عمر**» قال : عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فرجعت.

وأما إذا سألتم عن عدله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد أصيب الناس في إحدى السنوات

(١) صحيح ابن حبان برقم (٦٨٩٢) وصححه الشيخ شعيب رَحِمَهُ اللَّهُ كما في صحيح ابن حبان.
(٢) صحيح الترمذي برقم (٣٦٩١)

خلافته بمجاعة شديدة أجدبت الأرض واسودت وانقطع المطر وسمي ذلك العام بعام الرمادة فكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأكل الخبز والزيت ويقول : لن أشبع حتى يشبع أطفال المسلمين.

ففي صحيح البخاري [١] عن عمرو بن ميمون، قال: قال: عمر: لئن سلمني الله، لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدًا، قال: فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب».

ووقف الهرمزان وهو أحد ملوك الفُرس في ذات يوم وهو بأعظم حلة؛ على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو نائم في المسجد على هيئة متواضعة، فلم يعرفه ، وسأل أين عمر ؟، فأشير إليه فقـال : متعجبًا وأين حرسه وجنوده ؟، فقيل : ليس له حرس ، فقال : عدلت فأمنت فنمت.

وراع صاحب كسرى أن رأى عمرًا ... بين الرعية عطـلًا وهو راعيها

وعهده بملوك الفرس أن لـها ... سورًا من جند والأحراس يحميها

رآه مستغرقًا في نومه فـرأى ... فيه الجلالة وأسمى معانيها

فـهـان في عينه مـاكـان يكبره ... من الأكـاسر والدنيا بأيديها

وقـال قولة حق أصحبت مثلًا ... وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها

أمنت لما أقمت العدل بينهم ... فنمت نوم قرير العين هانيها

وعند أبي نعيم في الحلية [٢] قال : عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لو ماتت شاة على الفرات ضائعة لظننت أن الله تعالى سائلي عنها يوم القيامة.

(١) صحيح البخاري برقم (٣٧٠٠)
(٢) الحلية ج١(٨٩)

عباد الله : إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشره رسول الله ﷺ بالجنة فهو ثاني العشرة المبشرين بالجنة ففي سُنَن الترمذي [١] عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**» .

وفي الصحيحين [٢] عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ : «**افتح له وبشره بالجنة**» ففتحت له، فإذا أبو بكر، فبشرته بما قال النبي ﷺ :، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ : «**افتح له وبشره بالجنة**»، ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي ﷺ :فحمد الله، ثم استفتح رجل، فقال : لي: «**افتح له وبشره بالجنة، على بلوى تصيبه**»، فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ : فحمد الله، ثم قال: الله المستعان.

فعند الترمذي[٣] عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر، وعمر منهم وأنعما**» ومعنى وأنعما : أي زادا فضلًا وقيل معناه صارا إلى النعيم ودخلا فيه.

وفي سُنَن الترمذي [٤] عن علي بن أبي طالب، قال: كنت مع رسول الله ﷺ إذ طلع أبو بكر وعمر، فقال رسول الله ﷺ : «**هذان سيدا كهول أهل**

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٣٦٨٩)
(٢) البخاري برقم (٣٦٩٣) ومسلم برقم(٢٤٠٣)
(٣) صحيح الترمذي برقم (٣٦٥٨) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.
(٤) صحيح الترمذي برقم (٣٦٦٥) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، يا علي لا تخبرهما» .

وفي الصحيحين [١] عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: « **بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته، فوليت مدبرًا»**.
فبكى عمر، وقال: أعليك أغار يا رسول الله .

وفي سُنَن الترمذي[٢] عن بريدة بن الحصيب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالًا فقال :« **يا بلال بم سبقتني إلى الجنة؟، ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي، دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي، فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لرجل من العرب، فقلت: أنا عربي، لمن هذا القصر؟ قالوا لرجل من قريش، فقلت: أنا قرشي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقلت: أنا محمد لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب** » . فقال بلال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : يا رسول الله ما أذنبت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله عليَّ ركعتين. فقال : رسول ﷺ : «**بهما**» .

نسأل الله التوفيق لنا جميعًا إلى ما فيه رضاه ، والله المستعان .



(١) البخاري برقم (٣٦٨٠) ومسلم برقم(٢٣٩٥)
(٢) صحيح الترمذي برقم (٣٦٨٩)

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، الرافع لأوليائه المتقين والموفق لهم في الدارين، وصلاة وسلامًا على سيد الخلق أجمعين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فقد رزق الله عَزَّوَجَلَّ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السداد في الرأي والإصابة في القول فكان إذا قال : نزل القرآن موافقًا لرأيه ففي صحيح البخاري.[١]

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يك في أمتي أحد، فإنه عمر بن الخطاب**» .

ومعنى محدثون: أي ملهمون.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**». **وقال ابن عمر: ما نزل بالناس أمر قط فقالوا: فيه وقال فيه عمر إلا نزل فيه القرآن على نحوما قال : عمر** » .[٢]

وعن طارق بن شهاب قال: كنا نتحدث أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينطق على لسانه ملك.[٣]

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على المنبر: ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر.[٤]

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٦٨٩)
(٢) صحيح الترمذي برقم (٣٦٨٢)
(٣) فضائل الصحابة برقم (٣٤١) بتحقيق شيخنا وصي الله.
(٤) فضائل الصحابة برقم (٣١٠) بتحقيق شيخنا وصي الله.

وقد ثبت في الصحيحين [١] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « وافقت ربي في ثلاث: فقلت يا رسول الله، لواتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥] وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله، لوأمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ فنزلت هذه الآية» .

وفي سُنَن أبي داود [٢] عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزل تحريم الخمر قال : عمر: اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شفاءً ، فنزلت الآية التي في البقرة ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢١٩] الآية، قال: فدعي عمر فقرئت عليه، قال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء، فنزلت الآية التي في النساء ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ ﴾ [النساء: ٤٣] فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقيمت الصلاة ينادي: «**ألا لا يقربن الصلاة سكران**»، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال :اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شفاءً ، فنزلت هذه الآية ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١] قال : عمر: انتهينا.

أيها المسلمون: لقد بشر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالشهادة فقد ثبت في البخاري [٣] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ صعد أحدًا، وأبو بكر، وعمر، وعثمان فرجف بهم، فقال :«**اثبت أُحد ، فإنما**

(١) صحيح البخاري برقم (٤٠٢) ومسلم برقم (٢٣٩٩)
(٢) صحيح أبي داود برقم (٣٦٧٠)
(٣) صحيح البخاري برقم (٣٦٧٥)

عليك نبي، وصديق، وشهيدان» والشهيدان هما عمر وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وفي سُنَن ابن ماجه [(١)] عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ : رأى على عمر قميصًا أبيض فقال :«**ثوبك هذا غسيل أم جديد؟**» قال: لا، بل غسيل. قال: «**البس جديدًا، وعش حميدًا، ومت شهيدًا**» .

وكان من دعاء عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ » . [(٢)]

بل صح عند ابن أبي الدنيا [(٣)] أن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما نفر من منى، أناخ بالأبطح، ثم كوم كومة من بطحاء، فألقى عليها طرف ردائه، ثم استلقى، ورفع يديه إلى السماء، ثم قال: «اللهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط، فما انسلخ ذو الحجة حتى طعن فمات رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ».

فاستجاب الله له دعوته وتحقيق ما أخبر به نبيه ﷺ ففي صحيح ابن حبان[(٤)] عن أبي رافع، قال: كان أبولؤلؤة عبدًا للمغيرة بن شعبة، وكان يصنع الأرحاء، وكان المغيرة يستغله كل يوم بأربعة دراهم، فلقي أبولؤلؤة عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال :يا أمير المؤمنين، إن المغيرة قد أثقل علي غلتي: فكلمه يخفف عني، فقال : له عمر: «اتق الله، وأحسن إلى مولاك»، فغضب العبد وقال: وسع الناس كلهم عدلك غيري، فأضمر على قتله، فاصطنع خنجرًا له رأسان، وسمه، ثم أتى به الهر مزان فقال :كيف ترى

---

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٣٥٥٨)
(٢) البخاري برقم (١٨٩٠)
(٣) مجابي الدعوة ص(٦٤) وسنده حسن.
(٤) صحيح ابن حبان برقم (٦٩٠٥) وصححه العلامة الألباني في التعليقات الحسان برقم (٦٨٦٦) وهو في البخاري مطولًا برقم (٣٧٠٠) عن عمرو بن ميمون.

هذا؟، فقال :إنك لا تضرب بهذا أحدًا إلا قتلته ، قال: وتحين أبولؤلؤة عمر، فجاءه في صلاة الغداة، حتى قام وراء عمر، وكان عمر إذا أقيمت الصلاة، يقول: «أقيموا صفوفكم»، فقال :كما كان يقول، فلما كبر وجاءه أبو لؤلؤة في كتفه، ووجأه في خاصرته، فسقط عمر وطعن بخنجره ثلاثة عشر رجلاً ، فهلك منهم سبعة وحمل عمر، فذهب به إلى منزله، وصاح الناس حتى كادت تطلع الشمس، فنادى الناس عبد الرحمن بن عوف: يا أيها الناس، الصلاة الصلاة، قال: ففزعوا إلى الصلاة، فتقدم عبد الرحمن ابن عوف، فصلى بهم بأقصر سورتين في القرآن، فلما قضى صلاته توجهوا إلى عمر، فدعا عمر بشراب لينظر ما قدر جرحه، فأتي بنبيذ فشربه، فخرج من جرحه فلم يدر أنبيذ هو أم دم، فدعا بلبن فشربه فخرج من جرحه، فقالوا: لا بأس عليك يا أمير المؤمنين، قال: إن يكن القتل بأسًا فقد قتلت، فجعل الناس يثنون عليه يقولون جزاك الله خيرًا يا أمير المؤمنين، كنت وكنت، ثم ينصرفون، ويجيء قوم آخرون، فيثنون عليه، فقال : عمر: أما والله على ما تقولون وددت أني خرجت منها كفافًا لا علي ولا لي، وإن صحبة رسول الله ﷺ سلمت لي، فتكلم عبد الله بن عباس - وكان عند رأسه، وكان خليطه كأنه من أهله، وكان ابن عباس يقرئه القرآن - فتكلم ابن عباس فقال :لا والله، لا تخرج منها كفافًا لقد صحبت رسول الله ﷺ فصحبته وهو عنك راض بخير ما صحبه صاحب، كنت له، وكنت له، وكنت له، حتى قبض رسول الله ﷺ وهو عنك راض، ثم صحبت خليفة رسول الله، فكنت تنفذ أمره وكنت له، وكنت له، ثم وليتها يا أمير المؤمنين أنت، فوليتها بخير ما وليها وال، وكنت تفعل، وكنت تفعل، فكان عمر يستريح إلى حديث ابن عباس، فقال : له عمر: «كرر علي حديثك»، فكرر

عليه، فقال : عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : «أما والله على ما تقول لوأن لي طلاع الأرض ذهبًا لافتديت به اليوم من هول المطلع، قد جعلتها شورى في ستة عثمان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن ابن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وجعل عبد الله بن عمر معهم مشيرًا، وليس منهم، وأجلهم ثلاثًا، وأمر صهيبًا أن يصلي بالناس، رحمة الله عليه ورضوانه» .

وكان قتله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ودفن بجوار رسول الله ﷺ وأبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وصلى عليه صهيب الرومي وكانت مدة خلافته عشر سنين ونصفًا وأيامًا وحجها كلها وذهب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بعد جهاد كبير وتضحية عالية.

قال عمروبن ميمون رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : إني لأرى هلاك عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هدم ثلث الإسلام.[١]

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وارض اللهم عن الصحابة أجمعين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الرحمين.

والحمد لله رب العالمين .

(١) فضائل الصحابة برقم (٣٩٠) تحقيق الشيخ وصي الله عباس.

٢٠ فضل أمة محمد ﷺ

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: موضوع خطبتنا في هذا اليوم المبارك عن فضل أمة محمد ﷺ نذكر هذا لتدرك الأمة المرحومة كيف أكرمها الله لتعرف حقيقتها وقيمتها ولتقوم بدورها وقيادتها قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ

﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران : ١١٠].

وثبت في مُسند الإمام أحمد [(١)] عن معاوية بن حيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : [**أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله** عَزَّوَجَلَّ].

قال الإمام المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله عليه الصلاة والسلام «**أنتم خيرها وأكرمها**»: ويظهر هذا الإكرام في أعمالهم وأخلاقهم وتوحيدهم ومنازلهم في الجنة ومقامهم في الموقف ووقوفهم على تل يشرفون عليهم إلى غير ذلك ومما فضلوا به الذكاء وقوة الفهم ودقة النظر وحسن الاستنباط ، فإنهم أوتوا من ذلك ما لم ينله أحد ممن قبلهم. [(٢)]

وقد جاء في مُسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ [(٣)] عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : [**يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي تبارك وتعالى حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذاك المقام المحمود**]. أي المذكور في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[الإسراء : ٧٩].

ولكثرة الخير في هذه الأمة فقد مثلها الرسول ﷺ بالمطر ، ففي مُسند أحمد [(٤)] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال : [**إن مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أوآخره**].

---

(١) أحمد برقم (٢٠٠١٥).
(٢) فيض القدير (٢/ ٥٥٣).
(٣) أحمد برقم (١٥٧٨٣).
(٤) أحمد برقم (١٢٣٢٧).

ورجح ابن عبد البر أن الأفضلية المذكورة في حديث [**خير الناس قرني**] إنما هي بالنسبة إلى المجموع لا الأفراد.

وهذه الأمة هي أمة الوسط قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومعنى ﴿ جَعَلْنَٰكُمْ ﴾: أي صيرناكم.

ومعنى ﴿ وَسَطًا ﴾: أي عدلًا خيارًا.

ومعلوم أن الوسط هو الأفضل كما قال تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [القلم : ٢٨].

أي خيرهم وأفضلهم.

وقوله ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ هذه منقبة ثانية لهذه الأمة أي أن هذه الأمة تشهد يوم القيامة أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم إلى أقوامهم ففي صحيح البخاري [1] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :[**يدعى نوح يوم القيامة فيقول:لبيك وسعديك يا رب فيقول:هل بلغت ؟ فيقول:نعم فيقال لأمته هل بلغكم ؟ فيقولون ما أتانا من نذير فيقول:من يشهد لك ؟ فيقول:محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ** ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ . **فذلك قوله جل ذكره :** ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ **والوسط العدل**].

زاد أحمد في روايته [..وما علمكم فيقولون جاءنا نبينا فأخبرنا أن

---

(١) البخاري برقم (٤٤٨٧).

الرسل قد بلغوا فذلك قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾].[١]

ومن فضائل وخصائص هذه الأمة أن الله اجتباها واصطفاها ورفع عنها الأغلال والآصار التي كانت في الأمم السابقة قال تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج : ٧٨].

وقد جاء عند أحمد [٢] عن محجن بن الأدرع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ بلغه أن رجلًا في المسجد يطيل الصلاة فأتاه فأخذ بمنكبه ثم قال : إن الله عَزَّ وَجَلَّ رضي لهذه الأمة اليسر وكره لها العسر قالها ثلاث مرات ، وإن هذا أخذ بالعسر وترك اليسر ونشله نشلًا ، فما رئي بعد ذلك].

ومن فضائل هذه الأمة أنها أمة مرحومة ، ففي سُنَن أبي داود [٣] عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ :[**أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل**].

والمراد بالأمة هنا أمة الإجابة لا الدعوة.

ومن فضائل هذه الأمة أن الله عَزَّ وَجَلَّ يدفع يوم القيامة لكل مسلم يهوديًا أونصرانيًا ليكون فداءً له من النار ففي صحيح مسلم [٤] عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : [**إذا كان يوم القيامة دفع الله عَزَّ وَجَلَّ إلى**

(١) أحمد برقم (١١٥٥٨) والصحيحة برقم (٢٤٤٨).
(٢) أحمد برقم (٢٠٣٤٧) والصحيحة برقم (١٦٣٥).
(٣) صحيح أبي داود برقم (٤٢٧٨).
(٤) مسلم برقم (٢٧٦٧).

كل مسلم يهوديًا أونصرانيًا فيقول:هذا فكاكك من النار].

والفكاك: هو الخلاص والفداء.

وثبت عند الحاكم [(١)] عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: **[تحشر هذه الأمة على ثلاثة أصناف : صنف يدخلون الجنة بغير حساب، وصنف يحاسبون حسابًا يسيرًا ثم يدخلون الجنة ، وصنف يجيئون على ظهورهم أمثال الجبال الراسيات ذنوبًا ، فيسأل الله عنهم وهوأعلم بهم فيقول: ما هؤلاء ؟ ، فيقولون : هؤلاء عبيد من عبادك فيقول:حطوها عنهم واجعلوها على اليهود والنصارى ، وأدخلوهم برحمتي الجنة].**

وهؤلاء يدخلون النار بكفرهم وذنوبهم لا بذنوب المسلمين لأن الله يقول: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [فاطر : ١٨].

ومن فضائل هذه الأمة أن الله كتب لها النصر والتمكين والغلبة إلى قيام الساعة، ففي صحيح مسلم [(٢)] عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت النبي ﷺ يقول: **[لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال : فينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول:أميرهم تعال صل لنا فيقول:لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة].**

وفي مُسند الإمام أحمد [(٣)] عن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : **[بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا ، لم يكن له في الآخرة نصيب].**

---

(١) وهو في الأحاديث القدسية لمصطفى العدوي .
(٢) مسلم برقم (١٥٦) وغيره.
(٣) أحمد برقم (٢١٢٢٠).

وعند ابن ماجه [١] عن أبي عنبة الخولاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان قد صلى القبلتين مع رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسًا يستعملهم في طاعته**].

وفي سُنَن أبي داود [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن رسول الله ﷺ قال: [**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سَنة من يجدد لها دينها**].

ومن فضائل هذه الأمة أن الله عَزَّوَجَلَّ جعل في أفرادها من الكرامة ما جعل ففي الترمذي [٣] عن عبد الله بن شقيق قال: كنت مع رهط بإيلياء فقال: رجل منهم سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم قيل يا رسول الله سواك ؟ قال: سواي فلما قام قلت من هذا ؟ قالوا هذا ابن أبي الجدعاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**].

قيل هذا الرجل عثمان بن عفان وقيل أويس القرني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والله أعلم من هو.

ومن خصائص هذه الأمة وفضائلها أن الله عَزَّوَجَلَّ يكرم هذه الأمة فيُدخل منها الجنة سبعين ألفًا مع كل ألف سبعون ألفًا وثلاث حثيات من حثياته عَزَّوَجَلَّ، ففي الصحيحين [٤] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: [عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى ﷺ وقومه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد

---

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٨).
(٢) صحيح أبي داود برقم (٤٢٩١).
(٣) صحيح الترمذي برقم (٢٤٣٨).
(٤) البخاري برقم (٥٧٠٥) ومسلم برقم (٢٢٠).

عظيم فقيل لي انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال : بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : ما الذي تخوضون فيه ؟ ، فأخبروه فقال :[**هم الذين لايسترقوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**]، فقام عكاشة بن محصن : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال :أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال :**سبقك بها عكاشة**].

وفي الترمذي [1] عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ [**يقول وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب ، مع كل ألفٍ سبعون ألفًا، وثلاث حثيات من حثيات رب العالمين**] .

فيكون مجموع الذين يدخلون الجنة من أمة محمد ﷺ بغير حساب ولا عذاب أربعة مليون وتسعمائة ألف، وثلاث حثيات من حثيات رب العالمين، والله الموفق ، جعلنا الله وإياكم منهم ، إنه أرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين.



(١) صحيح الترمذي برقم (٢٤٣٧).

الخطبة الثانية :

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وذريته وأصحابه ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: إن أمة حباها الله بهذه الخصائص ومنَّ عليها بهذه الصفات ، لحري بها أن تستيقظ من غفلتها وتنتبه من غفوتها.

وإن مما أكرم الله به أمة الإسلام ما جاء في مُسند أبي يعلى [1] عن أنس ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن رسول الله ﷺ قال : [**أتاني جبريل بمثل المرآة البيضاء فيها نكتة سوداء، قلت : يا جبريل : ما هذه ؟ قال : هذه الجمعة جعلها الله عيدًا لك ولأمتك فأنتم قبل اليهود والنصارى فيها ساعة لا يوافقها عبد يسأل الله فيها خيرًا إلا أعطاه إياه قال : قلت : ما هذه النكتة السوداء ؟ قال: هذا يوم القيامة تقوم في يوم الجمعة ونحن ندعوه عندنا المزيد قال : قلت ما يوم المزيد ؟ قال : إن الله جعل في الجنة واديًا أفيح ـ أي واسعًا ـ وجعل فيه كثبانًا ـ وهوالرمل المستطيل المحدودب ـ من المسك الأبيض فإذا كان يوم الجمعة ينزل الله فيه فوضعت فيه منابر من ذهب للأنبياء وكراسي من در للشهداء ـ والدر جمع درة وهي اللؤلؤة ـ وينزلن الحور العين من الغرف فحمدوا الله ومجدوه ، قال : ثم يقول الله : اكسوا**

(١) مُسند أبي يعلى برقم (٤٢٢٨).

عبادي فيكسون ويقول: أطعموا عبادي فيطعمون ويقول : اسقوا عبادي فيسقون ويقول: طيبوا عبادي فيطيبون ثم يقول : ماذا تريدون ؟ فيقولون: ربنا رضوانك قال : يقول : رضيت عنكم ثم يأمرهم فينطلقون وتصعد الحور العين الغرف وهي من زمّردة خضراء ـ والزمرد حجر كريم أخضر اللون ـ ومن ياقوتة حمراء ـ والياقوت حجر من الأحجار الكريمة ـ].

وهذه الأمة هي أكثر أهل الجنة ففي البخاري ومسلم[1] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع النبي ﷺ في قبة فقال :**[أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة]** . قلنا نعم قال: **[أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة].** قلنا نعم قال: **[أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة]** . قلنا نعم قال: **[والذي نفس محمد بيده إني لأرجوأن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أوكالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر].**

بل وجاء عند الترمذي [2] عن بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : **[أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم].**

بل وجاء عند الخطيب البغدادي [3] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : **[ما من أمة إلا وبعضها في النار وبعضها في الجنة إلا أمتي فإنها كلها في الجنة].**

ومن فضائل هذه الأمة ، أن الله عَزَّوَجَلَّ فتح لها باب التوبة والرحمة ففي

---

(١) البخاري برقم (٦٥٢) ومسلم برقم (٢٢١).
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٥٤٦).
(٣) الخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٣٨٤) صحيح الجامع برقم (٥٦٩٣).

مُسند احمد (١) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال : قالت قريش للنبي ﷺ ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبًا ونؤمن بك قال: [وتفعلون] قالوا نعم قال: [فدعا فاتاه جبريل فقال : إن ربك عَزَّوَجَلَّ يقرأ عليك السلام ويقول إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبًا فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة قال : بل باب التوبة والرحمة].

ومن فضائل هذه الأمة أن الله عَزَّوَجَلَّ وعد رسوله ﷺ أنه سيرضيه في أمته ولا يسوؤه فيها ، ففي صحيح مسلم (٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ تلا قول الله عَزَّوَجَلَّ في دعاء إبراهيم ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ ﴾ [١٤ / إبراهيم / الآية – ٣٦] الآية وقال عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [٥ / المائدة / الآية – ١١٨] فرفع يديه وقال: **اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله : عَزَّوَجَلَّ يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال : وهو أعلم فقال الله : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك].**

ومن فضائل هذه الأمة ما جاء عند ابن ماجه(٣) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : **[خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة . فاخترت الشفاعة ، لأنها أعم وأكفى ، أترونها للمتقين؟ لا ، ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين] .**

(١) أحمد برقم (٢١٦٦).
(٢) مسلم برقم (٢٠٢).
(٣) ابن ماجه (٢/ ١٤٤١) والصحيح المُسند مما ليس في الصحيحين برقم (٨٢٢) لشيخنا الوادعي.

وفي مُسند أحمد(١) عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن النبي ﷺ كان يحرسه أصحابه فقمت ذات ليلة فلم أره في منامه فأخذني ما قَدُم وما حَدُث فذهبت أنظر فإذا أنا بمعاذ قد لقي الذي لقيت فسمعنا صوتًا مثل هزيز الرحا فوقفا على مكانهما فجاء النبي ﷺ من قبل الصوت فقال : هل تدرون أين كنت وفيم كنت أتاني آت من ربي عَزَّوَجَلَّ فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فقال :ا يا رسول الله ادع الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا في شفاعتك فقال :[**أنتم ومن مات لا يشرك بالله شيئًا في شفاعتي**].

ومن فضائل هذه الأمة أن الله جعل سياحة هذه الأمة ورهبانيتها الجهاد في سبيل الله ففي سُنَن أبي داود (٢) عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال : يارسول الله إئذن لي في السياحة قال النبي ﷺ : [**إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ**].

في مُسند الإمام أحمد(٣) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا جاءه فقال: أوصني ، فقال :سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك أوصيك بتقوى الله ، فإنه رأس كل شيء ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن ، فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض] .

وفضائل أمة الإسلام كثيرة وخصائصها عديدة فعلينا معاشر المسلمين أن نكون من أمة الإجابة التي استجابت للكتاب والسُّنَّة حتى نحضا بهذه الفضائل والمناقب فنحمد الله الذي جعلنا من أمة محمد ﷺ .

ونسأل الله بمنه وكرمه أن يحفظ علينا ديننا ، وأن يتوفانا مسلمين.

---

(١) أحمد برقم (١٩٦١٨) .
(٢) صحيح أبي داود (٢٤٨٦).
(٣) أحمد برقم (١١٧٧٤) والصحيحة برقم (٥٥٥).

٢١ فضل طلب العلم

الخُطبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: العلم عبادة عظيمة وشعيرة جليلة ، قال بعض السلف: العلم صلاة السر وعبادة القلب. [(١)]

(١) شرح حلية طالب العلم ص (٢١).

وقال بعضهم: من أحب العلم أحاطت به فضائله. [١]

وقال ربيعة بن فروخ: العلم وسيلة إلى كل فضيلة. [٢]

والعلم سلم النجاة وأصل الفلاح والسعادة إذ هو الداعي إلى كل خير الصارف عن كل شر قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفال٢٩]. أي علمًا تفرقون به بين الحق والباطل وتميزون به بين الحقائق كما قال الله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦﴾ [سبأ: ٦].

والعلم من أعظم أسباب سعادة العبد في الدارين، قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أفضل ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة هو العلم والإيمان ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله ﴿لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ﴾ [الروم: ٥٦].

وقوله تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة: ١١]. وهؤلاء هم خلاصة الوجود ولبه والمؤهلون للمراتب العالية. [٣]

ولله در القائل:

وما يغنيك تشييد المباني ... إذا بالجهل نفسك قد هدمتا

جعلت المال فوق العلم جهلا ... لعمرك في القضية ما عدلتا

---

(١) أدب الدنيا والدين ص (٣١٧) للماوردي.

(٢) السير (٦/ ٩٠) وسنده صحيح.

(٣) فوائد الفوائد ص (٢٣٥) ترتيب الشيخ الحلبي.

وبينهما بنص الوحي بـــون ستعلمه إذا طه قرأتـــا

وقال آخر:

العلم أعلى من الأمـوال منزلة لأنــه حـافـظ والمــال محفوظ

أيها المسلمون: ليس كالعلم شيء في علوقدره وسموشرفه ورفعة مكانته فهو ملك وسيادة ورفعة وعزة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾[البقرة : ٢٤٧].

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تفقهوا قبل أن تسودوا . قال : البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبعد أن تسودوا . [١]

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن تكلم في الفقه نما قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه، لم ينفعه علمه[٢]

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : يا بني تعلموا العلم فإن كنتم سادة فقتم وإن كنتم وسطًا سدتم وإن كنتم سوقة عشتم. [٣]

ومهما كان فإن الإنسان لا يقوى ولا يرقى إلا بالعلم ، كما قيل:

العلم يرفع بيتًا لا عــماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف

(١) البخاري (١/ ٢٢٣).
(٢) السير (١٠/ ٢٤).
(٣) أدب الدنيا والدين ص(٢٧) للماوردي.

معاشر المسلمين: لقد مدح الله نفسه بعلمه فقال تعالى : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام : ٥٩].

وامتن تبارك وتعالى على نبيه بالعلم ، فقال تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء : ١١٣].

وامتدح عباده بما وهب لهم من العلم ، فقال تعالى : ﴿ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ﴾ [الأنعام : ٩١].

وقال تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرحمن : ١ ـ ٤].

وقال تعالى : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق : ١ ـ ٥].

ومدح الله تبارك وتعالى يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بالعلم فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يوسف : ٦٨].

وفضل الله آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على الملائكة بالعلم قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [البقرة٣١] .

ومدح الخضر بالعلم قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ [الكهف: ٦٥].

ومدح داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بالعلم فقال تعالى: ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [ص٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ

لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾[النمل : ١٥].

ومعلوم أن الله قد آتاهما مالًا وملكًا ولكنه خص العلم بالذكر لمكانته وشرفه وفضلهما بالعلم.

ومدح موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالعلم قال تعالى :﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[القصص : ١٤].

ومدح يوسف بالعلم قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[يوسف : ٢٢].

وامتن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالعلم فقال تعالى :﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾[المائدة : ١١٠].

وأحل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صيد الكلاب المُعلَّمة وحرم صيد الكلاب التي ليست مُعلَّمة قال تعالى :﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾[المائدة : ٤].

وبالعلم صال الهدهد وقويت حجته عند سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النمل:٢٠ ـ ٢٢].

واستشهد الله عَزَّوَجَلَّ بأهل العلم على أجل مشهود به وهو التوحيد وقرن

شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته قال الله : عَزَّوَجَلَّ ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران : ١٨].

وصدق من قال:

فما الفخر إلا لأهل العلم إنهمُ   على الهدى لمن استهدى أدلاءُ
وفضل كل امرئ ما كان يحسنه   والجاهلون لأهل العلم أعداءُ
ففز بعلم تعش حيًا به أبــدًا   الناس موتى وأهل العلم أحياءُ

وقال آخر :

رضينا قسمة الجبار فينا   لنا علم وللجهال مال
فعز المال يفنى عن قريب   وعز العلم باق لا يزال

وقد وصف الله عَزَّوَجَلَّ خليله ونبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بصفات عظيمة وما ذاك إلا لكمال العلم قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[النحل: ١٢٠-١٢٢].

وقد سمى الله الخروج في طلب العلم نفيرًا كالخروج في طلب العدو، وهذا يدل على أن العلم جهاد في سبيل الله كما قال تعالى :﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[التوبة: ١٢٢].

قال أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : من رأى الغدو والرواح في طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص عقله ورأيه. [١]

وقال بعض السلف: من طلب العلم فقد بايع الله عَزَّوَجَلَّ. [٢]

عباد الله: العلم من أفضل الأعمال الصالحة وآكد الواجبات فقد ثبت عن عدة من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قال رسول الله ﷺ :[طلب العلم فريضة على كل مسلم]. [٣]

قال الإمام الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما عبد الله بمثل العلم. [٤]

وعن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ ، قال : : الفهم في كتاب الله والعلم ﴿ وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ الجنة. [٥]

وقال أبوالأسود الدؤلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ليس شيء أعز من العلم وذلك أن الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك. [٦]

وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإن العلماء هم أهل الفقه والخير وتجب طاعتهم ولذلك قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٧٣) تحقيق الحلبي.
(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٧٣) تحقيق الحلبي.
(٣) صحيح ابن ماجه برقم (٢٢٤) فقد جاء عن أنس وجابر وعلي بن أبي طالب وابن عباس والحسين بن علي وأبي سعيد وعبد الله بن مسعود وابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ .
(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٢٥) تحقيق أبي الأشبال الزهيري.
(٥) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٢٩).
(٦) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٥٧).

قال جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ﴿ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ ﴾ أولو الفقه والخير. [١]

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: في قوله تعالى﴿ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ أهل العلم[٢]

ولقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يسأله المزيد من العلم فقال : له ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[طه : ١١٤]. والله لا يأمر نبيه ﷺ بطلب المزيد إلا من الأفضل والأكمل.

وأمره بتعلم العلم قبل القول والعمل كما قال تعالى :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[محمد : ١٩].

وقد سلاه بإيمان أهل العلم قال تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[الإسراء:١٠٧].

والمعنى سواء آمنتم يا معشر قريش بهذا القرآن أم لم تؤمنوا فقد آمن به أهل العلم.

وقال تعالى :﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾[الرعد : ٤٣].

وقد حصر الله خشيته التامة في أهل العلم فقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر : ٢٨].

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا ممن يخشاه حق خشيته وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

أقول ما سمعتم ، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

(١) ابن أبي شيبة (٧/ ٥٦٧).
(٢) تفسير ابن جرير (٧/ ١٨٠).

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم نحمده سبحانه ونشكره على فضله الأعم وأن هدانا للدين الأعظم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو الأعز الأكرم وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله دعا إلى الدين الحق والمنهج الأقوم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد:

فبالعلم تعتز الأمم وتسود وتشيد الحضارات وتقوم فما انتشر العلم في مجتمع إلا سعد واهتدى وما حرم مجتمع منه إلا ضل وشقي وإن من أعظم فضائل العلم أن العالم إذا مات لا تنقطع أجور علمه وتعليمه بعد مماته ففي صحيح مسلم [1] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن رسول الله ﷺ قال: [**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له**].

يموت خزنة الأموال وهم أحياء ويعيش خزان العلم وهم أموات أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة.

أيها المسلمون: تعلموا العلم ؛ فإن تعليمه لله خشية وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ؛ لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل أهل الجنة وهو

---

(١) مسلم برقم (١٦٣١).

الأنس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم في الخير قادة وأئمة يقتص آثارهم، ويُقتدى بأفعالهم ويُنتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم يستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار من الظلم يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلا في الدنيا والآخرة، والتفكر فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام به توصل الأرحام وبه يعرف الحلال من الحرام وهو إمام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء[1].

وصدق الله القائل في كتابه الكريم ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة:٢٦٩].

فلولا العلم ما سعدت نفوس ولا عرف الحلال ولا الحرام

فبالعلم النجاة من المخازي وبالجهل المذلة والرغام

هو الهادي الدليل إلى المعالي ومصباح يضيء به الظلام

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه[2] عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال:[أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم؟] فقلنا يا رسول الله نحب ذلك قال: [أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ خير له من ناقتين وثلاث

(١) نسبته إلى النبي ﷺ لا تصح.
(٢) مسلم برقم (٨٠٣).

خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل].

ورحم الله الحافظ الحكمي القائل:

العلم أحلى وأغلى ما له استمعت ... أذن وأعرب عنه ناطق بفم
العلم أشرف مطلوب وطالبه ... لله أكرم من يمشي على قدم
فقدس العلم واعرف قدر حرمته ... في القول والفعل والآداب فالتزم
يا طالب العلم لا تبغ به بدلًا ... فقد ظفرت ورب اللوح والقلم
واجهد بعزم قوي لا انثناء له ... لويعلم المرء قدر العلم لم ينم
والنية اجعل لوجه الله خالصة ... إن البناء بدون الأصل لم يقم

وقال سابق البربري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العلم فيه حياة القلوب كما ... تحيا البلاد إذا ما مسها المطر
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه ... كما يجلي سواد الظلمة القمر

ومن الكلمات الجميلة التي تروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال : قيمة كل امرئ ما يحسن. هذه الكلمة غاية في البلاغة فقد أخذها الخليل فنظمها شعرًا فقال :

لا يكون العلي مثل الدني ... لا ولا ذوالذكاء مثل الغبي
قيمة المرء قدر ما يحسن المر ... ء قضاء من الإمام علي [1]

(١) أدب الدنيا والدين ص (٢٨).

وأخذها غيره فنظمها شعرًا فقال :

حسود مريض القلب يُخفى أنينه ويُضحى كئيب البال عندي حزينه
يلوم عليَّ أن رحت للعلم طالبًا أجمع من عند الرواة فنونه
فأعرف أبكار الكلام وعونه وأحفظ مما أستفيد عيونه
ويزعم أن العلم لا يكسب الغنى ويُحسن بالجهل الذميم ظنونه
فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه

والعلم الممدوح في القرآن هو علم الدين علم الكتاب والسُّنَّة والأحكام الشرعية.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال : حدثنا وما سوى ذاك وسواس الشياطين

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العلم قال الله : قال : رسوله قال الصحابة هم أولو العرفان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فلان

أيها المسلمون: كيف حرصنا على العلم وكم حبنا له لقد كان شعبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا نسي الحديث بكى وكان إذا فاته الحديث يقول واحزناه وتأمل معي أخي المسلم في حرص الصحابة على العلم ، ففي صحيح البخاري[1] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال : قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم

(١) البخاري برقم (٩٩).

القيامة قال رسول الله ﷺ : [**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أونفسه**].

وفي صحيح البخاري[1] أيضًا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قلت يا رسول الله : إني أسمع منك حديثًا كثيرًا أنساه قال: [**ابسط رداءك**] فبسطته قال: فغرف بيديه ثم قال : ضمه فضممته فما نسيت شيئًا بعده.

وفي صحيح البخاري[2] أيضًا عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يومًا وأنزل يومًا فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره وإذا نزل فعل مثل ذلك فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته فضرب بابي ضربًا شديدًا فقال :أثم هو ففزعت فخرجت إليه فقال: قد حدث أمر عظيم قال : فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي فقلت : طلقكن رسول الله ﷺ قالت: لا أدري ثم دخلت على النبي ﷺ فقلت وأنا قائم : أطلقت نساءك ، قال : لا ، فقلت الله أكبر.

وفي سُنَن الدارمي[3] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : لما توفي رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي ﷺ فإنهم اليوم كثير فقالوا:عجبًا لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى فترك ذلك وأقبلت على المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح على وجهي التراب فيخرج فيراني فيقول:يا ابن عم رسول

(١) البخاري برقم (١١٩).
(٢) البخاري برقم (٨٩).
(٣) الدارمي (١/ ١٤١).

الله ما جاء بك الا أرسلت إلي فآتيك فأقول أنا أحق أن آتيك فاسأله عن الحديث قال : فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس علي فقال : كان هذا الفتى أعقل مني.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما سعادة العلم فلا يورثك إياها إلا بذل الوسع وصدق الطلب وصحة النية. [١]

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :لابد للسالك من همة تسيره وترقيه ، وعلم يبصره ويهديه[٢] .

أيها الإخوة: من خدم العلم خدمه الناس ، من خدم المحابر دانت له المنابر ، ومن صان العلم صانه العلم ، ومن هان العلم هان على الناس.

هذا والله نسأله المزيد من فضله ، والعون على طاعته إنه أرحم الراحمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.



(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٦٣).
(٢) الدرر الكامنة (٤/ ٢١).

٢٢ ذم الجهـــل

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلاَ مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْللِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: إن الله عَزَّوَجَلَّ ذم الجهل ومقت أهله ، حتى قال بعض السلف: ما عصي الله بذنب أقبح من الجهل.

وقيل لبعض السلف: أي شيء أقبح من الجهل ، قال : الجهل بالجهل

قيل صدقت صدقت ، لأنه يسد باب العلم بالكلية.

والجهل هو: نقيض العلم. (١)

وقيل : هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه. (٢)

والجهل على قسمين:

الجهل البسيط: وهو عدم العلم عما من شأنه أن يكون معلومًا قال الله تعالى :﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: ٧٨] .

الجهل المركب: وهو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع.

وقد أخبر النبي ﷺ عن ظهور الجهل وانتشاره قبل قيام الساعة ففي الصحيحين (٣) عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويكثر الجهل ، ويكثر الزنا ، ويكثر شرب الخمر ، ويقل الرجال ويكثر النساء ، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد**].

وعن عمرو بن تغلب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**إن من أشراط الساعة أن يفيض المال ، ويكثر الجهل ، وتظهر الفتن ، وتفشو التجارة ، ويظهر العلم**]. (٤)

وفي الصحيحين (٥) عن عبد الله بن مسعود وأبي موسى رضي الله عنهما قالا: قال النبي ﷺ : [**إن بين يدي الساعة لأيامًا ينزل فيها الجهل ويرفع فيها**

---

(١) لسان العرب (١١/ ١٢٩).
(٢) التعريفات (١١٢) للجرجاني.
(٣) البخاري برقم (٨٠) ومسلم برقم (٢٦٧١).
(٤) الحاكم (٢/ ٧) والصحيحة برقم (٢٧٦٧).
(٥) البخاري برقم (٧٠٦٢) ومسلم برقم (٢٦٧٢).

العلم ويكثر فيها الهرج] والهرج القتل .

ومعنى ينزل فيها الجهل: أي يتمكن في الناس برفع العلم بموت العلماء.

والجهل مذموم في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وفي سُنَّة النبي ﷺ وعند السلف الصالح ، قال الله تعالى :﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[الأنعام١١١] .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الأنعام٣٧] .

وقال تعالى :﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الفرقان٤٤] .

وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأنفال٢٢_٢٣] .

وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الأنعام٣٥] .

وقال تبارك وتعالى إخبارًا عن كليمه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال : ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[البقرة٦٧] .

ووعظ الله نبيه نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال تبارك وتعالى : ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ

عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[هود :٤٦] .

وأمر الله نبيه محمدًا ﷺ بالإعراض عن الجاهلين فقال : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[الأعراف١٩٩] .

وأثنى الله تبارك وتعالى على عباده الصالحين فقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[القصص٥٥] .

وقال جلت عظمته : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾[الفرقان :٦٣] .

وقد حذر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أقوامهم من الجهل قال الله تبارك وتعالى : عن نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[هود:٢٩] .

وقال تبارك وتعالى عن موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[الأعراف:١٣٨] .

وقال تبارك وتعالى عن لوط عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه : ﴿ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النمل:٥٥] .

وقد أمر ربنا سبحانه نبينا محمدًا ﷺ أن يقول : ﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[الزمر:٦٤] .

وثبت في مُسند الإمام أحمد [(١)] عن أبي واقد الليثي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : أنهم خرجوا عن مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين قال : وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط قال : فمررنا بسدرة خضراء عظيمة قال : فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ : قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ إنها السُنَن لتركبن سُنَن من كان قبلكم سُنَّة سُنَّة] .

وقد بين الله تبارك وتعالى عن هذا الإنسان أنه حمل الأمانة لجهله وظلمه قال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب٧٢] .

ومن قبح الجهل أن أهله هم أعداء الرسل قال : العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وليس على دين الرسل أضر من الجهال بل هم أعداؤهم على الحقيقة. [(٢)]

وقال أبو بكر بن دريد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

جهلت فعاديت العلوم وأهلها كذاك يعادي العلم من هوجاهله

ومن كان يهوى أن يرى متصدرا ويكره لا أدري أصيبت مقاتله

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : العلم بمنزلة الإسلام ، والجهل بمنزلة الكفر.

---

(١) أحمد برقم (٢١٨٩٧).
(٢) الضوء المنير (٣/ ٧٧).

والجهل داء خطير ومرض عضال ، ولذلك ثبت في سُنَن أبي داود [(١)] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلًا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم ، فسأل أصحابه فقال : هل تجدون لي رخصة في التيمم ؟، فقال : وما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء ، فاغتسل فمات ، فلما قدمنا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر بذلك ، فقال : [**قتلوه قتلهم الله ، ألا سألوا إذ لم يعلموا ، فإنما شفاء العي السؤال** ..].

ورحم الله ابن القيم القائل:

والجهل داء قاتل وشفاؤه أمران في التركيب متفقان
نص من القرآن أو من سُنة وطبيب ذاك العالم الرباني

والجهل فتنة وأي فتنة ، قال : سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: تعوذوا بالله من فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون. [(٢)]

ومن قبح الجهل أن المشركين قتلوا أولادهم سفهًا بغير علم قال الله تعالى : ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٤٠ ﴾ [الأنعام:١٤٠].

جاء في صحيح البخاري [(٣)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٤٠ ﴾ [الأنعام:١٤٠].

---

(١) صحيح أبي داود برقم (٣٣٦).
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ٤٦) لأبن مفلح.
(٣) البخاري برقم (٣٥٢٤).

إذًا فالجهل سبب للمخازي كلها ، ولله در من قال:

فبالعلم النجاة من المخـــازي وبالجهــل المـذلـة والـرغـام
هو الهــادي الدليل إلى المعالي ومـصـبـاح يــضيء بــه الظلام

فما عصي الله إلا بالجهل ولا ساءت المعاملة بين الناس إلا بالجهل، ففي صحيح مسلم [1] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا قال : يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عنهم ويجهلون علي فقال : [**لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملَّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**] .

فعليكم معاشر المسلمين : بتعلم العلم وتعليمه والبعد عن الجهل والجهلاء فالعلم كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أفضل ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة هو العلم والإيمان ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الروم:٥٦] ، وقوله ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ ﴾[المجادلة:١١] ، وهؤلاء هم خلاصة الوجود ولبه والمؤهلون للمراتب العالية. [2]

وما أجمل ما قاله الحافظ الحكمي [3] رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

العلم أحلى وأغلى ما له استمعت أذن وأعـرب عنـه ناطـق بفم

(١) مسلم برقم (٢٥٥٨).
(٢) فوائد الفوائد (٢٣٥) ترتيب الحلبي.
(٣) المنظومة الميمية (١١ـ ١٣) بتصرف.

العلم أشرف مطلوب وطالبه — بالله أفضل من يمشي على قدم
فقدس العلم واعرف قدر حرمته — في القول والفعل والآداب فالتزم
يا طالب العلم لا تبغي به بدلا — فقد ظفرت ورب اللوح والقلم
واجهد بعزم قوي لا انثناء له — لو يعلم المرء قدر العلم لم ينم
والنية اجعل لوجه الله خالصة — إن البناء بدون الأصل لم يقم

نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا ، وأن يتوفانا مسلمين .



الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي خلق الخلائق وأحكم ، وشرع الشرائع ، وحلل وحرم، علم الإنسان ما لم يعلم ، وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، إمام المتقين وأشرف المرسلين .

أما بعد :

فقد سمعتم معاشر المسلمين ما في الجهل من أضرار ومخاطر عظيمة .

ولله در من قال:

العلم يعلو بيوتًا لا أساس لها　　　والجهل يهدم بيوت العز والشرف

وهكذا الجهل يكون بفعل المعاصي والعدوان على الناس والسفاهة في القول والعصبيات الجاهلية ، قال الله تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ ﴾ [النساء:١٧] .

وفي صحيح البخاري [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: [من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه].

وفي الصحيحين [٢] عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار ، فقال : الأنصاري يا للأنصار ،

(١) البخاري برقم (١٩٠٣).
(٢) البخاري برقم (٤٩٠٥) ومسلم برقم (٢٥٨٤).

وقال المهاجري يا للمهاجرين فسمع ذاك رسول الله ﷺ فقال :[**ما بال دعوى الجاهلية**] . قالوا يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار فقال : [**دعوها فإنها منتنة**] . فسمع بذلك عبد الله بن أُبي فقال: فعلوها أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فبلغ النبي ﷺ ، فقام عمر فقال : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ : [**دعه لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه**].

والجهل يوقع صاحبه في الضلال ففي البخاري ومسلم [١] عن عبد الله بن عمروبن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**].

وهذا يدل على خطورة الفتوى بالجهل ولذلك ثبت في الصحيحين[٢] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن نبي الله ﷺ قال : كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة ؟ فقال: لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبًا مقبلًا بقلبه إلى الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم

(١) البخاري برقم (١٠٠) ومسلم برقم (٢٦٧٣).
(٢) البخاري برقم (٣٤٧٠) ومسلم برقم (٢٧٦٦).

يعمل خيرًا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة].

وهكذا القضاء بالجهل جرم عظيم يقول الله تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة : ٥٠].

وعند أبي داود في السُنَن [١] عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ قال: **[القضاة ثلاثة واحد في الجنة ، واثنان في النار ، فأما الذي في الجنة ، فرجل عرف الحق فقضى به ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار].**

ولقد كان السلف يحذرون من الجهل فهذا مسعر بن كدام رَحِمَهُ اللَّهُ يقول لولده:

إني منحتك يا كدام نصيحتي ... فاسمع مقال أب عليك شفيق
أما المزاحة والمراء فدعهما ... خلقان لا أرضاهما لصديق
إني بلوتهما فلم أحمدهما ... لمجاور جارًا ولا لرفيق
والجهل يزري بالفتى في قومه ... وعروقه في الناس أي عروق

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لا تصحب أخا الجهل ... وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى ... حليما حين آخاه

---

(١) صحيح أبي داود برقم (٣٥٧٣).

يقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ماشاه
وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه
وللقلب من القلب دليل حين يلقاه

وقال محمد بن الحنفية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أوصاني أبي فقال : يا بني لا تصحبن خمسة ولا ترافقهم في طريق : لا تصحبن فاسقًا فإنه يبيعك بأكلة فما دونها ، قلت يا أبت : وما دونها ، قال : يطمع فيها ثم لا ينالها ، ولا تصحبن كذابًا فإنه بمنزلة السراب ، يبعد عنك القريب ويقرب البعيد ، ولا تصحبن البخيل، فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه ، ولا تصحبن الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، وقد قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل ، ولا تصحبن قاطع رحم ، فإني وجدته ملعونًا في كتاب الله في مواضع منها قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾[محمد: ٢٢-٢٣].

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تعلم فليس المرء يولد عالمًا وليس أخو علم كمن هو جاهل
فإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه المحافل

وقال سابق البربري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يجلي سواد الظلمة القمر
وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها ولا بصير كأعمى ما له بصر

اللهم إنا نسألك العلم النافع والعمل الصالح ، اللهم كما مننت علينا

بالستر والعافية في حال الذنب والمعصية فلا تحرمنا المغفرة والرحمة في حال التضرع والاستكانة اللهم اهدنا للهدى وقنا بالتقوى واغفر لنا مغفرة واقية من عذابك في الدنيا والأخرى .

حب النبي على الأنـام فريضة ... لا تنس ذكـر الهاشمي الأكـرم

إن الصلاة على النبي وسيلة ... فيها النجاة لكل عبد مسلم

صلوا على القمر المنير فـإنه ... نـور تـبـدى في الـغـام المظلم

رحم العباد به عزيز قـادر ... فالشكر لله الـعـلي المنعـم

(٢٣) نعمــــة الأمـــن

الخُطبَةُ الأُولَى[1]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: حديثنا اليوم معكم بمشيئة الله تعالى عن(**نعمة الأمن**) ، ولا يخفى على اللبيب العاقل أن هذا الموضوع من الأهمية بمكان ،

وسنتناول الحديث في هذا الموضوع في العناصر الآتية:

* تعريف الأمن.

* نعمة الأمن في الأوطان.

* الأمن الأخروي.

* أسباب فقد الأمن.

* أسباب الأمن ومقوماته.

معاشر المسلمين: الأمن ضد الخوف ، وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف.

وقال بعضهم: الأمن سكون القلب وذهاب الروع.

والأمين: هو الذي اطمأن به أهله ومنه قوله تعالى ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ ﴾ [التين:٣] .

ولا شك أن الأمن والاستقرار في الأوطان لمن أعظم النعم، قال بعض العلماء: الأمن نصف العيش.

وقال بعضهم: لا عيش لخائف.

وقال بعضهم: من أحب أن يعيش آمنًا فليكف عن الذنوب، ومن لا يسيء لا يخاف.

إن الأمن سبب عظيم في راحة الناس وطمأنينتهم، وسبب لحفظ دينهم وممتلكاتهم، وبدون الأمن تنتشر الفوضى، ويضيع الدين ،ولا يأمن الناس على دمائهم ولا أموالهم ولا أعراضهم.

تهدى الأمور بأهل الرأي إن رشدت وإن تولت فبالأشرار تنقاد

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا صلاح إذا جهالهم سادوا

تصوروا يا عباد الله وأنتم تعيشون في هذه النعمة العظيمة وتتمتعون بها الحاكم والمحكوم والغني والفقير والكبير والصغير والذكر والأنثى تزاولون أعمالكم وتؤدون فرائض ربكم أي نعمة أعظم من هذه النعمة ولذلك امتن الله على قريش بهذه النعمة الجليلة نعمة الأمن قال تعالى : ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾.

وقال تعالى :﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾[النحل١١٢] .

فانظر أخي المسلم كيف قال الله : ﴿ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾ فوصفها الله بالأمن والاطمئنان ورغد العيش الواسع ثم أخبر أنه أذاقها لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون واللباس هو الذي يلي الجسم بمعنى أن الجوع والخوف ظهرت علاماته على أبدانهم ووجوههم.

وقال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾[القصص٥٧] .

وقال تعالى :﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾[العنكبوت٦٧] .

ولعظم الأمن وأهميته أن طلبه مقدم على طلب الغذاء ، ولذلك دعا

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأهل مكة بتوفير الأمن قبل توفير الرزق وهذا الدعاء كان مرتين مرة قبل بناء البيت ومرة بعد بناء البيت قال تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾[البقرة : ١٢٦] .

وقال تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾[إبراهيم٣٥] .

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: وهذا يدل على أن هذا دعاء ثان بعد الدعاء الأول الذي دعا به عندما ولى عن هاجر وولدها، وذلك قبل بناء البيت، وهذا كان بعد بنائه، تأكيدًا ورغبة إلى الله، عَزَّوَجَلَّ.[1]

وقد ثبت عند الإمام الترمذي[2] عن عبيد الله بن محصن الخطمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [**من أصبح منكم آمنًا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا**]. ومعنى حيزت: أي جمعت. ومعنى آمنًا في سربه: أي آمنًا في نفسه.

وقد ذكَّر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أقوامهم بنعمة الأمن فهذا نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ قال الله : مخبرًا عنه ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا

(١) التفسير (٢/ ٥٢١).
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٣٤٦).

أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الشعراء: ١٤١ـ ١٥٤].

فقوم نبي الله صالح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كانوا يعيشون في رغد العيش وفي أمن وأمان وراحة واطمئنان، فلما غيروا وبدلوا وكذبوا نبيهم صالحًا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ سلبهم الله هذه النعم وأحل بهم النقم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر: ٨٠ ـ ٨٥].

وهذا يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قال الله تعالى عنه: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [يوسف:٩٩].

وقد من الله بالأمن على أهل سبأ فلما أعرضوا عن دعوة الرسل فقدوا هذه النعمة قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿١٩﴾﴾ [سبأ: ١٨ ـ ١٩].

ومنّ الله تبارك وتعالى بنعمة الأمن على أصحاب محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن

دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾[الفتح:٢٧] .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾[الأنفال:١١] .

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ ﴾ [آل عمران:١٥٤] .

وأما الأمن الأخروي فالله عَزَّوَجَلَّ يمتن برحمته على عباده المؤمنين كما قال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤] .

وقال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[فصلت:٣٠] .

وعند الترمذي [1] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال : [**كيف تجدك ؟**] قال : والله ! يا رسول الله ! إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ : [**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف**].

ويؤمن الله المؤمنين يوم القيامة من الشدائد والأهوال ، قال تعالى : ﴿ من

(١) صحيح الترمذي برقم (٩٨٣).

جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النمل:٨٩] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنبياء : ١٠١ ـ ١٠٣] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [فصلت٤٠] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[البقرة : ٦٢] .

وثبت عند الإمام الترمذي [(١)] عن المقدام بن معد يكرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة ـ أي من دمه ـ ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور ـ العين ـ ، ويشفع في سبعين من أقاربه**].

وفي صحيح ابن حبان [(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ يروي عن ربه عَزَّ وَجَلَّ قال: [**وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين ،إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة**].

---

(١) صحيح الترمذي برقم (١٦٦٣).
(٢) صحيح ابن حبان (٦٤٠) والصحيحة برقم (٧٤٢).

وأما الأمن في الجنة فالله يقول في كتابه الكريم : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الحجر : ٤٥ ـ ٤٨] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾[الدخان : ٥١ ـ ٥٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ ٣٧] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[الزخرف: ٦٨ ـ ٧٣].

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يمن علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام ، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، يقص الحق وهو خير الفاصلين ،والصلاة والسلام على إمام المتقين، وخاتم النبيين ،وعلى آله الطيبين وصحابته الغر الميامين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد١١] .

وقال تعالى :﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٥٣ ﴾ [الأنفال:٥٣] . فلما غير الناس غير الله أحوالهم فوجدوا الخوف بدل الأمن والشدة مكان الرخاء والمصائب والكوارث مكان الصحة والعافية قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ٣٠ ﴾ [الشورى:٣٠] .

وقال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة. (١)

معاشر المسلمين : ما فقدنا نعمة الأمن إلا بأسباب منها :

١ - الإعراض عن دين الله ، قال تعالى :﴿ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا

(١) طريق الهجرتين ص (٢٦٣).

ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[سبأ : ١٥ ـ ١٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[طه:١٢٤] .

قال بعض العلماء: لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه، وكان في عيشه ضنك.[١]

٢- ارتكاب الذنوب والمعاصي وأعظمها الشرك بالله، قال الله تعالى : ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾[آل عمران١٥١] .

وقال تعالى :﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[النحل:١١٢] .

وصح عند ابن ماجه[٢] وغيره عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : [**يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط ، حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع والأمراض التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء،**

(١) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢٥٩).
(٢) صحيح ابن ماجه برقم (٤٠١٩).

ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم، فأخذوا بعض ما بأيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ، ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم].

٣- ومن أسباب فقد الأمن : الابتلاء : قال الله تعالى :﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة : ١٥٥] .

عباد الله: وهكذا يجب على الناس أن يعملوا بأسباب وجود الأمن ، إذا أردوا الأمن في أنفسهم وأموالهم وأوطانهم، وإن من أعظم الأسباب لوجود الأمن:

١- تحقيق الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ : قال تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام : ٨٢] .

وانظروا يا أُمة الإسلام إلى من ابتعد عن الإسلام وتعاليمه كيف صار في خوف وهلع قال الله تعالى :﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾[الجن : ٦] .

وصدق من قال:

إذا الإسلام ضاع فلا أمان ... ولا دنيا لمن لم يحيي دينا

ومن رضي الحياة بغير دين ... فقد جعل الفناء لها قرينا

٢- القيام بالعبودية لله : قال الله تعالى :﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا

يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾[النور: ٥٥] .

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قال تعالى : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾[الحج : ٤٠ ـ ٤١] .

كفى حزنًا في الدين أن حماته إذا خذلوه قل لنا كيف ينصر

متى ينصر الإسـلام مما أصابه إذا كان من يرجى يُخاف ويُحذر

٤- إقامة الحدود فإقامة الحدود من أعظم مقومات الأمن: فالقاتل عمدًا يقتل والزاني المحصن يرجم بالحجارة حتى الممات قال تعالى : ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾[البقرة : ١٧٩] .

٥-العدل: قال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[النحل:٩٠].

وقال تعالى :﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾[النساء : ٥٨] .

قال رسـول كسرى لعمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر.

وكتب أحد الولاة إلى عمر بن عبد العزيز إن مدينتنا قد تهدمت فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالًا نرمها ـ أي نصلحها ـ به فعل فكتب إليه عمر إذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم فإنه عمارتها.

٦- **طاعة ولاة الأمور:** قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[النساء : ٥٩] .

قال بعض العلماء : إمام عادل خير من مطر وابل ، وإمام غشوم خير من فتنة تدوم.

وقال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا ... منه بعروته الوثقى لمن دانا

كم يدفع الله بالسلطان معضلة ... عن ديننا رحمة منه ورضوانا

لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل ... وكان أضعفنا نهبًا لأقوانا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٢٤ فضيلة الصبر وحاجتنا إليه

الخُطْبَةُ الأُولَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: الصبر طريق شاق محفوف بالمكاره والعقبات فمن صبر ظفر وفاز ونال خير العطاء في الدنيا والآخرة، ولذا قال:الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده.[١]

(١) عدة الصابرين ص (٣٥).

والصبر راية المرسلين قال تعالى عنهم : ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [إبراهيم١٢] .

فما من رسول إلا واتصف بالصبر وتحلى به وتحمل الأذى من قومه، فلقد قيل فيهم ما قيل ، فمنهم من قيل فيه مجنون ، ومنهم من رموه بالسحر، ومنهم من رموه بالكذب ، ومنهم من أخرجوه من وطنه ، ومنهم من قتلوه ، وهم في غاية الصبر.

والصبر في اللغة: الحبس ومنه قوله تعالى ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ... ﴾ [الكهف٢٨] .

وضده الجزع ، ومنه قوله تعالى عن أهل النار: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [إبراهيم٢١] .

وحقيقة الصبر: حبس النفس عن الجزع والتسخط وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويش [(١)] ، أي من ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بالويل والثبور.

ولابد وأن يكون الصبر ابتغاء وجه الله الكريم حتى يؤجر العبد على ذلك قال تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الرعد٢٢] .

والصبر على أقسام ثلاثة:

١ – الصبر على طاعة الله.

٢– الصبر عن معصية الله.

٣– الصبر على أقدار الله المؤلمة.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٧٨).

والصبر واجب فقد أمر الله تعالى به قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[آل عمران : ٢٠٠].

وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف : ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[الروم : ٦٠].

وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[الطور: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ ﴾[المعارج : ٥]. والصبر الجميل هو الصبر الذي لا شكاية معه.

وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[النحل : ١٢٧].

وقال تعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[يوسف : ١٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إن الصبر على المصائب واجب بالكتاب والسُّنَّة.[1]

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: ذكر الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعًا. وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: وهو واجب بإجماع الأمة وهو نصف الإيمان فإن الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر.[2]

(١) منهاج السُّنَّة النبوية (٨/ ٤٦١).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٧٤).

معاشر المسلمين: الصبر قرنه الله بأركان الإسلام ومقامات الإيمان وهذا يدل على عظمه وأهميته فقد قرنه الله بالصلاة قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[البقرة١٥٣] .

وقرنه الله بالأعمال الصالحة فقال تعالى :﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾[هود:١١] .

وقرنه الله بالتقوى فقال تعالى :﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[يوسف٩٠] .

وقرنه الله بالشكر فقال تعالى :﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٥﴾ ﴾[إبراهيم٥] .

وقرنه الله بالحق فقال تعالى:﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾[العصر٣].

وقرنه الله بالرحمة فقال تعالى :﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾ [البلد١٧] .

وقرنه الله باليقين فقال تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[السجدة٢٤] .

وقرنه الله بالصدق فقال تعالى :﴿ ... وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ ... ﴾[الأحزاب٣٥] .

وقد أثنى الله عَزَّوَجَلَّ على الصابرين فقال تعالى :﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة١٧٧] .

وأخبر أنه يحب الصابرين، فقال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ

رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[آل عمران١٤٦] .

وفي مُسند الإمام أحمد [(١)] عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: **[ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشنؤهم الله عَزَّوَجَلَّ الرجل يلقى العدوفي الفئة فينصب لهم نحره حتى يقتل أويفتح لأصحابه والقوم يسافرون فيطول سراهم حتى يحبوا أن يمسوا الأرض فينزلون فيتنحى أحدهم فيصلي حتى يوقظهم لرحيلهم والرجل يكون له الجار يؤذيه جاره فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أوظعن والذين يشنؤهم الله التاجر الحلاف أو قال: البائع الحلاف والبخيل المنان والفقير المختال]**. ومعنى يشنؤهم يبغضهم.

وأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن معيته للصابرين ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال٤٦] . وهذه المعية تتضمن الحفظ والنصر والتأييد .

قال : بعض السلف فاز الصابرون بعز الدنيا والآخرة لأنهم نالوا من الله معيته.

وقد أثنى الله على الصابرين ،ووعدهم أن يعطيهم أجرهم بغير حساب فقال تعالى :﴿ ... إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر١٠] .

قال الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ليس يوزن لهم ولا يكال لهم إنما يغرف لهم غرفًا. [(٢)]

وقال تعالى :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [القصص٥٤] .

---

(١) أحمد برقم(٢١٣٤٠)وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح الجامع برقم (٣٠٧٤).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٩).

ووعدهم الله عَزَّوَجَلَّ بالجزاء الحسن فقال تعالى: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[النحل :٩٦] .

وأخبر بأن الصبر خير لأصحابه فقال تعالى : ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[النحل:١٢٦] .

وقال تعالى :﴿ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[النساء:٢٥] .

وفي الصحيحين [(١)] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده ، فقال : [**ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر**].

وأطلق البشرى لأهل الصبر فقال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥] .

وأخبر سبحانه أن أهل الصبر هم أهل العزائم والقوة في الدين فقال تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾[الشورى:٤٣] .

وجعل الله للصابرين ثلاث خصال:

١- الصلاة منه عليهم.

٢- رحمته لهم.

٣- هدايته إياهم.

---

(١) البخاري برقم (١٤٦٩) ومسلم برقم (١٠٥٣).

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: نعم العدلان ونعمت العلاوة، فالعدلان الصلاة والرحمة، والعلاوة الهداية. (١)

ولا يصل العبد إلى مكارم الأخلاق إلا بالصبر قال تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت: ٣٤ ـ ٣٥].

والملائكة تستقبل الصابرين على أبواب الجنة فترحب بهم جزاء صبرهم قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد: ٢٢ ـ ٢٤].

وجعل الله الفلاح للصابرين فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. والفلاح هو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب.

وجعل الله الفوز للصابرين فقال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١﴾ [المؤمنون ١١١].

والصبر يورث صاحبه الإمامة في الدين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ

---

(١) تفسير البغوي (١/ ١٧٠)، ورواه الحاكم في «المُستدرك» (٢/ ٢٧٠) وهو في البخاري معلقًا.

أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) ﴾ [السجدة ٢٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى : سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) ﴾ [السجدة:٢٤].[١]

نسال الله العظيم أن يحسن أخلاقنا، ويجمل أفعالنا ، وأن يغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، والحمد لله رب العالمين.



(١) مدارج السالكين (٢/ ١٧٧).

الخطبة الثانية:

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وذريته وأصحابه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: لقد ذاق الصحابة كثيرًا من أنواع العذاب والأذى ومع ذلك صبروا بل لم يزدادوا بذلك إلا ثباتًا وإيمانًا ومصابرة قال: خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له ألا تستنصر لنا ألا تدعوالله لنا قال: [**كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أوعصب وما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**].[١]

هكذا الصبر يجعل صاحبه مستضيئًا مهتديًا كما ثبت في صحيح مسلم[٢] عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: [**الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ـ أوتملأ ـ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء،**

(١) البخاري برقم (٣٦١٢).
(٢) مسلم برقم (٢٢٣).

والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمراد أن الصبر محمود ولا يزال صاحبه مستضيئًا مهتديًا مستمرًا على الصواب.

والصبر يحط الخطايا كما تحط الشجرة ورقها ففي الصحيحين [(١)] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : أتيت النبي ﷺ في مرضه وهو يوعك وعكًا شديدًا وقلت إنك لتوعك وعكًا شديدًا قلت إن ذاك بأن لك أجرين قال: [**أجل ما من مسلم يصيبه أذى إلا حاتَّ الله عنه خطاياه كما تحاتَّ ورق الشجر**].

والصبر سبب للنصر قال تعالى :﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ ١٢٠ ﴾[آل عمران ١٢٠].

وقال عليه الصلاة والسلام : [... **وأن النصر مع الصبر ،وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا**]. [(٢)]

والصبر يُبلغ العبد المنازل العالية ففي صحيح ابن حبان [(٣)] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ :[**إن الرجل لتكون له عند الله المنزلة ،فما يبلغها بعمل ، فلا يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها**].

فينبغي للمسلم أن يصبر على البلاء ولا يشكومرضه للناس ففي مستدرك الحاكم [(٤)] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ :[قال الله تعالى: إذا ابتليت عبدي المؤمن ولم يشكني إلى عواده أطلقته من أساري

---

(١) البخاري برقم (٥٦٤٧) ومسلم برقم (٢٥٧١).
(٢) أحمد برقم (٢٨٠٣).
(٣) ابن حبان برقم (٢٩٠٨)، وصححه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (٢٥٩٩).
(٤) المستدرك (١/ ٣٤٩) والصحيحة برقم (٢٧٢).

ثم أبدلته لحمًا خيرًا من لحمه ودمًا خيرًا من دمه ثم يستأنف العمل].

ومعنى عواده: أي زواره.

وإذا عرتك بلية فاصبر لها صبر الكريم فإنه بك أعلم
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكوالرحيم إلى الذي لا يرحم

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجدنا خير عيشنا بالصبر.

وكان محمد بن شبرمة رَحِمَهُ اللَّهُ إذا نزل به بلاء قال : سحابة صيف ثم تنقشع.

اصبر لكل مصيبة وتجلد واعلم بأن المرء غير مخلد
وإذا ذكرت مصيبة تسلو بها فاذكر مصابك بالنبي محمد

وقد ثبت عند الإمام الترمذي [(١)] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [**يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب، لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض**].

فما أحوج المسلمين إلى هذا الخُلق الكريم ، فما أحد يستغني عنه، فالمدرسون يحتاجون إلى الصبر على الطلبة والمتعلمين واحتمال الأذى منهم ، والقضاة يحتاجون إلى الصبر على الخصوم ومشاكلهم ، والأغنياء يحتاجون إلى الصبر على إخراج الزكاة بدقة وعدم البخل ، والأطباء يحتاجون إلى الصبر في معالجة المرضى، وبذل النصح لهم ، والأزواج يحتاجون إلى الصبر من بعضهم على بعض ، والآباء يحتاجون إلى الصبر

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٤٠٢).

على تربية أبنائهم والناس جميعًا بحاجة ماسة إلى أن يصبر بعضهم على بعض قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفرقان٢٠] .

قال الإمام الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : اعلم أن من حسن التوفيق وأمارات السعادة الصبر على الملمات والرفق عند النوازل.[١]

اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين ، وألف بين قلوبهم ، واحمِ حوزة الدين يا رب العالمين.

اللهم عليك باليهود الغاصبين ، والنصارى الحاقدين ، والشيوعيين والعلمانيين والمنافقين ، اللهم دمرهم تدميرا اللهم لا ترفع لهم في الأرض راية ، واجعلهم عبرة وآية.

اللهم إنا نسألك الأمن في الأوطان ، يا رؤوف يا رحمن ، وصلِّ الله على نبينا المختار ، ما تتابع الليل والنهار ، وعلى آله وأصحابه من المهاجرين والأنصار ، وسلم تسليماً كثيرا.



(١) أدب الدنيا والدين ص (٣٢٢).

٢٥ تحريم الأغاني في الإسلام

الخُطْبَةُ الأُولَى[١]:

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعينُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْللْ فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: لقد انتشرت الأغاني في هذا الزمان انتشارًا واسعًا فلم تدع بيتًا إلا دخلته ولا قلبًا إلا ولجته إلا من رحم الله وسنذكر إن شاء الله في مقامنا هذا الأدلة من كتاب الله الكريم ومن سُنَّة رسول الله الأمين محمد

ﷺ وبعض أقوال السلف في تحريم الأغاني وأضرارها الجسيمة وكل هذا من باب النصيحة للأمة والحذر من أن تقع في الشر والرذيلة.

ولله در من قال:

فقد أخذ الرحمن جل جلاله   على من حوى علم الرسول وعلما

بنصح جميع الخلق فيما ينوبهم   ولا سيما فيما أحل وحرما

فناصح بني الدنيا بترك ابتداعهم   فقد صيروا نور الشريعة مظلما

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧ ﴾ [لقمان:٦-٧].

وقد صح عند الحاكم [(١)] عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ قال: هو والله الغناء.

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ قال: الغناء وأشباهه. [(٢)]

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ قال: هو الغناء والاستماع له. [(٣)]

وقال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ قال: هو

(١) المستدرك (٢/ ٤١١).
(٢) صحيح الأدب المفرد برقم (٧٨٦).
(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٥٣٦).

الغناء وكلّ لعب لهو . (١)

وقال إبراهيم النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ هو الغناء. (٢)

وعن شعيب بن يسار قال : سألت عكرمة : عن لهو الحديث؟ قال : هو الغناء. (٣)

وقوله تعالى : ﴿ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ذكر بعض العلماء أن اللام هنا لام العاقبة والصيرورة والمعنى أن عاقبة المغني أن يؤول ويصير إلى الضلال.

وقال تعالى : ﴿ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ٥٩ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ٦٠ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ٦١ ﴾ [النجم: ٥٩ ـ ٦١].

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: هو الغناء بالحميرية أسمدي لنا أي غني لنا . (٤)

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢ ﴾ [الفرقان٧٢].

وقال محمد بن الحنفية في قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ : اللهو والغناء. (٥) ومعنى لا يشهدون: أي لا يحضرون.

وقد قال الله عن عباده الصالحين : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ [القصص٥٥].

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ ﴾ [المؤمنون٣].

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٥٣٦).
(٢) ذم الملاهي ص (٣٠).
(٣) ذم الملاهي ص (٢٩).
(٤) تفسير القرطبي (١٤/ ٥١).
(٥) معالم التنزيل (٣/ ٣٧٨).

وقال تعالى :﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾[الإسراء٦٤].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾ قال: صوته كلّ داع دعا إلى معصية الله. (١)

وقال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ : ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾ قال: بدعائك(٢) ومن دعائه الأغاني.

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ : ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾ قال : استنزل من استطعت منهم بالغناء والمزامير واللهو والباطل. (٣)

وقال تعالى :﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء:٨١].

وسأل إنسان القاسم بن محمد عن الغناء فقال :أنهاك عنه وأكرهه لك قال : أحرام هو؟، قال: انظر يا ابن أخي إذا ميز الله الحق من الباطل ففي أيهما يجعل الغناء. (٤)

وقال تعالى :﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصۡدِيَةًۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الأنفال٣٥].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله : ﴿ مُكَآءً وَتَصۡدِيَةًۚ ﴾قال : المكاء

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٦٥٧).
(٢) تفسير الطبري (٥٣١٢/ ٤٩١).
(٣) الدر المنثور (٩/ ٣٩٦).
(٤) ذم الملاهي ص (٤٦).

الصفير، والتصدية التصفيق.[(١)]

وقال تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا ﴾[الأنعام٧٠].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا ﴾[الأعراف٥١].

والأغاني من جملة اللهو واللعب.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩ ﴾[النور١٩].

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: الغناء رقية الزنا.[(٢)]

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: ومن الفحشاء والمنكر استماع العبد مزامير الشيطان، والمغني هو مُؤَذِّنُه الذي يدعو إلى طاعته، فإن الغناء رُقْيةُ الزنا.[(٣)]

وأما ما ورد من الأحاديث في تحريم الأغاني فهي كثيرة منها:

ما جاء عند البزار[(٤)] عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **[صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة مزمار عند نعمة ورنة عند مصيبة].**

وثبت عند الترمذي[(٥)] عن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: أن رسول الله ﷺ قال: **[في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف]**، فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذاك ؟ قال: **[إذا ظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور]**.

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ١٦٤).
(٢) الدر المنثور (٦/ ٥٠٦).
(٣) الفتاوى (١٥/ ٣٤٩).
(٤) كشف الأستار (١/ ٣٧٧) والصحيحة برقم (٤٢٧).
(٥) صحيح الترمذي برقم (٢٢١٢).

ومعنى الخسف: هو الغور في الأرض. والمسخ: تحويل الصور. والقذف: رمي الحجارة من السماء، وصدق الله القائل في كتابه الكريم ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[الأنعام٦٥].

وفي صحيح البخاري معلقًا وقد وصله أبوداود وغيره [(١)] عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : [**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير، والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم -يعني الفقير لحاجة- ، فيقولون : ارجع إلينا غدًا، فيبيتهم الله ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة**].

وعند أبي داود [(٢)] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أن نبي الله ﷺ نهى عن الخمر والميسر، والكوبة والغبيراء، وقال: [كل مُسْكِرٍ حرام].

والميسر ـ هو القمار. والكوبة :هي الطبل.

والغبيراء: السكركة تعمل من الذرة شراب يعمله الحبشة.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: [**بعثت بهدم المزمار والطبل**] . [(٣)]

نسال الله العلي الأعلى أن يحفظ علينا دين الإسلام، وأن يصلح الأمور والأحوال، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) البخاري برقم (٥٥٩٠) وصحيح أبي داود برقم (٤٠٣٩).
(٢) صحيح أبي داود برقم (٣٦٨٥).
(٣) أخرجه تمام الرازي في فوائده (١/ ٤٩) وتلبيس إبليس ص (٢٨٤) وإسناده حسن، انظر: السيف اليماني، لشيخنا العلامة : محمد بن عبد الله الإمام -وفقه الله- .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله الطيبين وصحابته الغر الميامين ، والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن مفاسد سماع الأغاني كثيرة وآفاته خطيرة ومن الأدلة على تحريمه أيضًا:

ما رواه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي [1] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**يمسخ قوم من هذه الأمة في آخر الزمان قردة وخنازير**] قالوا : يا رسول الله يشهدون أن لا الله إلا الله وان محمدًا رسول الله قال: [**بلى ويصومون ويصلون ويحجون**] قالوا فما بالهم قال: [**اتخذوا المعازف والدفوف والقينات فباتوا على شربهم ولهوهم فأصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير**].

وعند الطبراني [2] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: [**إذا صنعت أمتي خمسًا فعليهم الدمار ،إذا ظهر فيهم التلاعن، وشرب الخمور ،ولبسوا الحرير ،واتخذوا القينات ، واكتفى الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء**].

---

(١) ذم الملاهي ص (٧٠) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١١٩ ـ ١٢٠) وإسناده حسن بشواهده.
(٢) مُسند الشاميين برقم (٥١٩) وإسناده حسن .

وأما ما ورد عن السلف في التحذير من سماع الأغاني فهذا شيء كثير من ذلك:

قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع. [١]

وقال أيضًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذا ركب الرجل الدابة فلم يذكر اسم الله ردفه الشيطان فقال: له تغن فإن لم يحسن قال: له تمن. [٢]

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها مرت بمغنٍ في بيت فرأته يتغنى، ويحرك رأسه طربًا - وكان ذا شعر كثير - فقالت: أفّ، شيطان أخرجوه أخرجوه. [٣]

وعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه مر على جارية صغيرة تغني فقال: إن الشيطان لو ترك أحدًا لترك هذه. [٤]

وقال بعض العارفين وهو يذكر مفاسد الغناء: السماع يورث النفاق في قوم والعناد في قوم والكذب في قوم والفجور في قوم والرعونة في قوم. [٥]

وقال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ السماع من أعظم الأسباب الجالبة للفقر المذهبة للأموال وإن كانت عظيمة القدر. [٦]

ولقد حذر علماء الإسلام وأئمة الهدى من الأغاني أيما تحذير واشتد نكيرهم في ذلك فعن أبي الطيب الطبري قال: كان أبوحنيفة يكره الغناء مع إباحته شرب النبيذ ويجعل سماع الغناء من الذنوب.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا ص (٣١) وصححه الألباني في تحريم آلات الطرب ص (١٤٧).
(٢) رواه عبد الرزاق برقم (١٩٤٨١).
(٣) صحيح الأدب المفرد برقم (٩٥٠).
(٤) صحيح الأدب المفرد برقم (٦٠٦).
(٥) إغاثة اللهفان (١/ ٤٤٧).
(٦) إبطال دعوى الإجماع ص (٦٩).

وسئل الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال: إنما يفعله الفساق.

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خلفت بالعراق شيئًا أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يشغلون به الناس عن القرآن.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الغناء ينبت النفاق في القلب لا يعجبني.(١)

وصدق من قال:

برئنا إلى الله من معشر ... بهم مرض من سماع الغنا

وكم قلت: يا قوم أنتم على ... شفا جرف ما به من بنا

شفا جرف تحته هوة ... إلى درك كم به من عنا

وتكرار ذا النصح منا لهم ... لنعذر فيهم إلى ربنا

فلما استهانوا بتنبيهنا ... رجعنا إلى الله في أمرنا

فعشنا على سنة المصطفى ... وماتوا على تنتنا تنتنا

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فدع صاحب المزمار والدف والغنا ... وما اختاره عن طاعة الله مذهبا

ودعه يعش في غيه وضلاله ... على ما نشا يحيى ويبعث أشيبا

وفي تنتنا يوم المعاد نجاته ... إلى الجنة الحمراء يدعى مقربا

سيعلم يوم العرض أي بضاعة ... أضاع وعند الوزن ما خف أوربا

---

(١) تلبيس إبليس ص (٢٥٩ - ٢٦٠).

ويعلم ما قد كـان فيه حياته إذا حصلت أعماله كلها هبا
دعاه الهدى والغي من ذا يجيبه فقال : لداعي الغي أهلًا ومرحبا
وأعرض عن داعي الهدى قائلًا له هواي إلى صوت المعازف قد صبا

فيا معاشر المسلمين: طهروا بيوتكم من هذه الأغاني واعمروها بذكر الله، واعلموا أنه لا يجوز سماع هذه الأشرطة الماجنة ولا بيعها ولا شراؤها، وكسبها خبيث، فالواجب علينا أن نتوب إلى الله من هذه المعاصي كلها.

نسأل الله تعالى أن يصلح لنا ديننا ،وأن يتوفانا مسلمين، إنه خير مسئول وخير مأمول، والحمد لله رب العالمين.



٢٦ البشـــارة

الخُطبَةُ الأُولَى[1]:

إنَّ الحَمْدَ للَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْللْ فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إلَهَ إلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَريْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُور مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَة بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلُّ ضَلالَةٍ في النَّار .

أيها المسلمون: موضوع خطبتنا في هذا اليوم المبارك عن البشارة ، وسيكون الحديث تحت هذا العنوان في العناصر الآتية:

* تعريف البشارة.

* أقسامها.

* المبشرون في القرآن.

* أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين

* المبشرون في السُّنَّة.

* في بشارة الصحابة للرسول ﷺ.

* أحاديث عظيمة تحمل البشرى لكل مؤمن ومؤمنة.

عباد الله: فلنعش مع هذا الموضوع فإنه من الأهمية بمكان.

البشارة: بضم الباء وكسرها وهي الخبر السار أوالخبر بما يسر وتكون غالبًا في الخير عند الإطلاق وقد تكون في الشر.

قال الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: البشارة كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر وفي الخير أغلب.(١)

ومن العلماء من يقول: البشارة عند الإطلاق تكون في الخير ولا تكون في الشر إلا مقيدة كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

وكقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨].

وكقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣﴾ [التوبة: ٣].

والبشارة قسمان:

تكون فيما يسر في الآخرة كقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥].

---

(١) التعريفات ص (٤٥).

وكقوله تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس : ٦٤].

وكقوله تعالى: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [التوبة : ٢١].

وكقوله تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف : ١٣].

تكون فيما يسر في الدنيا كقوله تعالى عن الملائكة أنهم قالوا لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الحجر: ٥٣]. والمراد بالغلام هنا إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .

وكقوله تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الصافات: ١٠١] والمراد به هنا إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وقال تعالى عن امرأة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ [هود : ٧١].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾[هود : ٦٩].

وقال تعالى عن زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [آل عمران : ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ

ﵟٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥ﵞ [آل عمران: ٤٥].

ولقد بشر الله المستقيمين على دينه بجنات النعيم قال رب العالمين في كتابه الكريم: ﵟإِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ﵞ [فصلت: ٣٠].

وقد ثبت عند الإمام أحمد وغيره [١] عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: في المؤمن [...... **ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: له من أنت فوجهك الوجه يجئ بالخير فيقول: أنا عملك الصالح فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي...**] .

وبشر الله عَزَّ وَجَلَّ المنيبين إليه بالهداية قال تعالى: ﵟوَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ﵞ [الزمر: ١٧ـ١٨].

وبشر الله عَزَّ وَجَلَّ أولياءه المتقين بالفوز العظيم قال تعالى: ﵟأَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤ﵞ [يونس: ٦٢ـ ٦٤].

---

(١) أحمد برقم (١٨٥٣٤).

وبشر الله الخائفين منه سبحانه بالمغفرة والأجر الكريم قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ [يس : ١١].

وبشر الله المجاهدين بالرضا والعناية والرحمة والجنات ، قال تعالى: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [التوبة :٢١ـ ٢٢].

وبشر الله الصابرين بالصلوات والرحمة والهداية، قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة : ١٥٥ـ ١٥٧].

وأطلق الله البشرى للمخبتين ، فقال سبحانه: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحج :٣٤ـ ٣٥].

فالمؤمنون هم الذين يستحقون البشارة من الله ولذلك بشرهم سبحانه فقال : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٧].

وقال سبحانه: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة: ١١٢].

وهكذا رسول الله ﷺ بعثه الله مبشرًا ونذيرًا ، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سبأ : ٢٨].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [البقرة : ١١٩].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأحزاب : ٤٥].

وفي صحيح البخاري [(١)] عن عبد الله بن عمروبن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن هذه الآية التي في القرآن﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴾.

قال : [في التوراة يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا وحرزًا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفوويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا].

بل وما من رسول من الرسل إلا بعثه الله بشيرًا ونذيرا قال الله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[الأنعام : ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء : ١٦٥].

وكان النبي ﷺ يأمر أصحابه بأن يكونوا مبشرين ، كما ثبت في الصحيحين[(٢)] عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ بعث معاذًا وأبا موسى إلى اليمن وقال: [**يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا**].

---

(١) البخاري برقم (٤٨٣٨) .
(٢) البخاري برقم (٣٠٣٨) ومسلم برقم (١٧٣٣).

وكما أن الله بعث الرسل مبشرين ومنذرين وكان نبينا ﷺ من أعظم الأنبياء بشارة لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقد بشر كثيرًا منهم بالبشارات لما للبشارة من أثر عظيم في النفوس ووقع فعال على القلوب فقد بشر رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وعثمان بالجنة ، فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه توضأ في بيته ثم خرج فقلت لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا قال: فجاء المسجد فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: خرج ووجَّه ها هنا فخرجت على إثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأ فقمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت من هذا ؟ فقال : أبو بكر فقلت على رسلك ثم ذهبت فقلت يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن؟، فقال: [**ائذن له وبشره بالجنة**] . فأقبلت حتى قلت لأبي بكر ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني فقلت إن يرد الله بفلان خيرًا - يريد أخاه - يأت به فإذا إنسان يحرك الباب فقلت من هذا؟ فقال : عمر بن الخطاب فقلت على رسلك ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقلت هذا عمر بن الخطاب يستأذن ؟ ، فقال :[**ائذن له وبشره بالجنة**]. فجئت فقلت: ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره ودلى رجليه في البئر ثم رجعت فجلست فقلت إن يرد الله بفلان خيرًا يأت به فجاء إنسان يحرك

الباب فقلت من هذا ؟ فقال : عثمان بن عفان فقلت على رسلك فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال :[**ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه**]. فجئته فقلت له ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآخر . قال : شريك بن عبد الله قال : سعيد بن المسيب فأولتها قبورهم. [١]

وهذا ثابت بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبشره رسول الله ﷺ بالجنة ففي الصحيحين[٢] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس** فقال : رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه فأتاه فوجده جالسًا في بيته منكسًا رأسه فقال : ما شأنك ؟ ، فقال : شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله ، وهو من أهل النار . فأتى الرجل فأخبره أنه قال : كذا وكذا . فقال : موسى بن أنس فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال :[**اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة**].

وهذه خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يؤمر النبي ﷺ بأن يبشرها ببيت في الجنة ففي الصحيحين [٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: [أتى جبريل النبي ﷺ فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أوطعام أوشراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب].

وها هو رسول الله ﷺ يحمل البشرى لبنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بأنها سيدة نساء أهل الجنة وللحسن والحسين بأنهما سيدا شباب أهل الجنة، ففي

(١) البخاري برقم (٣٦٧٤) ومسلم برقم (٢٤٠٣).
(٢) البخاري برقم (٣٦١٣) ومسلم برقم (١١٩).
(٣) البخاري برقم (٣٨٢٠) ومسلم برقم (٢٤٣٢).

الترمذي[١] عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سألتني أمي متي عهدك تعني بالنبي ﷺ فقلت ما لي به عهد منذ كذا وكذا فنالت مني فقلت لها دعيني آتي النبي ﷺ فأصلي معه المغرب وأسأله أن يستغفر لي ولك ، فأتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب فصلى حتى صلى العشاء ، ثم انفتل فتبعته فسمع صوتي فقال : [**من هذا حذيفة ؟**] ،قلت : نعم ، قال: [**ما حاجتك غفر الله لك ولأمك ، قال: إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلم علي ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**].

ويحمل رسول الله ﷺ البشرى لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ففي الصحيحين [٢] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال : لها في قصة براءتها [...أبشري يا عائشة ، أما الله فقد برأك ..].

وبشر كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بتوبة الله عليه ففي الصحيحين [٣] عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال : له وهو يبرق وجهه من السرور [أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك].



(١) صحيح الترمذي برقم (٣٧٨١).
(٢) البخاري برقم (٤٧٥٠) مسلم برقم (٢٧٧٠).
(٣) البخاري برقم (٤٤١٨) مسلم برقم (٢٧٦٩).

الخطبة الثانية :

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وذريته وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون اتقوا الله حق التقوى ، فإن من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن اجتنب أسباب الفتن رحمه وعافاه.

هذا ولقد تعلم أصحاب رسول الله ﷺ من نبيهم ﷺ أن يحملوا البشرى ويزفوها لكل مسلم فهذا أبوهريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبشر النبي ﷺ باستجابة الله له دعاءه في هداية أمه كما في صحيح مسلم [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي ، قلت يا رسول الله : إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله ﷺ : اللهم اهد أم أبي هريرة فخرجت مستبشرًا بدعوة نبي الله ﷺ فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف فسمعتْ أمي خشف قدمي فقالت: مكانك يا أبا هريرة ، وسمعت خضخضة الماء قال : فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت : يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله ،

---

(١) مسلم برقم (٢٤٩١).

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح قال : قلت يا رسول الله : أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرًا قال : قلت يا رسول الله: ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا قال : فقال رسول الله ﷺ : اللهم حبب عبيدك هذا - يعني أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني].

وهذه خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تبشر النبي ﷺ بنصر الله له ففي صحيح البخاري ومسلم (١) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن خديجة قالت للنبي ﷺ:[**كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا ، فوالله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق...**].

هكذا كانوا متصفين بهذه الصفات العظيمة ، والأخلاق الكريمة ، فأدخلوا السرور والسعادة في قلب النبي ﷺ .

حقًا لقد تربوا واتصفوا بأخلاق النبي ﷺ فينبغي لنا معاشر المسلمين أن نحمل البشرى لكل من حولنا من المسلمين والمسلمات لندخل الفرحة في قلوبهم فيكون ذلك في موازين حسناتنا لأن إدخال الفرحة والسرور في قلوب المسلمين من أحب الأعمال إلى الله كما ثبت عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله أي الناس أحب إلى الله ؟ وأي الأعمال أحب إلى الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : [**أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله** عَزَّ وَجَلَّ **سرور يدخله على مسلم أويكشف عنه كربة أو يقضي عنه دينًا أو يطرد عنه جوعًا ولأن أمشي مع**

(١) البخاري برقم (٤٩٥٣) مسلم برقم (١٦٠).

أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد (يعني : مسجد المدينة) شهرًا ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظه ولوشاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له ؛ أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام (وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل]. [(١)]

كما أن إدخال الهموم والغموم في قلوب المسلمين يجلب للإنسان غضب الله وسخطه عليه كما ثبت في صحيح مسلم [(٢)] عن عائذ بن عمرو: أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدوالله مأخذها قال : فقال : أبو بكر أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ ، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال : [**يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك**] ، فأتاهم أبو بكر فقال : يا إخوتاه أغضبتكم ؟ ، قالوا : لا يغفر الله لك يا أخي.

عباد الله: لقد وردت أحاديث عظيمة تحمل البشرى لكل مؤمن ومؤمنة ففي مُسند أحمد [(٣)] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال : صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب فعقب من عقب ورجع من رجع فجاء ﷺ وقد كاد يحسر ثيابه عن ركبتيه فقال : [**أبشروا معشر المسلمين هذا ربكم قد فتح بابًا من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة يقول هؤلاء عبادي قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى**].

وعند النسائي [(٤)] عن أبي طلحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ جاء ذات

(١) الصحيحة برقم (٩٠٦).
(٢) مسلم برقم (٢٥٠٤).
(٣) أحمد برقم (٦٩٤٦).
(٤) صحيح النسائي برقم (١٢٨٢)

يوم والبشرى في وجهه فقلنا إنا لنرى البشرى في وجهك فقال : [**إنه أتاني الملك فقال : يا محمد إن ربك يقول أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلَّا صليت عليه عشرًا ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشرًا**] .

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: [**بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك ، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته**]. [(١)]

وعن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والدين والنصر والتمكين في الأرض ، قال : فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا ، لم يكن له في الآخرة نصيب**]. [(٢)]

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي ﷺ قال: [**يقول الله يا آدم فيقول:لبيك وسعديك والخير في يديك قال : يقول أخرج بعث النار قال: وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد**]، فاشتد ذلك عليهم فقالوا: يا رسول الله ؛ أينا ذلك الرجل؟ ، قال: [**أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا ومنكم رجلًا ثم قال : والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة**]. قال : فحمدنا الله وكبرنا ثم قال: [**والذي نفسي بيده ، إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة ، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في**

(١) مسلم برقم (٨٠٦).
(٢) أحمد برقم (٢١٢٢٠).

جلد الثور الأسود ، أو كالرقمة في ذراع الحمار]. [(١)]

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: [**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**] ، قالت عائشة أو بعض أزواجه إنا لنكره الموت ، قال: [**ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِرَ برضوان الله وكرامته ، فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه**]. [(٢)]

وفي الختام لا أنسى أن أذكر السامعين الكرام بهذا الحديث الجليل الذي رواه ابن حبان في صحيحه [(٣)] ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : مر رسول الله ﷺ على رهط من أصحابه وهم يضحكون فقال :[**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**] ، فأتاه جبريل فقال : [**إن الله يقول لك : لم تقنط عبادي ؟** ، **قال : فرجع إليهم فقال** :[**سددوا وقاربوا وأبشروا**].

أسال الله العلي العظيم أن يغفر لنا ذنوبنا ، وأن يكفر عنا سيئاتنا ، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا ، وأن يعيذنا وإياكم وجميع المسلمين من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن.

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .

---

(١) البخاري برقم (٦٥٣٠) ومسلم برقم(٢٢٢).
(٢) البخاري برقم (٦٥٠٧) ومسلم برقم(٢٦٨٣).
(٣) صحيح ابن حبان برقم (١١٣) وصححه الأرنؤوط.

عباد الله : إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون ، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون.



٢٧ المـــوت

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إنَّ الحَمْدَ للَّه،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلَا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إلَهَ إلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَريْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أمَّا بَعْدُ :

فَإنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: نجعل هذه الخطبة إن شاء الله في هذا اليوم المبارك ، عن الموت وشدته.

والموت: ضد الحياة والمراد به في اللغة السكون يقال ماتت الريح إذا سكنت.

وفي الاصطلاح: هو مفارقة الروح للجسد.

وقال بعض العلماء هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار. [(١)]

والموت خلق من خلق الله ، قال الله تعالى : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ﴾ [الملك ١ ـ ٢].

قال الإمام الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واستدل بهذه الآية من قال: إن الموت أمر وجودي لأنه مخلوق. [(٢)]

والله عَزَّوَجَلَّ هو المحيي والمميت ، قال تعالى : ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠ ﴾ [الروم ٥٠].

وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٦٨ ﴾ [غافر ٦٨].

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧ ﴾ [الروم ٢٧].

وقال تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ٦٦ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧ ﴾ [مريم ٦٦ ـ ٦٧].

---

(١) التذكرة (١/ ١٥).
(٢) التفسير (٤/ ٣٩٦).

وفي صحيح البخاري (١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **[قال الله : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ، وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدًا ، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ، ولم يكن لي كفئًا أحد]**.

والحكمة من وجود الموت الابتلاء والاختبار قال الله تعالى :﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[الملك١ ـ ٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: ومعنى الآية: أنه أوجد الخلائق من العدم، ليبلوهم ويختبرهم أيهم أحسن عملاً ؟.(٢)

وقال السدي في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾أي أكثر كم للموت ذكرًا وأحسن استعدادًا، ومنه أشد خوفًا وحذرًا. (٣)

وقال تعالى :﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[المؤمنون ١٢ ـ ١٦].

معاشر المسلمين: لقد كتب الله عَزَّوَجَلَّ الموت على كل حي فما من نفس

---

(١) البخاري برقم (٤٩٧٤).
(٢) التفسير(٤/ ٣٩٦).
(٣) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٠٧).

منفوسة إلَّا وستذوق الموت الذي تفرد بالبقاء، والديمومة هو الله الواحد القهار،قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[آل عمران١٨٥].

وقال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الأنبياء٣٥].

وقال تعالى :﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[العنكبوت: ٥٧].

وقال تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ ﴾ [النساء٧٨].

والبروج المشيدة: هي الحصون المنيعة والقصور المنيفة.

فلا مفر لأحد من الموت، إنما الناس ما بين مُتقدم ومُتأخر، وصدق الشاعر:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... ولو رام أسباب السماء بسلم

وقال أبو العتاهية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عش ما بدا لك سالمـًا ... في ظل شاهقة القصور

يسعى عليك بما اشتهيت ... لدى الرواح وفي البكور

فإذا النفوس تقعقعت ... في ضيق حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقنًا ... ما كنت إلا في غرور

وقال تعالى :﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[الجمعة٨].

وقال تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾[البقرة٢٤٣].

وقال تعالى :﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾[الأحزاب١٦].

وقال تعالى :﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ [ق١٩].

ولله در من قال:

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب — متى حط ذا عن نعشه ذاك يركب
نؤمل آمالا ونرجونتاجها — وعل الردى مما نرجيه أقرب
ونبني القصور المشمخرات في الهواء — وفي علمنا أنا نموت وتخرب

فالموت حصاد الجميع وبابٌ كل الناس داخله حتى الأنبياء والرسل قال الله تعالى :﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[آل عمران١٤٤].

وقال تعالى :﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[غافر٧٧].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الزمر ٣٠].

وقال تعالى :﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء٣٤ ـ ٣٥].

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾[سبأ١٤].

وثبت في الصحيحين [(١)] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول : [إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُحيَّا أو يخير فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه فلما أفاق شخص بصره نحوسقف البيت ثم قال اللهم في الرفيق الأعلى فقلت إذًا لا يجاورنا فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح].

وجاء في البخاري[(٢)]عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ كان يقول: **[أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت ، والجن والإنس يموتون]**.

وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[القصص٨٨].

وقال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن ٢٦ ـ ٢٧].

---

(١) البخاري برقم (٤٤٣٧) ومسلم برقم (٢٤٤٤).
(٢) البخاري برقم (٧٣٨٣).

فيا معاشر المؤمنين اجتهدوا فيما يقربكم إلى الله زلفى، ويُنيلكم عنده مقعد صدق ومنهلًا أصفى ، فالبدار البدار لصالح الأعمال ، قبل أن تحصدكم منايا الآجال ، فالموت للمرء بالمرصاد يغشاه على غير ميعاد ، وفقني الله وإياكم للعمل الحميد ، واتباع الحق السديد ، وعصمنا من الضلال البعيد الموجب العذاب الشديد.

والحمد لله رب العالمين.



الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي تفرد بالبقاء ، وكتب على الناس الفناء لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، لا يُسئل عما يفعل وهم يسئلون ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله وبارك عليه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد:

فيا عباد الله الموت له كربات وسكرات وآلام وغمرات قال الله تعالى : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾[ق:١٩].

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[الأنعام٩٣].

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت : ما رأيت أحدًا أشد عليه الوجع من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (١)

وفي صحيح البخاري (٢) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت : إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء ، يشك عمر فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول : لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول: في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده.

---

(١) البخاري برقم (٥٦٤٦).
(٢) البخاري برقم (٦٥١٠).

وفي صحيح البخاري أيضًا [١] عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه فقالت فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وا كرب أبتاه فقال : لها [**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**] فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه يا أبتاه إلى جبريل ننعاه فلما دفن قالت فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا «يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب» .

قال الربيع بن خثيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أكثروا من ذكر هذا الموت فإنكم لم تذوقوا قبله مثله.

ألا للموت كأس أي كاس وأنت لكأسه لابد حاسي

إلى كم والمات إلى قريب تذكر بالمات وأنت ناسي

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم فالتمسوا عيشًا لا موت فيه.

أذكر الموت هاذم اللذات وتهيأ لمصرع سوف يأتي

وقد أمر النبي ﷺ بالإكثار من ذكر الموت فعند الترمذي [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**أكثروا ذكر هاذم اللذات يعني الموت**].

فالعاقل هو الذي يجعل الموت نصب عينيه ويستعد لما بعده فعند ابن ماجه [٣] عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال : كنت مع رسول الله ﷺ فجاءه رجل من الأنصار فسلم على النبي ﷺ ثم قال : يا رسول الله أى المؤمنين

(١) البخاري برقم (٤٤٦٢)
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٣٠٧)
(٣) صحيح ابن ماجه برقم (٤٢٥٩)

أفضل قال : [أحسنهم خُلقًا]. قال : فأي المؤمنين أكيس قال : [أكثرهم للموت ذكرًا وأحسنهم لما بعده استعدادًا أولئك الأكياس].

أيها المؤمنون: وفي الإكثار من ذكر الموت فوائد عظيمة فقد ثبت في صحيح ابن حبان [١] عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ قال : [أكثروا ذكر هاذم اللذات فما ذكره عبد قط وهو في ضيق إلا وسعه عليه ولا ذكره وهو في سعة إلا ضيقه عليه].

قال بعض السلف : من أكثر ذكر الموت قل فرحه وقل حسده.

وقال بعضهم: إن ذكر الموت إذا فارقني ساعة فسد علي قلبي.

وقال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُٱللَّهُ : وفي الإكثار من ذكر الموت فوائد منها:

أنه يحث على الاستعداد له قبل نزوله ويقصر الأمل ويرضي بالقليل من الرزق ، ويزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة ، ويهون مصائب الدنيا ، ويمنع من الأشر والبطر ، والتوسع في لذات الدنيا. [٢]

فيا عباد الله الموت مصيبة ، كما قال الله تعالى: ﴿ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ ﴾ [المائدة :١٠٦].

وقال تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ ﴾ [البقرة١٥٦].

وأعظم منه الغفلة عن ذكره وقلة التفكر فيه.

واذكـــر المـــوت تجـد راحــة   في ادكــار المـوت تقصير الأمل

(١) صحيح ابن حبان برقم (٢٩٩٣)
(٢) مجالس في سيرة النبي ﷺ (٨٥)

فمهما عشت أخي المؤمن فلابد لك من الموت فقد ثبت عند الطبراني في الأوسط وغيره [(١)] عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: [**يا محمد عش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزي به، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس**].

فما أشد غفلتنا عن الموت الذي لابد منه يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون:٩ ـ ١١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ ﴾ [التكاثر:١ ـ ٢].

خانك الطرف الطموح ... أيها القلب الجموح
كلنا في غفلة والموت ... يغدو ويروح
لبني الدنيا من الدنيا ... غبوق وصبوح
سيصير المرء يومًا ... جسدا ما فيه روح
بين عيني كل حي ... علم الموت يلوح
نح على نفسك يا مسكين ... إن كنت تنوح
لتموتن وإن عمرت ... ما عمر نوح

(١) المعجم الأوسط (٤٢٧٨) والصحيحة (٨٣١)

اللهم أيقظنا من رقدات الغفلة ، ووفقنا للتزود قبل النقلة ، وألهمنا اغتنام الزمان وقت المهلة ، اللهم إنا نستغفرك ونتوب إليك ، ونعتمد عليك ، ونسألك بنور وجهك الكريم ، وسلطانك العظيم ، توبة صادقة، وأوبة خالصة ، وإنابة كاملة ، ومحبة غالبة ، وشوقًا إليك ، ورغبة فيما لديك ، وفرجًا عاجلًا ، ورزقًا حلالًا واسعًا ، اللهم الطف بنا في قضائك، وعافنا من بلائك ، وهب لنا ما وهبته لأوليائك ، واجعل خير أيامنا يوم لقائك ، وتوفنا وأنت راض عنا.

اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، ومن الخوف إلا منك ، ونعوذ بك أن نقول زورًا ، وأن نغشى فجورًا ، ونعوذ بك من شماتة الأعداء ، اللهم اغفر لنا ولوالدينا وللجماعة الحاضرين ، ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.



٢٨ مكانة القلب وأسباب صلاحه وفساده

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[1]:

إنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْللْ فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إلَهَ إلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أمَّا بَعْدُ :

فَإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

يقول الله تعالى : ﴿ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٣ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤﴾[الحج: ٥٣ـ٥٤].

فأخبر الله في هذه الآيات المباركة أن القلوب على ثلاثة أقسام:

١- القلوب المريضة.

٢- القلوب القاسية.

٣- القلوب المُخبتة.

وقد قسم النبي ﷺ القلوب إلى قسمين، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم[1] عن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخيًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرب من هواه**].

عباد الله: هذه القلوب جعلها الله أوعية للإيمان قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾[الأنفال٧٠].

والمراد بالخير في هذه الآية الكريمة الإيمان، وفي هذا دليل على أن الإنسان يدفع الله عنه الشرور والبلايا بصلاح قلبه، ويرزقه الخير العظيم، الذي لم يكن في حسبانه.

وقال الله تعالى ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾[المائدة٤١].

---

(١) مسلم برقم (١٤٤).

وقال تعالى :﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ ﴾ [الحجرات٧].

وقال تعالى :﴿ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾[الحجرات١٤].

وثبت في سُنَن أبي داود[١] عن أبي برزة الأسلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ :[يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته].

وهذه القلوب جعلها الله محلًا للتقوى قال الله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ ﴾[الحجرات٣].

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢ ﴾ [الحج٣٢].

وفي صحيح مسلم [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **[لا تحاسدوا ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا] ويشير إلى صدره ثلاث مرات [بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه].**

(١) صحيح أبي داود برقم (٤٨٨٠).
(٢) مسلم برقم (٢٥٦٤).

فهذه القلوب هي محل التقوى أو الفجور ، ولذلك ثبت في صحيح مسلم [1] عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: [...**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا** ...].

ولذلك جعل الله النفاق والمرض والزيغ في القلوب قال الله تعالى : عن المنافقين ﴿ **فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ** ﴿١٠﴾ ﴾[البقرة١٠].

وقال تعالى :﴿ **فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ** ﴾ [الصف:٥].

وقال تعالى :﴿ **ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ** ﴾ [التوبة ١٢٧].

وقال تعالى :﴿ **وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴿١١٠﴾ ﴾[الأنعام١١٠].

وقال تعالى :﴿ ۞ **وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ** ﴿٧٥﴾ **فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ** ﴿٧٦﴾ **فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ** ﴿٧٧﴾ ﴾[التوبة : ٧٥_٧٧].

هذه القلوب هي محل الهداية ، قال الله تعالى :﴿ **وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ**

(١) مسلم برقم (٢٥٧٧).

﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١ ﴾[التغابن ١١].

هذه القلوب هي محل الخشوع قال الله تعالى :﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦ ﴾[الحديد ١٦].

وفي صحيح مسلم [١] عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول:[اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل، والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب له].

هذه القلوب هي محل الوجل ، قال الله تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ﴾[الأنفال ٢].

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥ ﴾[الحج ٣٥].

وقال تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ ﴾ [المؤمنون ٦٠].

وهكذا كانت قلوب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لينة رقيقة.

قال : العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب.[٢]

---

(١) مسلم برقم (٢٧٢٢).
(٢) صحيح أبي داود برقم (٤٦٠٧).

وجعل الله هذه القلوب محلًا للإنابة قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق٣١ـ ٣٣].

وهذه القلوب هي محل الرحمة والرقة فقد جاء عند ابن عساكر عن عمروبن أبي حبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: [خاب عبد وخسر لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمةً للبشر]. (١)

هذه القلوب هي آنية الله من أرضه قال رسول الله ﷺ: [إن لله آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها]. (٢)

هذه القلوب هي مناط التكليف ومحل نظر الرب ففي صحيح مسلم(٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: [**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**].

ومن فضل الله عَزَّ وَجَلَّ على أهل اليمن أن من عليهم بقلوب رقيقة وطباع لينة ففي الصحيحين (٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ أنه قال: **[أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبًا الإيمان يمان والحكمة يمانية والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل والسكينة والوقار في أهل الغنم]**.

وفي صحيح ابن حبان (٥) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال: بينما النبي ﷺ بالمدينة إذ قال: [**الله أكبر الله أكبر، جاء نصر الله وجاء الفتح، وجاء أهل**

(١) أخرجه الدولابي في الكنى برقم (٩٧١) والسلسلة الصحيحة برقم (٤٥٦).
(٢) السلسلة الصحيحة برقم (١٦٩١) عن أبي عنبة الخولاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) مسلم برقم (٢٥٦٤).
(٤) البخاري برقم (٤٣٨٨) ومسلم برقم (٥٢).
(٥) صحيح ابن حبان برقم (٧٢٩٨)

اليمن قوم نقية قلوبهم ، لينة طاعتهم ، الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية].

والله تبارك وتعالى هو الذي يتصرف في قلوب البشر كيف شاء ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال : ٢٤].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الله يتصرف في قلوب عباده بما شاء لا يمتنع عليه شيء منها ولا تفوته إرادة. (١)

فالواجب علينا أن نخاف على قلوبنا من تغييرها من حال إلى حال ومن رأي إلى رأي والمثبت من ثبته الله وحفظ له إيمانه ولذلك قال الله تعالى : عن دعاء الراسخين في العلم ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران : ٨].

وما سمي الإنسان إلا لنسيه وما سمي القلب إلا أنه يتقلب

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يثبت قلوبنا على طاعته ، وأن لا يزيغها بعد هدايتها، إنه أرحم الراحمين.



(١) فتح الباري (١٣/ ٣٧٧)

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي منَّ علينا بصحة الاعتقاد ، وطهر قلوبنا من أدران الشرك والوثنية والإلحاد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم من يومنا هذا إلى يوم التناد .

أما بعد :

فمعلوم أن العبد إنما ينال المكانة العالية عند الله بصلاح قلبه ، لا بكثرة عمله ، فيجب علينا معاشر المسلمين أن نحقق الإخلاص والتوحيد ، وتعظيم أوامر الله في قلوبنا وأن نطهرها من الغل والحسد والكبر والعجب والنفاق والرياء وجميع الأمراض القلبية والنفسية وهذه مكانة عظيمة إذا وفق الله العبد لتحقيقها ففي سُنَن ابن ماجه [(١)] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قيل لرسول الله ﷺ : أي الناس أفضل ؟، قال: [**كل مخموم القلب صدوق اللسان**] . قالوا صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب؟ قال: [**هو التقي النقي، لا إثم فيه ، ولا بغي ، ولا غل ولا حسد**] .

قال أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : القلب ملك والأعضاء جنوده فإذا طاب الملك طابت جنوده وإذا خبث القلب خبثت جنوده. [(٢)]

وقال الإمام الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: القلب أمير البدن وبصلاح الأمير

---

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٤٢١٦)
(٢) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٢١)

تصلح الرعية وبفساده تفسد. [١]

وأعظم من ذلك كله ما جاء في الصحيحين[٢] عن رسول الله ﷺ أنه قال: [...**ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت ، فسد الجسد كله ألا وهي القلب**] .

إخوة الإيمان والإسلام: هذه القلوب سريعة التقلب والتغير ففي سُنَن ابن ماجه [٣] عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ [**مثل القلب مثل ريشة تقلبها الريح بفلاة من الأرض**].

وثبت عند ابن أبي عاصم [٤] عن المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : ما آمن على أحد بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ يقول : [**لقلب ابن آدم أسرع تقلبًا من القدر إذا استجمعت غليانًا**].

وهذه القلوب تمرض كما تمرض الأبدان وتصح كما تصح الأبدان فعند الحاكم [٥] عن عبد الله بن عمروبن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : [**إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب الخلق ، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم**].

فإذا شعرتم معاشر المسلمين بضعف في الإيمان فلابد من البحث عن العلاج حتى يعود إلى القلب نوره وإشراقه ولقد صح عن أبي نعيم في الحلية [٦] عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**ما من**

(١) فتح الباري (١/ ١٧٥)
(٢) البخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) صحيح ابن ماجه برقم (٨٨) وظلال الجنة برقم (٢٢٨).
(٤) السُّنَّة برقم (٢٢٦) تحقيق الألباني.
(٥) المستدرك (١/ ٤) والصحيحة برقم (١٥٨٥).
(٦) الحلية (٢/ ١٩٦) والصحيحة برقم (٢٢٦٨).

القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر ، بينما القمر مضيء إذ علته سحابة فأظلم إذ تجلت عنه فأضاء ، وبينما الرجل يحدث إذ علته سحابة فنسي إذ تجلت عنه].

وأعظم ما يسبب إشراق القلب وجلاءه التوبة والإستغفار ، ففي مُسند الإمام أحمد (١) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**إن المؤمن إذا أذنب كانت نكته سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ذاك الرين الذي ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن** ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

وقد خاف رسول الله ﷺ على صحابته تقلب القلوب فكيف بغيرهم ففي سُنَن الترمذي (٢) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : كان رسول الله ﷺ [**يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**] ، فقلت : يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟ ، قال: [**نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله ، يقلبها كيف يشاء**] .

وفي صحيح ابن حبان (٣) عن النواس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن ، إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه**] ، قال : وكان رسول الله ﷺ يقول : [**يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك**] ، قال : [**والميزان بيد الرحمن ، يرفع قومًا ويخفض آخرين إلى يوم القيامة**] .

أيها المسلمون: وبما أن للقلوب هذه المكانة وهذه المنزلة التي هي محل نظر الإله سبحانه ، فينبغي أن نهتم ونبحث عن أسباب صلاحها ونبتعد

(١) أحمد برقم (٧٧٧).
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢١٤٠) .
(٣) صحيح ابن حبان برقم (٩٤٣) ، إسناده حسن .

عن أسباب فسادها ، وهناك أسباب لصلاح القلوب منها:

١- ذكر الله: قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد٢٨]. فالذاكر لربه حي القلب والغافل عن ذكر ربه ميت القلب ، كما جاء في الصحيحين [(١)] عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ : [**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه ، مثل الحي والميت**].

٢- ومن أسباب صلاح القلب ذكر مشاهد الآخرة مثل الموت والقبر والبعث والنشور ، حتى كان بعض السلف يقول: لو فارق ذكر الموت قلبي لخشيت أن يفسد علي قلبي.

وأما مفسدات القلوب فمنها:

اشتغال القلوب وتعلقها بغير الله والأشغال الصارفة للقلوب كثيرة :

١- منها حب الدنيا وطول الأمل ، والتماس معايب الناس ، وشغل القلب بهم ، ومنها ارتكاب الذنوب.

رأيت الذنوب تميت القلوب	**وقد يورث الذل إدمانها**
وترك الذنوب حياة القلوب	**وخير لنفسك عصيانها**
وهل بدل الدين إلا الملوك	**وأحبار سوء ورهبانها**
وباعوا النفوس فلم يربحوا	**وفي البيع لم يغل أثمانها**
لقد وقع القوم في جيفة	**بيّن لذي العقل إنتانها**

٢- منها كثرة الضحك كما في سُنَن ابن ماجه [(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) البخاري برقم (٦٤٠٧) ومسلم برقم (٧٧٩).
(٢) صحيح ابن ماجه برقم (٤٢١٧)

قال: قال رسول الله ﷺ: [...**وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**].

٣- ومنها كثرة المآكل والمشارب قال : الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خصلتان تفسدان القلب كثرة الكلام وكثرة الأكل.

وقال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكل شيء صدأ وصدأ القلب الشبع.

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة أطرحتها لأن الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة.

٤-ومنها مجالسة أهل البدع وأصحاب الأهواء قال:الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تجلس إلى صاحب بدعة،فإنه يمرض قلبك ويفسد عليك دينك.

وقال ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أسرع الناس ردة أهل الأهواء.

وقال ابن عون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا غلب الهوى على الرجل ، استحسن ما كان يستقبحه.

اللهم يا جابر كسر المنكسرين ، ويا راحم ذل المساكين ، ويا مغيث الملهوفين ، ويا ناصر المستضعفين ، ويا مالك يوم الدين ، أسألك أن تصلح قلوبنا وقلوب جميع المؤمنين.

اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة ، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

 ذم الحسـد

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[1]:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المسلمين : نحمد الله عَزَّوَجَلَّ الذي جعل هذا اليوم يوم موعظة وإرشاد ونصح وتذكير يسمع المسلمون في هذا اليوم العظيم المواعظ

والزواجر والأوامر والنواهي من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ومن سنة نبينا محمد ﷺ.

وإن مما ينبغي على المسلمين معرفته أن يعلموا أن من أقوى عوامل الفرقة والاختلاف ، وتفكيك المجتمعات وتقطيع أواصر الصلات ، المعاصي والمخالفات الشرعية،وإن من تلك الذنوب التي تسبب ذلك الحسد.

والحسد هو تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد (١)

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :والحسد نوعان مذموم ومحمود فالمذموم أن تتمنى زوال نعمة الله عن أخيك المسلم وسواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أولا.... وأما المحمود فهو حسد الغبطة. (٢)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحسد كراهة ما أنعم الله به على الغير ، أي وإن لم يتمن زوال تلك النعمة . (٣)

والحسد شر مستطير وداء عضال ومرض خطير ، قال الله تعالى مبينًا أن الحسد من صفات اليهود : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾[البقرة : ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن

(١) التعريفات للجرجاني ص (١٢٠).
(٢) تفسير القرطبي (٢/ ٧١).
(٣) شرح حلية طالب العلم ص (٢٣٣) للشيخ العثيمين.

فَضْلِهِۦۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [النساء : ٥١ ـ ٥٤].

ووصف الله تبارك وتعالى المنافقين بالحسد قال تعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَاۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [آل عمران : ١٢٠].

ووصف الله أهل الجهل بالحسد قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَاۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الفتح : ١٥].

والحسد أول ذنب عصي الله به في السماء قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة : ٣٤].

وهو أول ذنب عصي الله به في الأرض قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المائدة :٢٧ ـ ٣٠].

وقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يستعيذ بالله من شر الحاسد وذلك لعظم الحسد وكثرة ضرره ، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا

خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ [الفلق :١ـ ٥].

معاشر المؤمنين: لا يكاد يسلم من الحسد إلا من سلمه الله .

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما خلا جسد من حسد ولكن اللئيم يبديه والكريم يخفيه. [1]

وقيل للحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أيحسد المؤمن فقال : سبحان الله ما أنساك لإخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وقال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والحسد مركوز في طباع البشر وهو أن الإنسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه في شيء من الفضائل. [2]

ولقد حذر نبي الله ﷺ من الحسد أيما تحذير ففي الصحيحين [3] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: [**إياكم والظن ،فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ، ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا**].

والظن هي تهمة تقع في قلب المسلم على أخيه من غير دليل ولا برهان.

ومعنى قوله ﷺ ولا تحسسوا التحسس: هو استماع حديث القوم، وقد يطلق بمعنى الخير كما في قول يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف٨٧].

---

(١) مكارم الأخلاق ص (٢٤٧) لشيخ الإسلام ابن تيمية.
(٢) جامع العلوم والحكم ص (٢٦٠).
(٣) البخاري برقم (٦٠٦٦) ومسلم برقم (٢٥٦٣).

وقوله ﷺ ولا تجسسوا: التجسس البحث عن العورات.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قيل لرسول الله ﷺ أي الناس أفضل قال: [**كل مخموم القلب صدوق اللسان**] . قالوا صدوق اللسان نعرفه . فما مخموم القلب ؟ قال: [**هو التقي النقي . لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد**]. (١)

ومعنى قوله ﷺ [مخموم القلب] هو النقي الذي لا غل فيه ولا حسد. وهو من خممت البيت إذا كنسته.

وعند النسائي (٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : [**لا يجتمعان في النار مسلم قتل كافرًا ثم سدد وقارب ، ولا يجتمعان في جوف مؤمن غبار في سبيل الله وفيح جهنم ، ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد**].

وعند الحاكم (٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**سيصيب أمتي داء الأمم**] ، فقالوا : يا رسول الله وما داء الأمم ؟، قال : [**الأشر والبطر والتكاثر والتناجش في الدنيا ، والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي**].

وعند الطبراني (٤) عن ضمرة بن ثعلبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: [**لا يزال الناس بخير، ما لم يتحاسدوا**].

---

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٤٢١٦).
(٢) صحيح النسائي برقم (٣١٠٩).
(٣) المستدرك (٤/ ١٦٨) الصحيحة برقم (٦٨٠).
(٤) الطبراني برقم (٨١٥٧) وصحيح الترغيب برقم (٢٨٨٧).

وعند الطبراني في الدعاء [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كان من دعاء النبي ﷺ : [**اللهم إني أعوذ بك من جار السوء ، ومن زوج تشيبني قبل المشيب ، ومن ولد يكون علي ربًا ، ومن مال يكون علي عذابًا ، ومن خليل ماكر عينه تراني وقلبه يرعاني ، إن رأى حسنة دفنها ، وإن رأى سيئة أذاعها**].

فحذار حذار أيها المسلمون من التحاسد وكما يقول الأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ: العتاب خير من الحقد. [(٢)]

وكما في المثل الآخر ـ الحسود لا يسود ـ .

وصدق من قال:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم	**قبلي من الناس أهل الفضل قد حُسدوا**
فدام لي ولهم ما بي وما بهم	**ومات أكثرنا غيظًا بما يجد**

نسأل الله العلي العظيم أن يطهر قلوبنا من النفاق والغل والحسد ، وألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من الخيانة ، إنه أرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين .



(١) رواه الطبراني في الدعاء والصحيحة برقم (٣١٣٧).
(٢) السير (٤/ ٩٤).

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ٨-١٠].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ قال: هو الحسد.[١]

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أي لا يجدون في أنفسهم حسدًا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة.[٢]

ومعنى قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي حقدًا وحسدًا، فسلامة الصدور من الغل والحسد راحة وطمأنينة.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٨/ ٦٠٩-٦١٠) وسنده صحيح.
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٨).

قال : الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما عفوت ولم أحقد على أحد   أرحت نفسي من هم العداوات

إني أحيي عـدوي عند رؤيته   لأدفـع الشر عني بالتحيـات

والله يقول في كتابه الكريم : ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩ ﴾ [الشعراء٨٨ ـ ٨٩].

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أركان الكفر أربعة الكبر والحسد والغضب والشهوة. (١)

معاشر المسلمين: الحسد أضراره كثيرة فمن ذلك: أن الحاسد ظالم من الظلمة .

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من حاسد نفس، دائم وحزن ، لازم وعبرة لا تنفد.

وصدق من قال:

قل للحسود إذا تنفس طعنة   يـا ظـالمًـا وكـأنـه مظلوم

ومن أضرار الحسد أن الحاسد عدو نعمة الله .

قال : بعض الحكماء : بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه :

أحدها : أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره .

وثانيها : أنه ساخط لقسمة ربه كأنه يقول : لم قسمت هذه القسمة ؟ .

وثالثها : أنه ضاد فعل الله أي أن فضل الله يؤتيه من يشاء ، وهو يبخل

(١) فوائد الفوائد ص (٢٨٨).

بفضل الله .

ورابعها : أنه خذل أولياء الله أويريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم .

وخامسها : أنه أعان عدوه إبليس .

وقيل : الحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامة ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة وبغضاء ولا ينال في الخلوة إلا جزعًا وغمًا ولا ينال في الآخرة إلا حزنًا واحتراقًا ولا ينال من الله إلا بعدًا ومقتًا. [١]

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لا تعادوا نعم الله قيل له ومن يعادي نعم الله قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله. [٢]

وصدق من قال:

أيا حاسدًا لي على نعمتي ... أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في حكمه ... لأنك لم ترض لي ما وهب

فأخزاك ربي بأن زادني ... وسد عليك وجوه الطلب

ومن أضرار الحسد أنه سبب للاستطالة في عرض المحسود قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ

---

(١) تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٦٠).
(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٢٥١).

مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يوسف : ٤ ـ ١٥] .

وقد أحسن من قال:

كل العداوات قد ترجى إماتتها إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال آخر:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالناس أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدًا وبغيًا إنه لذميم

وقال معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ليس في خصال الشر أعدل من الحسد، يقتل صاحبه قبل أن يصل إلى المحسود.

فيا أمة الإسلام: الحسد أضراره وخيمة وعواقبه سيئة إلى الغاية .

قال الشيخ ابن عثيمين [(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ: **ومضار الحسد إحدى عشرة وهي:**

١- أنه من كبائر الذنوب .

٢- أنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والحديث ضعيف.

(١) شرح حلية طالب العلم ص (٢٣٤).

٣- أنه من أخلاق اليهود.

٤- أنه ينافي الإخوة الإيمانية.

٥- أن فيه عدم الرضا بقضاء الله وقدره.

٦- أنه سبيل للتعاسة .

٧- الحاسد متبع لخطوات الشيطان.

٨- يورث العداوة والبغضاء بين الناس.

٩- قد يؤدي إلى العدوان على الغير.

١٠- فيه ازدراء لنعمة الله على الحاسد.

١١- يشغل القلب عن الله.

فعلينا أن نحذر من هذا الداء ، الذي هو من شرور الأدواء على النفوس وأن نبحث عن الدواء إذا أردنا السلامة منه ، وهناك أسباب نتداوى بها من هذا المرض الخطير فمنها:

١ - التقوى والصبر: قال تعالى :﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾[آل عمران ١٢٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

فمن وجد في نفسه حسدًا لغيره فعليه أن يستعمل معه التقوى والصبر فيكره ذلك من نفسه ... ، ومن اتقى الله وصبر فلم يدخل في الظالمين ، نفعه الله بتقواه ، كما جرى لزينب بنت جحش رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ، فإنها كانت هي

التي تسامى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من أزواج النبي ﷺ. [(١)]

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

٢- ومن علاجه أيضًا الإحسان إلى الحاسد: قال الله تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[فصلت ٣٤].

٣- ومن أسباب العلاج أيضًا كتمان النعم عن الحاسد: قال الله تعالى: عن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: ليوسف ﴿ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ ﴾[يوسف ٥].

قال بعض السلف: إذا سرك أن تسلم من الحاسد، فغم عليه أمرك.

وثبت عند الطبراني في الكبير [(٢)] عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: [**استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فان كل ذي نعمة محسود**]. وهذا مما لا شك فيه أن كل ذي نعمة محسود.

قال: قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ ما كثرت النعمة على قوم قط إلا كثرت أعداؤها. [(٣)]

وقال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: وما زالت الفضائل إذا ظهرت تحسد. [(٤)]

٤- ومن أسباب العلاج كثرة ذكر الموت: قال: أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده.

---

(١) الفتاوى (١٠/ ١٢٥).
(٢) الطبراني برقم(١٨٣) والصحيحة (١٤٥٣).
(٣) أخرجه أحمد في العلل برقم (١١٦).
(٤) لطائف المعارف ص(٦١).

ومن أسباب العلاج أيضًا : المحافظة على أذكار الصباح والمساء والنوم، والتحصن بالذكر في كل وقت.

نسأل الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين ، وأن يقينا كل شر وبلاء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



٣٠ الصـــدق والكـــذب

الخُطبَةُ الأُولَى[١]:

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إلَهَ إلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَريْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّساء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس: الصدق صفة حميدة وخصلة كريمة، بل إن الصدق عنوان الإسلام وميزان الإيمان وأساس ملة الدين ، بخلاف الكذب فإنه ميزان النفاق وأساسه.

قال : العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقسم الله سبحانه الناس إلى صادق ومنافق فقال : ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٢٤].

والإيمان أساسه الصدق والنفاق أساسه الكذب فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر. (١)

قال بعض العلماء : لا سيف كالحق ولا عون كالصدق.

وقال بعضهم : من صدق في مقاله، زاد في جماله.

وما هو الصدق؟، هو مطابقة الخبر للواقع.

وقيل هو: استواء الباطن والظاهر.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالمرائي مثلًا ليس بصادق لأنه يظهر للناس بأنه من العابدين وليس كذلك ، والمشرك مع الله ليس بصادق لأنه يظهر بأنه موحد وليس كذلك ، والمبتدع ليس بصادق لأنه يظهر الإتباع للرسول ﷺ وليس بمتبع ، والمنافق ليس بصادق لأنه يظهر الإيمان وليس بمؤمن. (٢)

معاشر المسلمين: إن الله عَزَّوَجَلَّ وصف نفسه بالصدق قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء٨٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ [النساء١٢٢].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [آل عمران٩٥].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٥٨).
(٢) شرح رياض الصالحين (١/ ١٤٩).

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ ﴾ [التوبة١١١].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران٩].

وقال تعالى عن أهل الجنة ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾ [الزمر٧٤].

وقد وصف الله تبارك وتعالى أنبياءه ورسله وعباده الصالحين بالصدق وأثنى عليهم بذلك قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ [مريم٤١].

وقال تعالى عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أيضًا: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[الشعراء٨٣ـ ٨٤].

وقال تبارك وتعالى عن نبيه إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ ﴾ [مريم٥٦].

وقال تعالى عن نبيه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ ﴾ [الأعراف١٠٥] . أي إلا الصدق.

وقال تبارك وتعالى عن نبيه إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ [مريم٥٤].

وقال تعالى عن بعض أنبيائه ورسله : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ [مريم٥٠].

وقال تعالى عن نبيه يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [يوسف٤٦].

وقال تعالى إخبارًا عن الملك : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يوسف ٥١].

وقال تعالى عن نبينا محمد ﷺ : ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأحزاب ٢٢].

وقال تعالى عن المهاجرين : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الحشر ٨].

أيها المسلمون: لقد بين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صفات الصادقين في القرآن الكريم واضحة جلية فليس الصدق مقصورًا على النطق بالكلام هذا جزء منه لكن الصدق أعم من ذلك وأشمل الصدق في الإيمان والصدق في الأقوال والصدق في كل الأحوال قال الله تعالى : ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة ١٧٧].

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحديد ١٩].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات١٥].

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر٣٣].

وقال تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب٢٣].

وفي الصحيحين [١] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال : يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع . فلما كان يوم أُحد وانكشف المسلمون قال اللهم : إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين . ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد قال : سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال : أنس فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أوطعنة برمح أورمية بسهم ، ووجدناه قد قُتل وقد مَثَّلَ به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه . قال : أنس كنا نرى أونظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ ... إلى آخر الآية.

فانظروا معاشر المسلمين، كيف شم رائحة الجنة قبل خوض المعركة.

قال بعض العلماء: إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله.

---

(١) البخاري برقم (٢٨٠٥) ومسلم برقم (١٩٠٣).

وقال يوسف بن أسباط: ما صدق الله عبد إلا صنع له. أي جعل الله له الكرامة.[١]

وفي الصحيحين[٢] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: [**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**]. قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: [**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**].

وعند النسائي[٣] عن شداد بن الهاد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه فلما كانت غزوة غنم النبي ﷺ سبيًا فقسم وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا قالوا قسم قسمه لك النبي ﷺ فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ، فقال: ما هذا قال: قسمته لك، قال: ما على هذا اتبعتك ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى ها هنا، وأشار إلى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال: إن تصدق الله يصدقك، فلبثوا قليلًا ثم نهضوا في قتال العدو فأتى به النبي ﷺ يحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: أهو هو، قالوا: نعم، قال: [**صدق الله فصدقه ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته، اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا في سبيلك فُقتل شهيدًا، أنا شهيد على ذلك**].

---

(١) الفتاوى (١١/ ٣١٤).
(٢) البخاري برقم (٣٢٥٦) ومسلم برقم (٢٨٣١).
(٣) صحيح النسائي برقم (١٩٥٢).

عباد الله : الصدق سبب في الفوز بالجنة والنجاة من النار ، وسبب في النجاة من أهوال يوم القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩ ﴾ [المائدة١١٩].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥ ﴾ [الأحزاب٣٥].

وفي صحيح مسلم [١] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : [**إن الصدق بر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن العبد ليتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا ، وإن الكذب فجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن العبد ليتحرى الكذب حتى يكتب كذابًا**].

وفي مُسند الإمام أحمد [٢] عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال : [**اضمنوا لي ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة ، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدوا إذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم**].

وفي سُنَن أبي داود [٣] عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: [**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة ،لمن ترك المراء وإن كان محقًا ، وببيت في**

---

(١) مسلم برقم (٢٦٠٧).
(٢) أحمد برقم (٢٢٧٥٧).
(٣) صحيح أبي داود برقم (٤٨٠٠).

وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه] .

فيا إخوة الإيمان والإسلام : لازموا الصدق في أقوالكم وأعمالكم ومعاملتكم ، فهو سبب في النجاة من كل الشرور والبلايا ، قال : عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : عليك بالصدق وإن قتلك.

عـليـك بـالـصـدق ولـو أنـه أحرقك الصدق بنار الوعيد

وابغ رضا المولى فأغبى الورى من أسخط المولى وأرضى العبيد

وقال بعضهم: الموت مع الصدق، خير من الحياة مع الكذب.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل لنا ولكم لسان صدق في الآخرين ، وأن يثبتنا على دينه القويم ، إنه أرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين.



الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: لقد أمر الله بالصدق وأثنى على الصادقين وحذر من الكذب وذم الكذابين قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة١١٩].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن أردت أن تكون مع الصادقين فعليك بالزهد في الدنيا والكف عن أهل الملة.[١]

والصدق خير كله قال الله تعالى في شأن المنافقين: ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ [محمد٢١].

قال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو وضع الصدق على جرح لبرأ.[٢]

الصدق سبب للرزق وحلول البركة، ففي الصحيحين[٣] عن حكيم ابن حزام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: [**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، أوقال حتى يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا، مُحقت بركة بيعهما**].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨١).
(٢) الفتاوى (١١/ ٣١٤) لشيخ الإسلام ابن تيمية.
(٣) البخاري برقم (٢٠٧٩) ومسلم برقم (١٥٣٢).

والصدق نجاة في الدنيا والآخرة ، كما ثبت في الصحيحين [١] عن طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : إن أعرابيًا جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس فقال: يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله علي من الصلاة فقال : [**الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئًا**] . فقال : أخبرني ما فرض الله علي من الصيام فقال : [**شهر رمضان إلا أن تطوع شيئًا**] . فقال : أخبرني بما فرض الله علي من الزكاة فقال : فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام قال : والذي أكرمك لا أتطوع شيئًا ولا أنقص مما فرض الله علي شيئًا . فقال رسول الله ﷺ : [**أفلح إن صدق أو -دخل الجنة- إن صدق**].

قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ : خصلتان من كانت فيه نجا، الصدق وحب أصحاب محمد ﷺ.[٢]

ويروى عن الحجاج أنه خطب فأطال فقام رجل فقال:الصلاة فإن الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك فأمر بحبسه فأتاه قومه زعموا أنه مجنون وسألوه أن يخلي سبيله فقال: إن أقر بالجنون خليته فقيل له فقال: معاذ الله لا أزعم أن الله ابتلاني وقد عافاني ، فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه.

والقلوب تطمئن إلى أقوال الصادقين وحديثهم وتشمئز النفوس من حديث الكاذبين ففي الترمذي [٣] عن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: حفظت من رسول الله ﷺ [**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة ، وإن الكذب ريبة**].

---

(١) البخاري برقم (٦٩٥٦) ومسلم برقم (١١).
(٢) الشفا (٢/ ٤٣) للقاضي عياض.
(٣) صحيح الترمذي برقم (٢٥١٨).

فيا أخي المسلم إذا رزقك الله الصدق في الأقوال والأعمال ، فما عليك ما فاتك من الدنيا ففي مُسند الإمام أحمد[١] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال : [أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا ، حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خليقة ، وعفة في طعمة].

وقد قرن الله الكذب بعبادة الأوثان قال تعالى : ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾[الحج ٣٠].

وبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خطورة الكذب بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[النحل ١٠٥].

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه.[٢]

والكذب على ثلاثة أقسام:

الكذب على الله ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[الزمر ٦٠].

وقال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[يونس ١٧].وغيرها من الآيات.

الكذب على الرسول ﷺ ففي الصحيحين[٣] عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال النبي ﷺ [لا تكذبوا علي ، فإنه من كذب علي فليلج النار].

الكذب على الناس ففي صحيح مسلم[٤] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

(١) أحمد برقم (٦٦٥٢) والصحيحة برقم (٧٣٣).
(٢) صلاح الأمة (٥/ ٤٣) للعفاني.
(٣) البخاري برقم (١٠٦) ومسلم برقم (١).
(٤) مسلم برقم (١٠٧).

قال رسول الله ﷺ : [**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم، شيخ زان، وملك كذاب ، وعائل مستكبر**].

أيها الناس: ولبغض النبي ﷺ للكذب [فإنه كان ﷺ إذا اطلع على أحد من أهل بيته كذب كذبة لم يزل معرضًا عنه حتى يحدث توبة]رواه أحمد.[١]

وقد أخبر النبي ﷺ عن ظهور الكذب وتفشيه في آخر الزمان ففي مُسند الإمام أحمد [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**إنها ستأتي على الناس سنون خداعة ، يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخون فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة، قيل: وما الرويبضة؟، قال : السفيه يتكلم في أمر العامة**].

فما أحوجنا يا عباد الله في هذا الزمان إلى الصدق الذي قل أهله ، وكثر الكذب وأهله ،قال : يوسف بن أسباط رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لأن أبيت ليلة أعامل الله بالصدق ، أحب إلي من أن أضرب بسيفي في سبيل الله.

وكان علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول : لو نادى مناد من السماء أن الكذب حلال ما كذبت.

وما أجمل ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن المشايخ العارفين اتفقوا على أن أساس الطريق إلى الله هو الصدق والإخلاص كما جمع الله بينهما في قوله﴿ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾ ونصوص الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة دال على ذلك في مواضع كقوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ وقوله تعالى ﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ

---

(١) صحيح الجامع برقم (٤٦٧٥).
(٢) أحمد برقم (٧٩١٢).

﴿فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾. [(١)]

وتأملوا إخوة الإيمان كيف يبلغ العبد المنازل العالية ويتبوأ المكان الرفيع بسبب الصدق روى الإمام مسلم في صحيحه [(٢)] عن سهل بن حنيف رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: [**من سأل الشهادة بصدق ؛ بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**].

وهذا أبوذر الغفاري رضي الله عنه قال : فيه النبي ﷺ [ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر]. [(٣)]

وقد جعل الله عز وجل علامات للصادقين يُعرفون بها ففي الترمذي [(٤)] عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدنية انجفل الناس إليه... فجئت في الناس لأنظر إليه فلما استثبت وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب وكان أول شيء تكلم به أن قال: [**أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا والناس نيام ، تدخلون الجنة بسلام**].

الله أكبر ما أعظم سيرة الصادقين وما أروع مواقفهم ،وما أحسن حديثهم ، فنشهد الله على محبتهم .

إني رضيت عليًا للهدى علمًا ... كما رضيت عتيقًا صاحب الغار

وقد رضيت أبا حفص وشيعته ... وما رضيت بقتل الشيخ في الدار

---

(١) الفتاوى (٢٠/ ٧٧).
(٢) مسلم برقم (١٩٠٩).
(٣) صحيح ابن ماجه برقم (١٥٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٤) صحيح ابن الترمذي برقم (٢٤٨٥).

كل الصحابة عندي قدوة علم فهل علي بهـذا القول من عار

إن كنت تعلم أني لا أحبهم إلا من أجلك فاعتقني من النار

اللهم إنا نسألك الفوز عند القضاء ،والنصر على الأعداء ،ومنازل الشهداء، ومرافقة الأنبياء.

هذا وصلوا وسلموا رحمكم الله على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه حيث قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد ما تتابع الليل والنهار ،وما فاحت الأزهار ،وما تدفقت الأنهار ، وعلى آله وأصحابه من المهاجرين والأنصار ، وسلم تسليمًا كثيرًا.



٣١ تذكير الإخوان بمكائد الشيطان

الخُطْبَةُ الأُوْلَى:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون: لقد حذر الله عَزَّوَجَلَّ العباد من الشيطان تحذيرًا عظيمًا وبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مداخله ومكائده الكثيرة التي يكيد بها العباد قال تبارك وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ

لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [البقرة :١٦٨ ـ ١٦٩].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ادْخُلُوا۟ فِى السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ الشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف : ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ الشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ الشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور : ٢١].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر :٥ ـ ٦].

وقال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ الشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس :٦٠ ـ ٦٢].

ومعنى ﴿ جِبِلًّا ﴾ :أي خلقًا كثيرًا.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف : ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ

أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾﴾[النساء : ٦٠].

وجاء في مُسند الإمام أحمد [١] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**إن الشيطان قال : وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، قال : الرب وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني**].

وهكذا لا يزال إبليس لعنه الله يبعث جنوده الكثيرة ويعدهم ويمنحهم بالتكريم إنهم أضلوا العباد ونجحوا في مهمتهم ففي صحيح مسلم [٢] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول : [**إن عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه فيفتنون الناس ، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة**].

وفي صحيح ابن حبان [٣] عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي ﷺ قال : [**إذا أصبح إبليس بث جنوده فيقول: من أضل اليوم مسلمًا ألبسته التاج، قال : فيخرج هذا فيقول: لم أزل به حتى طلق امرأته ، فيقول: أوشك أن يتزوج ويجيء هذا فيقول: لم أزل به حتى عق والديه ، فيقول: أوشك أن يبر ويجيء ، هذا فيقول: لم أزل به حتى أشرك فيقول: أنت أنت ويجيء فيقول: لم أزل به حتى زنى ، فيقول: أنت أنت ويجيء ، هذا فيقول: لم أزل به حتى قتل فيقول: أنت أنت ويلبسه التاج**].

وفي صحيح مسلم [٤] عن عياض بن حمار المجاشعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال : ذات يوم في خطبته [**ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم**

(١) أحمد برقم (١١٢٣٧) وصحيح الجامع برقم (١٦٥٠).
(٢) مسلم برقم (٢٨١٣).
(٣) ابن حبان برقم (٦١٨٩).
(٤) مسلم برقم (٢٨٦٥).

مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبدًا حلال وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم...]. ومعنى قوله [حنفاء] أي موحدين.

وأعظم ما يفرح به الشيطان أن يوقع العبد في الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ ويشككه في ربه وخالقه كما جاء في الصحيحين [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ :[**يأتي الشيطان أحدكم فيقول:من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**].

وهكذا الشيطان لا يزال يدعو الناس إلى الغواية حتى وهم في سكرات الموت فقد جاء في سُنَن أبي داود [(٢)]عن أبي اليسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ كان يدعو[**اللهم إني أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردي، وأعوذ بك من الغرق والحرق والهرم، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرًا ، وأعوذ بك أن أموت لديغًا**].

أيها المسلمون: إن الشيطان هو الذي يزين للناس الجرائم والمعاصي والفجور فكم زين لكثير من الأمم كبائر الذنوب ومساوئ الأخلاق كما قال تبارك وتعالى:﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦٣﴾ ﴾[النحل : ٦٣].

وزين لعاد وثمود أعمالهم من الشرك وعبادة الأوثان والأصنام ، كما قال تعالى: ﴿ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[العنكبوت : ٣٨].

---

(١) البخاري برقم (٣٢٧٦) ومسلم برقم (١٣٤).
(٢) صحيح أبي داود برقم (١٥٥٢).

وزين لسبأ شركهم بالله رب العالمين وعبادة غيره كما قال الله تبارك وتعالى : إخبارًا عن الهدهد أنه قال: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النمل : ٢٤].

وزين للأبوين أكل الشجرة حتى أوقعهما في المعصية ، وتسبب في إخراجهما من الجنة ، وأقسم لهما أنه ناصح لهما ، قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف :٢٠ ـ ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ [طه :١١٥ ـ ١٢١].

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درج الجنات وفوز العابد

ونسيت أن الله أخرج أدمـًا منها إلى الدنيا بذنب واحـد

وزين لقريش في غزوة بدر حتى أنزلهم بساحة المعركة كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأنفال : ٤٨].

معاشر المسلمين: إن عداوة الشيطان عداوة حقيقية لا يخالجها شك أوريبة كتب الله لها الدوام إلى قيام الساعة كما قال تبارك وتعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف :١٦ ـ ١٧].

وعن سبرة بن أبي فاكه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقة فقعد له بطريق الإسلام فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك ، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه فهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال : تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال ، فعصاه فجاهد .**

فقال رسول الله ﷺ : فمن فعل ذلك كان حقًا على الله عَزَّوَجَلَّ أن يدخله الجنة ،ومن قتل كان حقًا على الله عَزَّوَجَلَّ أن يدخله الجنة ، وإن غرق كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقًا على الله أن يدخله الجنة]. [1]

وقد علمنا نبينا ﷺ أن نستعيذ بالله من تسليط الشيطان علينا من

(١) صحيح النسائي برقم (٣١٣٤).

الجهات الأربع ، ففي أبي داود [١] عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح ، يقول : [**اللهم إني أسألك العفو والعافية ، في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسألك العفو والعافية، في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي ، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ، ومن خلفي ، وعن يميني وعن شمالي ، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**].

ولقد كشف الله عَزَّوَجَلَّ لعباده المؤمنين كثيرًا من مكائد الشيطان الخطيرة وبينها في كتابه الكريم أوضح بيان وما ذاك إلا ليكون المسلم على حذر شديد من مكره وخطواته فله طرق كثيرة ووسائل شتى يتوصل بها لإضلال الناس وإهلاكهم ، ودونك هذه الأمثلة في ذلك:

١-الإغواء: قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحجر:٣٩ـ ٤٠].

٢-الفتنة: قال تعالى: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾[الحج: ٥٣].

٣-الإستزلال بأن يوقعهم في الزلل والخطأ : قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [آل عمران : ١٥٥].

٤-الكيد : قال تعالى: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٧٦].

٥-الوعود الكاذبة والأماني الفارغة: قال تعالى: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا

---

(١) صحيح أبي داود برقم (٥٠٧٤).

يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النساء : ١٢٠].

٦-العداوة والبغضاء : قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة : ٩١].

٧-التزيين : قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنعام : ٤٣].

٨-الوسوسة وهي الصوت الخفي الذي يلقيه في قلب الإنسان: قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأعراف: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ ﴾ [الناس : ٤ـ ٥]

٩-النسيان لذكر الله : قال تعالى: ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [يوسف : ٤٢].

١٠-النزغ : قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الإسراء : ٥٣].

وقال تعالى: ﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٠].

١١- الغرور : قال تعالى: ﴿ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الإسراء : ٦٤].

١٢-التسويل والإملى: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ﴾[محمد : ٢٥].

١٣-الخذلان : قال تعالى:﴿ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٩].

١٤-الصد عن الخير : قال تعالى: ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٢﴾ ﴾[الزخرف : ٦٢].

١٥-الاستحواذ : قال تعالى: ﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[المجادلة : ١٩].

١٦-الإيحاء: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [الأنعام : ١٢١].

١٧- السحر : قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ ﴾ [البقرة : ١٠٢].

١٨-التبذير : قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾ ﴾[الإسراء : ٢٧].

١٩- الإضلال : قال تعالى عن موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال:﴿ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ ﴾[القصص : ١٥].

اللهم إنا نعوذ بك من همزات الشياطين ومكرهم ، اللهم ندرأ بك في نحورهم ، ونعوذ بك من شرورهم.

والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أمة الإسلام والقرآن، يقول الله تعالى:﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ ﴾[الأعراف : ٢٧].

قال ابن القيم [(١)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: وعلم عدو الله أنهما إذا أكلا من الشجرة بدت لهما عوراتهما فإنها معصية ، والمعصية تهتك ستر ما بين الله وبين العبد فلما عصيا انهتك ذلك الستر فبدت لهما سوآتهما ، فالمعصية تبدي السوأة الباطنة والظاهرة ، ولهذا رأى النبي ﷺ في رؤياه الزناة والزواني عراة بادية سوآتهم ، وهكذا إذا رؤي الرجل أوالمرأة في منامه مكشوف السوأة فإنه يدل على فساد في دينه ، قال الشاعر :

إني كـأني أرى من لا حياء له ... ولا أمانة وسط الناس عريانا

فإن الله سبحانه أنزل لباسين : لباسًا ظاهرًا يواري العورة ويسترها ، ولباسًا باطنًا من التقوى يجمل العبد ويستره فإذا زال عنه هذا اللباس

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٧٨).

انكشفت عورته الباطنة ، كما تنكشف عورته الظاهرة بنزع ما يسترها.

فهذا الشيطان جاء إلى الأبوين بطريق ظاهرها النصيحة لكن في باطنها المكر والخديعة والحيلة والمؤمن قد يخدع بالله ، فقد كان عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة أعتقه ، فكان عبيده يفعلون ذلك طلبًا للعتق ، فقيل له : إنهم يخدعونك ، فقال : من خدعنا بالله انخدعنا له. (١)

إن الكريم إذا تشاء خدعته وترى اللئيم مجربًا لا يخدع

وقال آخر:

دلاهم بغرور ثم أسلمهم إن الخبيث لمن والاه غرار

والمؤمن إذا كان ملازمًا لطاعة الله وذكره فإن الشيطان لن يتسلط عليه وإنما يخاف على العبد من الشيطان إذا كان غافلًا عن ذكر ربه قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الزخرف :٣٦ ـ ٣٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٢) رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: فان الشيطان إنما يمنعه من الدخول إلى قلب ابن آدم ما فيه من ذكر الله الذي أرسل به رسله فإذا خلا من ذلك تولاه الشيطان.

وقال ابن القيم (٣) رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: كل ذي لب يعلم أنه لا طريق للشيطان عليه إلا من ثلاث جهات:

---

(١) تفسير القاسمي (٧/ ٣٧).
(٢) الفتاوى (١٠/ ٣٩٩).
(٣) فوائد الفوائد ص (٢٩٦) ترتيب علي بن حسن الحلبي.

أحدها : التزيد والإسراف فيزيد على قدر الحاجة فتصير فضلة وهي حظ الشيطان ومدخله إلى القلب وطريق الاحتراز منه إعطاء النفس تمام مطلوبها من غذاء أونوم أولذة أوراحة فمتى أغلقت هذا الباب حصل الأمان من دخول العدومنه.

الثانية: الغفلة فإن الذاكر في حصن الذكر فمتى غفل فتح باب الحصن فولجه العدو فيعسر عليه أويصعب إخراجه.

الثالثة: تكلف مالا يعنيه من جميع الأشياء.

وقال أيضًا (١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: ولما علم عدو الله إبليس أن المدار على القلب والاعتماد عليه أجلب عليه بالوساوس وأقبل بوجوه الشهوات إليه وزين له من الأحوال والأعمال ما يصده به عن الطريق وأمده من أسباب الغى بما يقطعه عن أسباب التوفيق ونصب له من المصايد والحبائل ما إن سلم من الوقوع فيها ، لم يسلم من أن يحصل له بها التعويق فلا نجاة من مصايده ومكايده إلا بدوام الاستعانة بالله تعالى والتعرض لأسباب مرضاته والتجاء القلب إليه وإقباله عليه في حركاته وسكناته والتحقق بذل العبودية الذي هو أولى ما تلبس به الإنسان ليحصل له الدخول في ضمان ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ الحجر : ٤٢] .

فهذه الإضافة هي القاطعة بين العبد وبين الشياطين وحصولها سبب تحقيق مقام العبودية لرب العالمين وإشعار القلب إخلاص العمل ودوام اليقين فإذا أشرب القلب العبودية والإخلاص صار عند الله من المقربين وشمله استثناء ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحجر : ٤٠].

ولقد عصم الله نبيه محمدًا ﷺ من تسليط الشياطين عليه، وحفظه من

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٨).

كيدهم، ففي صحيح مسلم [(١)] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره) فقالوا: إن محمدًا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال : أنس وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [**ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن** ، قالوا : وإياك يا رسول الله ؟، قال: **وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير**]. [(٢)]

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :[إن عفريتًا من الجن جعل يفتك علي البارحة ليقطع علي الصلاة ، وإن الله أمكنني منه فذعته فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون ـ أوكلكم ـ ثم ذكرت قول أخي سليمان: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ﴾ فرده الله خاسئًا]. [(٣)]

معاشر المسلمين: ما أعظم الخطب وما أشد الفتنة حينما يعظم سلطان الشيطان على بعض القلوب فيصبح لصوته قبول ولخيله ورجله ميدان قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الإسراء : ٦٤]. [(٤)]

---

(١) مسلم برقم (١٦٢).
(٢) مسلم برقم (٢٨١٤).
(٣) البخاري برقم (١٢١٠) ومسلم برقم (٥٤١).
(٤) صوت المنبر ص (٩٦) للونيان .

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾: صوته كل داع دعا إلى معصية الله.[1]

﴿ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤ ﴾ [الحج : ٤].

ومن حبائل الشطان ومكائده الخطيرة على المسلم ،أنه يدعوه إلى مجاوزة حد الاعتدال ومسلك الوسطية.

قال بعض السلف : ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان، إما إلى تفريط وإما إلى مجاوزة، وهي الإفراط ولا يبالي بأيهما ظفر: زيادة أونقصان.[2]

اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، وأصلح لنا شأننا كله ، وأعذنا من الغفلة ، واعصمنا من الذنوب والمعاصي وخطوات الشيطان يا أرحم الراحمين.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رُشد ، يُعز فيه أهل طاعتك ، ويُذل فيه أهل معصيتك ، أن ربنا لسميع الدعاء.



(١) تفسير ابن جرير (١٤/ ٦٥٧).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٠٨).

٣٢ إتحاف الأنام بفضائل الشام

الخُطْبَةُ الأُولَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَة بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: لقد وردت أدلة كثيرة وفضائل عظيمة للشام وأهله نذكر ما يسر الله ذكره في هذه الجمعة المباركة وما حبا الله تلك البلاد المباركة من الخصائص والفضائل ﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ ﴾ [القصص٦٨] .

والشام هي سورية ولبنان وفلسطين والأردن، وفي لسان العرب [١] أن أجناد الشام خمسة : دِمَشْق ، وحِمْص، وقِنَّسْرِين، والأُرْدُنُّ ، وفِلَسْطِين.

وقال ابن الفقيه الهمداني : أجناد الشام أربعة ، حمص ودمشق وفلسطين والأردن. [٢]

ولقد كان السلف يرغبون في سكنى الشام قال : عطاء الخراساني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما هممت بالنقلة شاورت من بمكة والمدينة والكوفة والبصرة وخراسان من أهل العلم فقلت أين ترون لي أنزل بعيالي؟. فكلهم يقولون عليك بالشام. [٣]

وقد رغب النبي ﷺ قبل ذلك بسكنى الشام فعند الترمذي [٤] عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : [**ستخرج نار من حضرموت أو من نحو حضرموت ،قبل يوم القيامة تحشر الناس**] قالوا يا رسول الله : فما تأمرنا ؟، قال: [**عليكم بالشام**].

وفي مُسند الإمام أحمد وجامع الترمذي [٥] عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قلت : يا رسول الله أين تأمرني قال : هاهنا ونحا بيده نحوالشام قال: [**إنكم محشورون رجالًا وركبانًا وتجرون على وجوهكم**.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم ويبقى في الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم وتقذرهم نفس الله**

(١) لسان العرب (٣/ ١٣٢).
(٢) وا قدساه (١/ ٨٩) للعفاني .
(٣) ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام ص(٢٨ـ٢٩) للعز بن عبد السلام .
(٤) صحيح الترمذي برقم (٢٢١٧).
(٥) أحمد برقم (٢٠٠٣١) وصحيح الترمذي برقم (٢١٩٢).

وتحشرهم النار مع القردة والخنازير]. (١)

قال الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى (٢): لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام وبها كان مقامه أيام حياته.

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند شرحه لهذا الحديث [ستكون هجرة بعد هجرة] معنى الهجرة الثانية الهجرة إلى الشام يرغب في المقام بها وهي مهاجر إبراهيم صلوات الله عليه. (٣)

وقد سمى الله تبارك وتعالى الشام بالأرض المباركة في أكثر من آية في كتابه الكريم ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [الأعراف١٣٧] .

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ ﴾ هي مشارق الشام ومغاربها.

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [يونس٩٣] .

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بوأهم الشام وبيت المقدس.

---

(١) صحيح الترغيب برقم (٣٠٩١).
(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٣١٥).
(٣) معالم السُنَن (٢/ ٢٠٤).

وقال تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء١] .

قال الإمام العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اختلف العلماء في هذه البركة فقيل هي بالرسل والأنبياء وقيل بما بارك فيها من الثمار والمياه. (١)

ولا شك أن هذه البركة غير مقيدة وغير محددة فهي شاملة لكل أنواع البركة ، البركة الإيمانية، والبركة الأخلاقية ،والبركة التاريخية، والبركة السياسية والاجتماعية والجهادية. (٢)

وقال الله تعالى :﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنبياء:٧١] .

وقال تعالى :﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأنبياء:٨١] .

وقال تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سبأ:١٨] .

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً ﴾ قال : الأرض التي باركنا فيها : هي الأرض المقدسة. (٣)

وقال تعالى عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [المائدة:٢١] .

---

(١) ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام ص(٢٤) للعز بن عبد السلام .
(٢) وا قدساه (١/ ٨٦) للعفاني.
(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٢٦١).

والأرض المقدسة : أي المطهرة المباركة.

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هي الشام.

وقال تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المؤمنون:٥٠] .

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هو بيت المقدس.

كذلك أرض الشام فيها الطور الذي كلم الله عليه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، قال الله تعالى :﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾ [مريم:٥٢] .

والذي أقسم الله به في سورة الطور ، قال تعالى : ﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الطور:١-٢] .

وقال تعالى :﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [التين:١-٢] .

ومن مناقب الشام أن فيها المسجد الأقصى ، وإليها المعراج ومسرى نبينا محمد ﷺ ، وأنها مبعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

عباد الله: ولقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ للشام فضائل كثيرة من ذلك أن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها ففي سُنَن الترمذي[1] عن زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع ، فقال رسول الله ﷺ : [**طوبى للشام**] ، فقلنا : لأي ذلك يا رسول الله ؟، [**قال: لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها**].

وفي رواية [**يا طوبى للشام، يا طوبى للشام، يا طوبى للشام**] [2]

وهذا دعاء عظيم، والمعنى أي راحة وطيب عيش حاصل للشام وأهله.

(١) صحيح الترمذي برقم (٣٩٥٤).
(٢) فضائل الشام ودمشق برقم (١) تحقيق الألباني.

ومن فضائل الشام أن الرسول ﷺ دعا للشام واليمن بالبركة كما جاء في صحيح البخاري[1] وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : [**اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا**] . قالوا يا رسول الله وفي نجدنا ؟، قال: [**اللهم بارك لنا في شامنا ،اللهم بارك لنا في يمننا**]. قالوا : يا رسول الله وفي نجدنا ؟، فأظنه قال في الثالثة: [**هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان**].

والحمد لله رب العالمين .



(١) البخاري برقم (٧٠٩٤).

الخطبة الثانية :

الحمد لله يقص الحق وهو خير الفاصلين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وأصحابه والتابعين وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين .

أما بعد:

فإن الله تعالى قد تكفل بالشام وأهله ففي سُنَن أبي داود [1] عن ابن حوالة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : [سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودًا مجندة جند بالشام، وجند باليمن ،وجند بالعراق] قال ابن حوالة: خر لي يارسول الله إن أدركت ذلك فقال : [عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبى إليها خيرته من عباده ،فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم واسقوا من غدركم ، فإن الله توكل لي بالشام وأهله].

ومعنى جنودًا مجندة: أي مجتمعة وقيل مختلفة.

ومعنى خر لي: أي اختر لي خير تلك ألأماكن.

ومعنى غُدركم: جمع غدير وهو الحوض.

ومعنى توكل لي: أي تكفل الله وضمن.

ومعنى يجتبي إليه: أي يختار ويصطفي.

وكان أبوإدريس رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا حدث بهذا الحديث يقول: ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه.

---

(١) صحيح أبي داود برقم (٢٤٨٣).

وفي هذا الحديث دليل على أن الشام خيرة الله من أرضه وقد قال رسول الله ﷺ : [... **فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم..**].

ومن فضائل الشام أنها أرض المحشر والمنشر ففي البيهقي [١] عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سأل رسول الله ﷺ عن الصلاة في بيت المقدس أفضل أوفي مسجد رسول الله ﷺ فقال :[**صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المصلى هو أرض المحشر والمنشر وليأتين على الناس زمان ولقيد سوط أوقال قوس الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له أوأحب إليه من الدنيا جميعًا**].

وقد قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ﴾ [الحشر٢] .

وفي جامع الترمذي [٢] عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قلت: يا رسول الله أين تأمرني قال : هاهنا ونحا بيده نحوالشام قال: [**إنكم محشورون رجالًا وركبانًا وتجرون على وجوهكم**].

ومن فضائل الشام أن بها مدينة دمشق من خير مدائن الشام ففي سُنَن أبي داود [٣] عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: [**إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة ، إلى جانب مدينة يقال لها دمشق ، من خير مدائن الشام**].

والفسطاط: المدينة التي يجتمع فيها الناس، والمعنى أن مدينة دمشق تكون حصنًا للمسلمين، يتحصنون فيها من الفتن في آخر الزمان.

---

(١) البيهقي برقم (٤١٤٥) وصحيح الترغيب والترهيب برقم (١١٧٩).
(٢) صحيح الترغيب برقم (٣٠٩١) وقال صحيح لغيره.
(٣) صحيح أبي داود برقم (٤٢٩٨) .

والملحمة المقتلة العظيمة.

ومن فضائل الشام أن نزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر الزمان يكون بها ففي صحيح مسلم [١] عن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [..**إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ...**].

ومن فضائل الشام أن بها الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة ففي مُسند الإمام أحمد [٢] عن قرة بن إياس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: [**إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم ،ولا يزال أناس من أمتي منصورين لا يبالون من خذلهم، حتى تقوم الساعة**].

وفي صحيح مسلم [٣] عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة**] .

وأهل الغرب: قال الإمام أحمد : هم أهل الشام.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : أهل الغرب هم أهل لشام.

والمراد أن هذه الطائفة في الشام وفي غيرها والمراد بقوله في الشام أي إما في غالب الأوقات أوفي آخر الزمان.

ومن فضائل الشام أن عمود الكتاب والإسلام بها ففي مُسند الإمام أحمد [٤] عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت إنه مذهوب به فاتبعته**

(١) مسلم برقم (٢٩٣٧) .
(٢) أحمد برقم (١٥٥٩٦).
(٣) مسلم برقم (١٩٢٥) .
(٤) أحمد برقم (٢١٧٣٣) .

بصري فعمد به إلى الشام ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام].

وعند الإمام الحاكم [(١)] عن عبد الله بن عمروبن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: [**إني رأيت كأن عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي فأتبعته بصري فإذا هو نور ساطع عمد به إلى الشام ألا وإن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام]**.

ومن فضائل الشام أنها عقر دار المؤمنين لحديث سلمة بن نفيل الكندي قال : قال رسول الله ﷺ : [... **وعقر دار المؤمنين الشام]**. [(٢)]

ومعنى عقر دار المؤمنين: أي أصله وموضعه.

وقد جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول : [**إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثًا من الموالي، أكرم العرب فرسًا وأجودهم سلاحًا ، يؤيد الله بهم الدين]**. [(٣)]

ومن فضائل الشام ما جاء عند الإمام أحمد [(٤)] عن العرباض بن سارية السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**إني عبد الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وان آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بتأويل ذلك ، دعوة أبي إبراهيم ،وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام]**.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى [(٥)]: وفيه بشارة لأهل محلتنا أرض

(١) المستدرك (٤/ ٥٠٩) .
(٢) صحيح النسائي برقم (٣٥٦٣) .
(٣) فضائل الشام ودمشق برقم (٢٨) تحقيق الألباني .
(٤) أحمد برقم (١٧١٦٣) .
(٥) البداية والنهاية (٢/ ٤١١) .

بصرى وإنها أول بقعة من أرض الشام خلص إليها نور النبوة ، ولله الحمد والمنة.

عباد الله: فأهل الشام ميزان للصلاح والفساد في أمة الإسلام والعبرة بالاستقامة والعمل الصالح كما قال : سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأبي الدرداء حينما دعاه أن يهاجر من العراق إلى الشام : أما بعد ؛ فإن الأرض المقدسة لا تقدس أحدًا وإنما يقدس الإنسان عمله. (١)

والحمد لله رب العالمين .



(١) الصحيحة (٥/ ٣٠٥) .



فضـل العفـو

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[1]:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف١٩٩].

قال جعفر الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من

هذه الآية.

وقال عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس.(١)

وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس ، أو كما قال ﷺ.(٢)

وصدق من قال:

خذ العفو وأمر بعرف كما أُمرت وأعرض عن الجاهلين

ولن في الكلام لكل الأنام أُمرت وأعرض عن الجاهلين

فالعفو عن الناس من أعظم مكارم الأخلاق ، ولله در من قال :

مكارم الأخلاق في ثلاثة من كملت فيه فذلك الفتى

إعطاء من تحرمه ووصل من تقطعه والعفو عمن اعتدى

قال بعض العلماء: من كرم الأخلاق أن تغفر الذنب.

إذا أنت لم تضرب عن الحقد لم تفز بشكر ولم تسعد بتقريظ مادح

والعفو عن الناس من أعظم ما يجلب المودة ،ويورث المحبة ،ويقوي الأخوة، ويزيد في الألفة، قال رب العالمين:﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت٣٤].

---

(١) البخاري برقم (٤٦٤٣).
(٢) البخاري برقم (٤٦٤٤).

كما أن العفوعن الآخرين سبب لراحة النفوس وطمأنينتها قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى (١):

لما عفوت ولم أحقد على أحد أرحت نفسي من هم العداوات

إني أحيي عدوي عند رؤيته لأدفع الشر عني بالتحيات

والعفوعن الناس سبب لكسب القلوب، قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران١٥٩].

كما أن العفو عن الناس خير من صدقة يتبعها أذى، قال الله تعالى: ﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ [البقرة٢٦٣].

والعفوعن الناس من صفات المتقين قال الله تبارك وتعالى عن ورثة جنة النعيم: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران١٣٣-١٣٤].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [البقرة٢٣٧].

---

(١) ديوان الشافعي ص (٢٨).

وعن أبي سلمة أن جبير بن مطعم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ تزوج امرأةً فسمى لها صداقها ثم طلقها قبل الدخول بها فتلا هذه الآية ﴿ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ ﴾ فقال : أنا أحق بالعفو فسلم لها الصداق كاملًا.[1]

والعفو عن الناس من صفات المحسنين ، قال رب العالمين في كتابه الكريم: ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣ ﴾[المائدة١٣].

أيها الناس: العفوعن الآخرين سبب في تكفير الذنوب والمعاصي قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢ ﴾[النور٢٢].

وقال تبارك وتعالى:﴿ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾[التغابن:١٤].

وفي مُسند الإمام أحمد[2]عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال : وهو على المنبر: [**ارحموا تُرحموا ،واغفروا يغفر الله لكم، ويل لأقماع القول ،ويل للمُصرين الذين يُصرون على ما فعلوا وهم يعلمون**].

ويقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٩٨).
(٢) أحمد برقم (٧٠٤١) والصحيحة برقم (٤٨٢).

وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[المائدة٤٥].

وفي مُسند الإمام أحمد [(١)] عن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**ما من رجل يجرح في جسده جراحة ،فيتصدق بها إلا كفر الله عنه مثل ما تصدق به**].

والعفوعن الناس سبب للرفعة والعزة في الدنيا والآخرة ،ففي صحيح مسلم [(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: [**ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى [(٣)] : ومن عرف بالعفووالصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزه وإكرامه.

وعند ابن حبان [(٤)] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : عن رسول الله ﷺ أنه قال: [**سأل موسى ربه عن ست خصال ، كان يظن أنها له خالصة ، والسابعة لم يكن موسى يحبها ، قال : يا رب أي عبادك أتقى ؟ ، قال : الذي يذكر ولا ينسى ، قال : فأي عبادك أهدى ؟ ، قال : الذي يتبع الهدى ، قال: فأي عبادك أحكم ؟، قال : الذي يحكم للناس كما يحكم لنفسه ، قال : فأي عبادك أعلم ؟ ، قال : عالم لا يشبع من العلم يجمع علم الناس إلى علمه قال: فأي عبادك أعز ، قال : الذي إذا قدر غفر،قال : فأي عبادك أغنى ؟،قال: الذي يرضى بما يؤتى،قال : فأي عبادك أفقر ؟،قال : صاحب منقوص**]،

(١) أحمد برقم (٢٢٧٠١) والصحيحة برقم (٢٢٧٣).
(٢) مسلم برقم (٢٥٨٨).
(٣) المنهاج (٨/ ٣٥٨).
(٤) صحيح ابن حبان برقم (٦٢١٧) والصحيحة برقم (٣٣٥٠).

قال رسول الله ﷺ: [**ليس الغنى عن ظهر إنما الغنى غنى النفس، وإذا أراد الله بعبد خيرًا جعل غناه في نفسه ، وتقاه في قلبه ، وإذا أراد الله بعبد شرًا جعل فقره بين عينيه**]. قال : أبو حاتم : قوله : صاحب منقوص يريد به : منقوص حالته يستقل ما أوتي ويطلب الفضل.

ومن فضائل العفو أنه من عزائم الصواب التي يوفق إليها العبد قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾[الشورى٤٣].

ومن فضائله أيضًا أنه من العمل الصالح الذي يثيب الله عليه كثيرًا ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى٤٠].

ومن فضائله أيضًا: أنه أعظم جرعة عند الله جاء عند ابن ماجه [١] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**ما من جرعة أعظم أجرًا عند الله من جرعة غيظ ، كظمها عبد ابتغاء وجه الله**].

وقد دعا النبي ﷺ إلى العفو عن الضعفاء والخدم، كما جاء عند أبي داود [٢] عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله كم نعفو عن الخادم ؟ ، فصمت ثم أعاد عليه الكلام فصمت فلما كان في الثالثة قال: [**اعف عنه [في] كل يوم سبعين مرة**] .

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعفو عنا وعنكم ، وأن يتجاوز عن جميع المسلمين، إنه أرحم الراحمين .

أقول ما سمعتم، واستغفروا الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٤١٨٩).
(٢) صحيح أبي داود برقم (٥١٦٤).

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي جعل الإحسان أكبر الأسباب لنيل الكرامات، وأذية الخلق والإضرار بهم موجب للعقوبات، وأشهد أن لا إله إلا الله كامل الأسماء والصفات، وأشهد أن محمدًا عبد ورسوله أشرف المخلوقات.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.

عباد الله: إن من أسماء الله العفو ومن صفاته تبارك وتعالى العفو، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [النساء٤٣].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾[النساء٩٩].

وقال تعالى: ﴿ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾[النساء١٤٩].

وفي مستدرك الحاكم [١] عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [...**إن الله عفو يحب العفو...**].

وفي جامع الترمذي [٢] عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت يا رسول الله: أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟، قال: [**قولي اللهم**

(١) المستدرك (٤/ ٣٨٢-٣٨٤) وانظر صحيح الجامع برقم (١٧٧٩).
(٢) صحيح الترمذي برقم (٣٥١٣).

إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن من صفاته تعالى أن يعفوعن عباده مع قدرته على عقابهم.(١)

أيها المسلمون: ولقد كان نبينا ﷺ أعظم الناس عفوًا ففي جامع الترمذي(٢) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها سئلت عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: **[لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخَّابًا في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح].**

وفي صحيح البخاري (٣) عن عبد الله بن عمروبن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن هذه الآية التي في القرآن ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَـذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ قال: **[في التوراة يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا وحرزًا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ،ولكن يعفو ويصفح ،ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ،فيفتح بها أعينًا عُميًا ، وآذانًا صُمًا ، وقلوبًا غُلفًا].**

ودونك أيها المسلم الكريم هذه الأمثلة التي تبين ما كان عليه نبينا ﷺ من العفو والصفح، ففي الصحيحين (٤) عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ،فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ،ثم قال : مُر لي من مال الله الذي عندك ،

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٤١).
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٠١٦).
(٣) البخاري برقم (٤٨٣٨).
(٤) البخاري برقم (٣١٤٩) ومسلم برقم (١٠٥٧).

فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء].

وفي الصحيحين [(١)] أيضًا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله ﷺ تحت سمرة وعلق بها سيفه ونمنا نومة فإذا رسول الله ﷺ يدعونا وإذا عنده أعرابي فقال :[إن هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتًا فقال : من يمنعك مني ؟ فقلت الله ثلاثًا] . ولم يعاقبه وجلس.

ومعنى قفل أي رجع.

ومعنى صلتًا أي بارزًا ومستويًا.

وثبت في الصحيحين البخاري ومسلم[(٢)]عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ خيلًا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة ابن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي ﷺ فقال : [**ما عندك يا ثمامة**] . فقال : عندي خير يا محمد ، إن تقتلني تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت . فترك حتى كان الغد فقال : [**ما عندك يا ثمامة**] . فقال : ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر ، فتركه حتى كان بعد الغد فقال : [**ما عندك يا ثمامة**] فقال : عندي ما قلت لك ، فقال : [**أطلقوا ثمامة**] . فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله يا محمد ، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ

---

(١) البخاري برقم (٤١٣٥) ومسلم برقم (٨٤٣).
(٢) البخاري برقم (٤٣٧٢) ومسلم برقم (١٧٦٤).

من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي ، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك ، فأصبح دينك أحب دين إلي ، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى ؟ ، فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت ، قال : لا ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ.

وهكذا صحابة نبينا ﷺ مشوا على منوال رسول الله ﷺ فكانوا رحماء بينهم يعفون ويصفحون ، وانظروا معاشر المسلمين أقرب مثال؛ ما جاء في عفو أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ففي صحيح البخاري [١] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قصة الإفك قالت ... فلما أنزل الله هذا في براءتي قال : أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد ما قال لعائشة .

فأنزل الله تعالى ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾- إلى قوله تعالى- ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾. فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي كان يجري عليه.

وهذا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان من أعظم الناس عفوًا ففي صحيح البخاري [٢] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولًا كانوا أو شبابًا ، فقال عيينة

(١) البخاري برقم (٢٦٦١).
(٢) البخاري برقم (٤٦٤٢).

لابن أخيه : يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه قال : سأستأذن لك عليه قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر فلما دخل عليه قال : هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى هم به فقال : له الحر يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾. وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقّافًا عند كتاب الله.

ولقد كان الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول كل من ذكرني ففي حل إلا مبتدعًا وقد جعلت أبا إسحاق ـ يعني المعتصم ـ في حل ورأيت الله يقول: ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[النور٢٢].

وأمر النبي ﷺ أبا بكر بالعفو في قصة مسطح قال : أبو عبد الله وما ينفعك أن يعذب الله آخاك المسلم في سبيلك.[١]

ورحم الله من قال:

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وإن كثرت منه على الجرائم

وما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثلي مقاوم

فأما الذي فوقي فأعرف قدره ... وأتبع فيه الحق والحق لازم

وأما الذي دوني فإن قال: صنت عن ... إجابته عرضي وإن لام لائم

وأما الذي مثلي فإن زل أوهفا ... تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

---

(١) السير (١١/ ١١٧).

عباد الله: لا يتصف بهذه الصفة النبيلة وهذا الخُلق الكريم إلا من كان تقيًا لله تبارك وتعالى قال: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إخبارًا عن إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢ ﴾[يوسف٩٠ - ٩٢].

وقد بين الله تبارك وتعالى أن من ألأمور المعينة على العفو والصفح الصبر أيضًا، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ ﴾[فصلت ٣٤ - ٣٥].

ومن الأسباب المعينة أيضًا تذكر أهوال يوم القيامة ، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥ ﴾[الحجر٨٥].

ومنها: النظر في الأدلة الدالة على فضل العفو والصفح.

ومنها: النظر في سيرة الصالحين وأخلاق المؤمنين.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعمنا وإياكم بعفوه ،وأن يسبغ علينا وعليكم واسع فضله، وأن يدخلنا وإياكم دار رحمته، وأن يعيننا جميعًا على ذكره وشكره وحُسن عبادته.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ،وسلام على المرسلين ،والحمد لله رب العالمين

٣٤ الشهــوة الخفيــة

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

لا تخضعن لمخلوق على طمع ... فإن ذلك نقص منك في الدين
واسترزق الله مما في خزائنه ... وأمره بعد الكاف والنون

عباد الله: هذه الخطبة بعنوان (**الشهوة الخفية**) ، والمراد بالشهوة الخفية: حب الرياسة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى [١] وكان شداد بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول يا بقايا العرب يا بقايا العرب إنما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية قال : أبوداود السجستاني صاحب السُنَن المشهورة الشهوة الخفية حب الرياسة وذلك أن حب الرياسة هو أصل البغي والظلم.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى [٢]: وكثيرًا ما يخالط النفوس من الشهوات الخفية ، ما يفسد عليها تحقيق محبتها لله وعبوديتها له وإخلاص دينها له.

وقال العلامة المقبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والرياسة هي الداء الخفي.

ولله در من قال:

رأت عيني المسوس وذا السياسة ... ولم يُحط العيان ولا الفِراسة
ولم أر هالكًا في الناس إلا ... وباب هلاكه حب الرياسة

ولو صدقت هممهم لعلموا أن هذه الرياسة هي أرذل المنازل وإنما الرؤساء عند الله تعالى هم ﴿ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾[النساء : ٦٩]. [٣]

ولقد كان السلف الصالح يفرون من الولايات خوفًا من أن يفتنوا في دينهم ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الأمير الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سبل السلام عن عبد الله بن وهب أن الخليفة كتب إليه بقضاء مصر ، فاختفى في بيته

(١) الفتاوى (١٨/ ١٦٢).
(٢) الفتاوى (١٠/ ٢١٥).
(٣) العلم الشامخ ص (٣٨٧-٣٨٨).

فاطلع عليه بعضهم يومًا فقال : يا ابن وهب ألا تخرج بين الناس بكتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، فقال : أما علمت أن العلماء يحشرون مع الأنبياء، والقضاة يحشرون مع السلاطين. (١)

وذكر الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ دعا أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ليوليه القضاء فأبى فقال : له عمر تكره العمل وقد طلب العمل من كان خيرًا منك يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال : أبوهريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يوسف نبي ابن نبي ابن نبي وأنا أبوهريرة ابن أميمة وأخشى ثلاثًا واثنتين قال : فهلا قلت خمسًا قال : أخشى أن أقول بغير علم وأقضي بغير حلم وأن يضرب ظهري وينزع مالي ويشتم عرضي قال : الذهبي معقبًا كان أبوهريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ طيب الأخلاق ربما ناب في المدينة عن مروان أيضًا. (٢)

وقال أُبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لعمر بن الخطاب ألا تستعملني قال : أكره أن يُدنس دينك. (٣)

وقد جاء في صحيح مسلم (٤) عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**يا أبا ذر إني أراك ضعيفًا ،وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين ، ولا تولين مال يتيم**].

وفي صحيح مسلم أيضًا (٥) عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قلت يا رسول الله: ألا تستعملني ؟، قال : فضرب بيده على منكبي ثم قال: [**يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة ،وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها**

(١) سبل السلام (٨/ ٦٣) بتحقيق صبحي.
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٦١٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٩٨).
(٤) مسلم برقم (١٨٢٦).
(٥) مسلم برقم (١٨٢٥).

وأدى الذي عليه فيها].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى[1]: بعد هذا الحديث: هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلًا لها أوكان أهلًا ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط وأما من كان أهلًا للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة كحديث [**سبعة يظلهم الله**] وحديث [**إن المقسطين عند الله على منابر من نور**] ، وغير ذلك وإجماع المسلمين منعقد عليه ،ومع هذا فلكثرة الخطر فيها حذره ﷺ منها وكذا حذر العلماء وقنع منها خلائق من السلف وصبروا على الأذى حين امتنعوا.

وقد امتنع الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن القضاء لما استدعاه المنصور العباسي، وامتنع الإمام الشافعي عن قضاء الشرق والغرب، لما استدعاه المأمون.

وكان يحيى بن معاذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: لا يفلح من شممت رائحة الرياسة منه. [2]

وكان يوسف بن أسباط رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الدنيا. [3]

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أحب الرياسة فليعد رأسه للنطاح. [4]

---

(١) شرح مسلم (١٢/ ٤١٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٥).
(٣) حلية الأولياء (٨/ ٢٦١).
(٤) جامع بيان العلم وفضله برقم (٩٧٩).

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغى وتتبع عيوب الناس وكره أن يُذكر أحد بخير. [١]

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أقبح بالعالم يؤتى إلى منزله فيقال أين العالم، فيقال عند الأمير أين العالم ، فيقال عند القاضي ما للعالم وما للقاضي !، وما للعالم وما للأمير! ، ينبغي للعالم أن يكون في مسجده يقرأ في مصحفه. [٢]

وقال أبو العتاهية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أأُخيَّ من عشق الرئاسة خفت أن ... يطغى ويحدث بدعة وضلالًا

وقال بعض السلف: ما حرص أحد على ولاية فعدل فيها.

وقد جاء عند الإمام أحمد [٣] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**ليتمنين أقوام ولوا هذا الأمر أنهم خروا من الثريا ، وأنهم لم يلوا شيئًا**].

وقد أصبح الدخول في هذا الزمان على الأمراء والسلاطين صعبًا إلى الغاية ولذلك ثبت عند ابن عساكر [٤] عن رجل من بني سليم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**إياكم وأبواب السلطان ، فإنه قد أصبح صعبًا هبوطًا**] أي يهبط بصاحبه .

وعند الطبراني [٥] عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ: [**سيكون أمراء تعرفون وتنكرون ، فمن نابذهم نجا ، ومن اعتزلهم سلم،**

(١) جامع بيان العلم وفضله برقم (٩٧١).
(٢) روضة العقلاء ص (٣٣).
(٣) أحمد برقم (١٠٧٣٧) وصحيح الجامع برقم (٥٣٦٠).
(٤) ابن عساكر (٤٦/ ٥١٥) والصحيحة برقم (١٢٥٣).
(٥) الطبراني برقم (١٠٩٧٣) وصحيح الجامع برقم (٣٦٦١).

ومن خالطهم هلك].

ومعنى قوله ﷺ [**فمن نابذهم نجا**] أي أنكر عليهم بلسانه ما يخالف شرع الله وليس معناه الخروج عليهم.

وفي صحيح مسلم [١] عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: إن رسول الله ﷺ قال : [**ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن عرف برئ ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع**] قالوا: أفلا نقاتلهم ؟ قال: [**لا ، ما صلوا**].

وقد جاء في سُنَن أبي داود [٢] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : عن النبي ﷺ أنه قال: [**من سكن البادية جفا ، ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى السلطان افتتن**] .

ومما يدل على خطورة الولايات أن الرجل ربما سفك الدم الحرام وقتل الأنفس المعصومة طاعة للسلاطين ، فقد ذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى عن أبي إسحاق أنه قال : كان شمر بن ذي الجوشن يصلى معنا ثم يقول : اللهم إنك تعلم أنى شريف فاغفر لي قلت كيف يغفر الله لك وقد اعنت على قتل ابن رسول الله ﷺ قال : ويحك فكيف نصنع إن أمراءنا هؤلاء ، أمرونا بأمر فلم نخالفهم ، ولوخالفناهم كنا شرًا من هذه الحُمُر السقاءة ، قلت : إن هذا لعذر قبيح فإنما الطاعة في المعروف. [٣]

فلا ينبغي لمن يريد النجاة لنفسه أن ينافس في هذا الملك الفاني ففي صحيح مسلم [٤] عن عامر بن سعد قال: كان سعد بن أبي وقاص في إبله،

---

(١) مسلم برقم (١٨٥٤).
(٢) صحيح أبي داود برقم (٢٨٥٩).
(٣) لسان الميزان برقم (٤١٥٥).
(٤) مسلم برقم (٢٩٦٥).

فجاءه ابنه عمر فلما رآه سعد قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب ، فنزل فقال : له أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم ؟ فضرب سعد في صدره فقال : اسكت ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**].

نسال الله العظيم أن يحسن أخلاقنا ، ويجمل أفعالنا ، وأن يغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، والحمد لله رب العالمين.



الخطبة الثانية :

الحمد لله وكفى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة أرجو بها لديه الزلفى ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، النبي المصطفى صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، أهل الصدق والوفا ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتفى.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى ،فتقوى الله أعظم زاد وأفضل خير ولقد وصف الله تعالى أهل النار بحب المال والرياسة قال الله تعالى :﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾[الحاقة٢٥_٢٩] .

وأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الجنة للمتواضعين ، فقال تعالى :﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًاۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص٨٣] .

وفي مُسند الإمام أحمد [١] عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: [من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى].

وما أحسن ما قال أبوالفتح البستي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

أمران مفترقان لست تراهما   يتشوقان لخلطة وتلاقي

(١) أحمد برقم (١٩٦٩٧)وصحيح الترغيب برقم (٣٢٤٧).

طلب المعاد مع الرياسة والعلى فدع الـذي يفنى لما هو باقي

ومن أضرار حب الرياسة والملك أنه مفسد للدين ففي مُسند أحمد [(١)] عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: [**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم أفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**].

والغالب أن من يخالط الملوك والسلاطين يسكت عن باطلهم ومنكراتهم، ويصدقهم في كذبهم ،ويعينهم على ظلمهم، بل ويحسن أفعالهم لتكون له المنزلة عندهم ،وقد ثبت في مُسند الإمام أحمد [(٢)] عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال : لكعب بن عجرة [**أعاذك الله من إمارة السفهاء**]، قال : وما إمارة السفهاء، قال: [**أمراء يكونون بعدي لا يقتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني ولست منهم ،ولا يردوا على حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم ،ولم يعنهم على ظلمهم ،فأولئك مني وأنا منهم، وسيردوا على حوضي، يا كعب بن عجرة الصوم جُنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة، والصلاة قربان ـ أوقال برهان ـ ، يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت النار أولى به ،يا كعب بن عجرة الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها ، وبائع نفسه فموبقها**].

هذا وقد وردت أحاديث كثيرة في خطورة القضاء وسؤال الإمارة والحرص عليها، فعند أبي داود في السُنَن [(٣)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : [**من ولي القضاء ، فقد ذبح بغير سكين**] .

---

(١) أحمد برقم (١٥٧٨٤).
(٢) أحمد برقم (١٤٤٤١).
(٣) صحيح أبي داود برقم (٣٥٧١).

وفي مُسند الإمام أحمد [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: [**من جعل قاضيًا بين الناس فقد ذبح بغير سكين**].

وعند أبي داود [(٢)] عن بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: [**القضاة ثلاثة ، واحد في الجنة واثنان في النار ، فأما الذي في الجنة ، فرجل عرف الحق فقضى به ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار**].

وفي سُنَن الترمذي [(٣)] عن عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**إن الله مع القاضي مالم يجر فإذا جار تخلى عنه ولزمه الشيطان**].

وفي الصحيحين [(٤)] عن عبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرًا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك**].

وفي صحيح البخاري [(٥)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي ﷺ قال: [**إنكم ستحرصون على الإمارة ، وستكون ندامة يوم القيامة ، فنعم المرضعة ، وبئست الفاطمة**] .

وضرب المرضعة مثلًا للإمارة وما توصله إلى صاحبها من المنافع ، وضرب الفاطمة مثلًا للموت الذي يهدم عليه لذاته ويقطع تلك المنافع.

---

(١) أحمد برقم (٧١٤٥).
(٢) صحيح أبي داود برقم (٣٥٧٣).
(٣) صحيح الترمذي برقم (١٣٣٠).
(٤) البخاري برقم (٦٦٢٢) ومسلم برقم (١٦٥٢).
(٥) البخاري برقم (٧١٤٨).

وفي البخاري [١] عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من قومي فقال : أحد الرجلين أمرنا يا رسول الله ، وقال الآخر مثله، فقال : [**إنا لا نولي هذا من سأله، ولا من حرص عليه**].

معاشر المسلمين : إن السعادة الحقيقية هي بتحقيق التقوى فهذا هو الملك العظيم قال : إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللَّهُ: لويعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف.

وكان حجاج بن أرطأه يقول: قتلني حب الشرف، فقال له سوار : لو اتقيت الله لشرفت.

وصدق من قال :

ألا إنما التقوى هي العز والكرم وفخرك بالدنيا هوالذل والسقم

وليس على عبد تقي نقيصة إذاصحح التقوى وإن حاك أوحجم

والعلماء ملوك على الناس يقول الشاعر في الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ:

يدع الجواب فلا يراجع هيبةً والسائلون نواكس الأذقان

أدب الوقار وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان

فالواجب على القضاة والحكام أن يتقوا الله وأن يحكموا بالعدل فإذا فعلوا ذلك فأجرهم عند الله عظيم حتى قال : عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأن أجلس قاضيًا بين اثنين أحب إليَّ من عبادة سبعين سَنة.

وقد قال يوسف الصديق عَلَيْهِ السَّلَامُ للملك : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) ﴾ [يوسف٥٥] .

(١) البخاري برقم (٧١٤٩) .

وقال سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾[ص٣٥].

والله يعطي ملكه من يشاء ويوفق لطاعته من يشاء قال الله تعالى :﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[آل عمران : ٢٦] .

وقد قال بعض العلماء : إذا أسندت الأمة مناصبها الكبيرة إلى صغار النفوس كبرت بها رذائلهم لا نفوسهم.

فالولاية وغيرها من الأعمال لابد فيها من الأمانة والقوة ، قال الله تعالى إخبارًا عن ابنة الرجل الصالح أنها قالت: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾[القصص : ٢٦].

وقال تعالى في قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ :﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[النمل : ٣٩] .

أسأل الله أن يولي علينا خيارنا ، وأن يصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأن يهديهم سواء السبيل ، وأن يدلهم على الحق ويجنبهم الباطل ، وأن يرزقهم البطانة الصالحة الناصحة ، وأن يصرف عنهم بطانة السوء ، هذا وصلوا وسلموا ـ رحمكم الله تعالى ـ على من أمركم بالصلاة والسلام عليه فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب : ٥٦] .

اللهم صل على نبيك المختار وعلى آله وأصحابه من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا .

٣٥ رمضان شهر العبادة

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[1]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: ها هو شهر رمضان المبارك ذهبت أيامه ولياليه وأوشك على الرحيل ولم يبق منه إلا القليل ، وهو شاهد علينا بما أودعنا فيه ، فهنيئًا لمن أودع فيه الصالحات ، والله عَزَّوَجَلَّ لا يضيع عنده شيء من أعمال عباده،

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾[الكهف ٣٠].

وقال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة ٧ـ٨].

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾[آل عمران ٣٠].

وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾[التوبة : ١٢٠ـ١٢١].

وفي صحيح مسلم [١] عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: [**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**] .

معاشر المؤمنين: هاهي أعمارنا تذهب وتنطوي سريعًا وتقترب آجالنا ونحن في غفلة شديدة قال : عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : ما ندمت على شيءٍ ندمي على يوم غربت فيه شمسه ، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي.

(١) مسلم برقم (٢٥٧٧) .

وقال بعض السلف: إن أحدهم لو سقط منه درهم لظل يومه يقول: إنا لله ذهب درهمي ولا يقول: ذهب يومي ما عملت فيه.

وصدق من قال:

إذا مر بي يوم ولم أستفد هدى ولم أقتبس علماً فما ذاك من عمري

وقال آخر:

إنــا لنفرح بــالأيــام نقطعها وكل يوم مضى جزء من العمر

وهذه الليالي أيها الأخوة التي تعيشون فيها هي أعظم ليالي السَنة، وهي العشر الأواخر من شهر رمضان ولقد كان رسول الله ﷺ يضاعف عبادته في هذه الليالي العظيمة ففي الصحيحين [1] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: [**كان النبي ﷺ إذا دخل العشر، شد مئزره ،وأحيا ليله ، وأيقظ أهله**].

ومعنى شد مئزره: كناية عن اعتزال النساء.

قال الشاعر:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

وفي صحيح مسلم [2] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: [**كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر، ما لا يجتهد في غيره**].

فجدير بكل مؤمن ومؤمنة أن يتفرغ لعبادة ربه وأن يستدرك ما تبقى من هذه الأيام والليالي ، ففي مستدرك الحاكم [3] عن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) البخاري برقم (٢٠٢٤) ومسلم برقم (١١٧٤) .
(٢) مسلم برقم (١١٧٥) .
(٣) المستدرك (٤/٣٢٦) .

قال : قال رسول الله ﷺ: [يقول ربكم تبارك وتعالى : يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى ، وأملأ يديك رزقًا ، يا ابن آدم لا تباعد مني فأملأ قلبك فقرًا ، وأملأ يديك شغلا] .

وإن من ضيع اغتنام الصالحات في هذه العشر المباركات فهو مغبون قد حرم نفسه عن التعرض لنفحات رحمات الله فعند الطبراني في الكبير(١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**افعلوا الخير دهركم وتعرضوا لنفحات رحمة الله ، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده ، وسلوا الله أن يستر عوراتكم ، وأن يؤمن روعاتكم**] .

وصدق الله رب العالمين إذ يقول : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[يونس١٠٧].

عباد الله: لقد خلقنا الله تبارك وتعالى لعبادته، قال تعالى :﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات٥٦].

والعبادة كما يقول شيخ الإسلام هي : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. (٢)

وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: العبودية هي التذلل والافتقار لمن له الحكم والاختيار. (٣)

وأعظم حق يقوم به العبد عبادة الله تبارك وتعالى ، قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾[النساء٣٦].

---

(١) المعجم الكبير برقم (٧٢٠) والصحيحة برقم (١٨٩٠) .
(٢) رسالة العبودية ص (٣٨) لشيخ الإسلام ابن تيمية.
(٣) تفسير القرطبي (٥/ ١٨٠) .

وفي الصحيحين (١) عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال : [**يا معاذ**] . قلت لبيك وسعديك ،ثم قال : مثله ثلاثًا [**هل تدري ما حق الله على العباد**] . قلت :لا ،قال: [**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**]. ثم سار ساعة فقال : [**يا معاذ**] . قلت : لبيك وسعديك، قال: [**هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم**].

والله أرسل الرسل من أجل عبادته وتوحيده قال الله تعالى :﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل٣٦].

وقال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴿٢٥﴾ ﴾[الأنبياء٢٥].

وقال تعالى :﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴿٥٩﴾ ﴾[الأعراف٥٩].

وهكذا قالها هود وصالح وشعيب وغيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم.

وبعث الله نبينا محمدًا ﷺ داعيًا إلى طاعته وعبادته، ففي مُسند الإمام أحمد (٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : [**بُعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله تعالى وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم**].

(١) البخاري برقم (٦٢٦٧) ومسلم برقم (٣٠) .
(٢) أحمد برقم (٥١١٥) وانظر صحيح الجامع برقم (٢٨٣١) .

وقد وصف الله تبارك وتعالى ملائكته وأنبياءه بالعبودية له،قال تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ ﴾[الأنبياء١٩ـ٢٠].

وقال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ٢٠٦ ﴾[الأعراف٢٠٦].

وقال تعالى :﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢ ﴾[النساء١٧٢].

وذم المستكبرين عنها ، فقال تعالى :﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ ﴾ [غافر٦٠].

ونعت الأنبياء والرسل بها ، قال تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥ ﴾[ص٤٥].

وقال تعالى :﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧ ﴾[ص١٧].

وقال تعالى عن سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ :﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠ ﴾[ص٣٠].

وقال تعالى عن أيوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ :﴿ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ [ص٤٤].

وقال تعالى عن نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ :﴿ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣ ﴾[الإسراء٣].

وقال تعالى عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الزخرف٥٩].

ونعت نبينا محمدًا ﷺ بالعبودية له في أكمل الأحوال وأشرف المقامات، ففي مقام الإسراء ، قال الله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء١].

وفي مقام الوحي ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [النجم١٠].

وفي مقام الدعوة ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الجن١٩].

وفي مقام الحفظ ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزمر٣٦].

وفي مقام التحدي ، قال تبارك وتعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة٢٣].

وفي مقام إنزال الكتاب ، قال تبارك وتعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾ [الكهف١].

وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان١].

وفي صحيح البخاري [١] عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: [**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله**].

وأمره الله تبارك وتعالى بملازمة طاعته وعبادته حتى الموت قال : جلت عظمته ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[الحجر٩٩].

وقد قام ﷺ بعبادة الله أعظم قيام ففي الصحيحين [٢] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقالت عائشة : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ ، قال: [**أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا**] . فلما كثر لحمه صلى جالسًا ، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يوفقنا وإياكم لطاعته وعبادته ، ونسأله الثبات على ذلك حتى المات.

والحمد لله رب العالمين .



(١) البخاري برقم (٣٤٤٥) .
(٢) البخاري برقم (٤٨٣٧) ومسلم برقم (٢٨١٩) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد:

فيا معاشر المسلمين: السعادة التامة الأبدية إنما تتحقق للعبد بطاعة الله وعبادته قال : شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية. (١)

وقال بعض العارفين: مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها ، قالوا : وما أطيب ما فيها ، قال : محبة الله ، والأُنس به ، والشوق إلى لقائه ، والإقبال عليه ، والإعراض عما سواه. (٢)

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقي هو السعيد

وقال آخر:

ليس السعيد الذي دنياه تسعده ... إن السعيد الذي ينجو من النار

إخوة الإيمان والإسلام: ينبغي أن نعلم أن مما يعيننا على لزوم العبادة والإقبال عليها أمور:

١-طلب الإعانة من الله : قال الله تعالى :﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٢٩) .
(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٥٢) .

رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[هود١٢٣].

وقال تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾[الفاتحة٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته ، ثم رأيته في الفاتحة في ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ . (١)

وفي سُنَن أبي داود (٢) عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: [**يا معاذ ، والله إني لأحبك ، والله إني لأحبك**] فقال : [**أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**].

وفي مُسند الإمام أحمد (٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ قال: [**أتحبون أن تجتهدوا في الدعاء ، قولوا اللهم أعنا على شكرك وذكرك وحُسن عبادتك**] .

وصدق من قال:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فـأول ما يجني عليه اجتهاده

٢-المجاهدة والاصطبار على العبودية : قال الله تعالى : ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾[مريم٦٥].

وقال تعالى :﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾[طه١٣٢].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٠٠) .
(٢) صحيح أبي داود برقم (١٥٢٢) .
(٣) أحمد برقم (٧٩٨٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[العنكبوت٦٩].

قال بعض السلف : مازلت أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك.

وقال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعلم أن نفسك بمنزلة دابتك إن عرفت منك الجد جدت وإن عرفت منك الكسل طمعت فيك وطلبت منك حظوظها وشهواتها.

وصدق من قال:

لاستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمـال إلا لصابر

٣-المراقبة لله تعالى : ففي صحيح مسلم [1] ، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [....**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**...] .

٤-معرفة ثواب الأعمال : قال : بعض السلف من لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحوال.

وقال بعضهم: بالمعرفة هانت على العاملين العبادة.

٥-المداومة على العبادات : قال بعض السلف: إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ،وإن من عقوبة السيئة السيئة بعدها. [2]

فيا أمة الإسلام: اجتهدوا في طاعة ربكم واستغلوا ما بقي من أعماركم فيما يقربكم إلى المولى عَزَّوَجَلَّ فالعبادات عز ورفعة في الدنيا والآخرة قال :

---

(١) مسلم برقم (٨) .
(٢) الفتاوى (١٥/٢٤٦) .

ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالطاعات ترفع الدرجات والمصائب تحط السيئات. (١)

والمؤمن العاقل هو الذي يداوم على عبادة ربه وامتثال أمره ولا ينقطع عن الصالحات إلا بانقطاعه عن الحياة وقد قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾ [آل عمران٢٠٠].

وقال ﷺ [إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أوعلم ينتفع به أوولد صالح يدعوله] (٢)

فهنيئًا لمن سخر حياته ووقته في التفرغ لعبادة الله وطاعته، وهنيئًا لهم مرضات الله والنعيم بين يديه ، قال الله تعالى : ﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ٦ ﴾[الإنسان٦].

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أجمع العارفون بالله أن التوفيق هو أن لا يكلك الله إلى نفسك ، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك. (٣)

جعلنا الله وإياكم من عباده الصالحين ، وأولياءه المتقين ، والحمد لله رب العالمين .



(١) عدة الصابرين ص(٧٠) .
(٢) مسلم برقم (١٦٣١) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٤٥) .

٣٦ منزلة قارئ القرآن الكريم وحامله

الخُطْبَةُ الأُولَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: إن من أعظم نعم الله تعالى على عباده أن يسر لهم حفظ القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧ ﴾ [القمر : ١٧] .

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى [(١)]: أي سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراده ليتذكر الناس ،كما قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾[ص٢٩].

وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ٩٧ ﴾[مريم٩٧].

قال : ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا : لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عَزَّ وَجَلَّ... .

وقوله تعالى: ﴿ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ أي فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسر الله حفظه ومعناه؟ ، وقال محمد بن كعب القرظي : فهل من منزجر عن المعاصي...].

وعن مطر الوراق في قوله تعالى: ﴿ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ : هل من طالب علم فيُعانَ عليه.

وقد كررت هذه الآية في سورة القمر عند ذكر كل قصة للتنبيه والإفهام.

عباد الله : ولقد أمر الله نبيه محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بتلاوة القرآن الكريم ، كما قال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧ ﴾[الكهف : ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥ ﴾[العنكبوت : ٤٥].

وقال تعالى: ﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ

---

(١) التفسير (٤/ ٢٦٦).

ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [النمل : ٩١ ـ ٩٢].

وقال تعالى عن أهل العلم: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [البقرة : ١٢١].

وقد بين الله فضل تلاوة القرآن الكريم لأنها التجارة الرابحة ووعد من يتلوه بالأجر العظيم والثواب الجزيل قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر :٢٩ ـ ٣٠].

جاء عند الإمام الترمذي [١] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ :[**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول آلم حرف ، ولكن ألف حرف،ولام حرف،وميم حرف**].

قال بعض العلماء : إذا أردت أن تعرف قدرك عند الله فانظر إلى قدر القرآن عندك.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى [٢]:**لما بعث الله محمدًا ﷺ** بكتابه الذي هو الهدى والشفاء والنور وجعله أحسن الحديث وأحسن القصص وجعله الصراط المستقيم لأهل العقل والتدبر ولأهل التلاوة والذكر ولأهل الاستماع والحال فالمعتصمون به علمًا وحالًا وتلاوة وسمعًا باطنًا وظاهرًا هم المسلمون حقًا خاصة أمة محمد ﷺ .

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٩١٠).
(٢) الفتاوى (١٣/ ٣٧٦).

وقد امتدح الله تبارك وتعالى أهل العلم بسبب حفظهم لآياته في صدورهم قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [العنكبوت : ٤٩] .

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: من قراء القرآن أي حفظه قبل أن يحتلم فهو ممن أوتي الحكم صبيًا.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى[1]: من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن تكلم في الفقه نما قدره ومن كتب الحديث قويت حجته ومن نظر في اللغة رق طبعه ومن نظر في الحساب جزل رأيه ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه.

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي له أن يلهو مع من يلهو ، ولا يسهو مع من يسهو ، ولا يلغو مع من يلغو ، تعظيمًا لحق القرآن.

وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللَّهُ: من قرأ القرآن فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه ، إلا أنه لا يوحي إليه ، ومن أعطى القرآن فظن أن أحدًا أعطى أفضل مما أعطى ، فقد حقَّر ما عظَّم الله ، وعظَّم ما حقَّر الله.

وصدق من قال:

فشمر ولذ بالله واحفظ كتابه ... ففيه الهدى حقًا وللخير جامع
هو الذخر للملهوف والكنز والرجا ... ومنه بلا شك تنال المنافع
به يهتدي من تاه في معمة الهوى ... به يتسلى من دهته الفجائع

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٤).

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا ابن آدم والله إن قرأت القرآن ثم آمنت به ليطولن في الدنيا حزنك وليشتدن في الدنيا خوفك وليكثرن في الدنيا بكاؤك.

وحملة القرآن الكريم تنزل عليهم السكينة والرحمة كما جاء في صحيح مسلم [١] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ :[... وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة ،وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه].

وحملة القرآن الكريم لا تحرقهم نار الآخرة كما صح عن البيهقي [٢] ، عن عصمة بن مالك الخطمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**لو جمع القرآن في إهاب ما أحرقه الله عَزَّ وَجَلَّ بالنار**].

والمراد بالإهاب: الجلد

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى [٣] : أي لوصور القرآن وجعل في إهاب وألقي في النار ما مسته ولا أحرقته ببركته فكيف بالمؤمن المواظب لقراءته ولتلاوته ... وقيل المعنى من علمه الله القرآن لم تحرقه نار الآخرة فجعل جسم حافظ القرآن كإهاب له.

وقال أبوأمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : اقرؤوا القرآن ولا يغرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لن يعذب قلبًا وعى القرآن. [٤]

---

(١) مسلم برقم (٢٦٩٩).
(٢) شعب الإيمان برقم (٢٧٠٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٢٦٦).
(٣) فيض القدير (٥/ ٤١٢).
(٤) الدارمي برقم (٢/ ٤٣٢).

وحملة القرآن الكريم العاملون به هم أهل الله وخاصته لمكانتهم ومنزلتهم عند الله في الدنيا والآخرة ففي مُسند الإمام أحمد [١] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**إن لله أهلين من الناس**] فقيل: من أهل الله منهم ، قال : [**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**].

أمة الإسلام: ومما يدل على منزلة حافظ القرآن الكريم أن إجلال حملته من إجلال الله وتعظيمه فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قال : قال رسول الله : [**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط**] [٢] .

ومعنى الغالي فيه: المتجاوز الحد في العمل به.

ومعنى الجافي عنه: التارك له البعيد عن تلاوته والعمل بما فيه.

ومعنى السلطان المقسط: العادل في حكمه وبين رعيته.

ولقد كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يجلون حملة القرآن أيما إجلال قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كان رجل يكتب بين يدي رسول الله ﷺ قد قرأ البقرة وآل عمران ، وكان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران يعد فينا عظيمًا. [٣]

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [الحج : ٣٠].

والله يقول في كتابه الكريم : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج : ٣٢].

---

(١) أحمد برقم (١٢٢٧٩) وصحيح الترغيب برقم (١٤٣٢).
(٢) صحيح أبي داود برقم (٤٠٥٣).
(٣) أحمد برقم (١٢٢١٦) .

وحملة القرآن هم الربانيون حقًا ، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران : ٧٩].

وأهل القرآن هم أهل الرفعة في الدنيا والآخرة ، كما قال الله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١١].

فحامل القرآن أولى الناس بالإمارة ، كما جاء في صحيح مسلم (١) أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة ، فقال : من استعملت على أهل الوادي ؟ فقال : ابن أبزى قال : ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا قال : فاستخلفت عليهم مولى ؟ ، قال : إنه قارئ لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وإنه عالم بالفرائض ، قال : عمر أما إن نبيكم ﷺ قد قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين.

وهم أولى الناس بالإمامة ، كما جاء في صحيح مسلم (٢) ، عن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : [**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسُّنَّة ، فإن كانوا في السُّنَّة سواء فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواء ، فأقدمهم سلمًا**] أي إسلامًا .

وحافظ القرآن مقدم في القبر ، ففي صحيح البخاري (٣) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول : [**أيهم أكثر أخذًا للقرآن**] ، فإذا أشير له إلى أحدهما

---

(١) مسلم برقم (٨١٧).
(٢) مسلم برقم (٦٧٣).
(٣) البخاري برقم (١٣٤٧).

قدمه في اللحد ، وقال: [**أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة**] وأمر بدفنهم في دمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم.

وحملة القرآن هم المستشارون في الأمور كما ثبت في صحيح البخاري(١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قدم عُيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولًا كانوا أو شبابًا...] الحديث.

بل الذي يحفظ القرآن ينتفع به في دنياه ناهيك عن أمر آخرته ، ففي البخاري ومسلم (٢) عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله أهب لك نفسي فنظر إليها رسول ﷺ فصعد النظر فيها وصوبه ثم طأطأ رسول الله ﷺ رأسه فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئًا جلست ، فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها ، فقال : [**فهل عندك من شيء ؟**] ، فقال : لا والله يا رسول الله، فقال : [**اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئًا؟**] ، فذهب ثم رجع فقال : لا والله ما وجدت شيئًا، فقال رسول الله ﷺ : [**انظر ولو خاتم من حديد**] ، فذهب ثم رجع فقال : لا والله يا رسول الله ولا خاتم من حديد ولكن هذا إزاري ـ قال : سهل ما له رداء ـ فلها نصفه ، فقال رسول الله ﷺ : [**ما تصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها منه شيء ، وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء**] ، فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله ﷺ موليًا فأمر به فدعي فلما جاء قال: [**ماذا معك من القرآن ؟**] ، قال : معي سورة كذا وكذا ـ عددها ـ ،

(١) البخاري برقم (٤٦٤٢).
(٢) البخاري برقم (٥١٢٦) ومسلم برقم (١٤٢٥).

فقال: [**تقرؤهن عن ظهر قلبك ؟**]، قال : نعم ، قال: [**اذهب فقد ملكتها بما معك من القرآن**].

وأهل القرآن هم أهل الرفعة في الآخرة ففي مُسند أحمد [١] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال : [يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها].

وحملة القرآن يوم القيامة مع السفرة الكرام البررة كما ثبت في الصحيحين[٢] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ : [**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق ، له أجران**].

والماهر هو الحافظ كما في لفظ البخاري [**مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له ، مع السفرة الكرام...**].

فالله عَزَّوَجَلَّ شرف حملة القرآن بأن جعلهم مع السفرة الكرام البررة ، والله قد شرف الملائكة بأن جعل بأيديهم الصحف المطهرة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [عبس : ١٣ ـ ١٦].

وحامل القرآن هو أترجة الدنيا، ففي الصحيحين [٣] عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : [**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ، ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة ، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ**

---

(١) أحمد برقم (٦٧٩٩).
(٢) البخاري برقم (٤٩٣٧) ومسلم برقم (٧٩٨).
(٣) البخاري برقم (٥٤٢٧) ومسلم برقم (٧٩٧).

القرآن مثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ، ليس لها ريح وطعمها مر].

أقول ما سمعتم ، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم.





الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله،وعلى آله وأصحابه وسلم.

أما بعد:

ففضل الله عظيم على قارئ القرآن العامل به ، فكم ينال من الأجر والحسنات ، فقد ثبت في صحيح مسلم [١] عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال :[**أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أوإلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم ؟**] ، فقلنا : يا رسول الله نحب ذلك ، قال: [**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أويقرأ آيتين من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل**].

وبطحان والعقيق: اسم موضعين بالمدينة.

ومعنى كوماوين: سمينتين عظيمتين.

وحامل القرآن هو خير الناس وأفضلهم ففي صحيح البخاري [٢] عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: [**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**].

وفي رواية [**إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه**]. [٣]

---

(١) مسلم برقم (٨٠٣).
(٢) البخاري برقم (٥٠٢٧).
(٣) البخاري برقم (٥٠٢٨).

وحملة القرآن هم المغبوطون على حفظهم للقرآن ، ففي الصحيحين [(١)] عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : [**لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به أناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالًا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**].

ومن فضائل حملة القرآن الكريم أن القرآن يشفع لهم يوم القيامة ففي صحيح مسلم [(٢)] عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ :[**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه ، اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أوكأنهما غيايتان أوكأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما ، اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة**].

ومعنى البطلة: السحرة.

وفي الترمذي [(٣)] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : [**يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول : يا رب ارض عنه فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارق وتزاد بكل آية حسنة**].

ومعنى حله: أي زينه بالحلة.

وعند ابن حبان [(٤)] عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: [**القرآن شافع مشفع ،وماحل مصدق ،من جعله أمامه قاده إلى الجنة ،ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار**].

---

(١) البخاري برقم (٥٠٢٥) ومسلم برقم (٨١٥).
(٢) مسلم برقم (٨٠٤).
(٣) صحيح الترمذي برقم (٢٩١٥).
(٤) ابن حبان برقم (١٢٤) وصحيح الترغيب برقم (١٤٢٣).

ومعنى ماحل: أي مجادل مصدق.

وعند الدارمي[١] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : [**يجيء القرآن يشفع لصاحبه يقول يا رب لكل عامل عمالة من عمله وأني كنت أمنعه اللذة والنوم فأكرمه فيقال أبسط يمينك فيملأ من رضوان الله ثم يقال أبسط شمالك فيملأ من رضوان الله ويُكسى كسوة الكرامة ويحلى حلية الكرامة ويلبس تاج الكرامة**] .

وجاء عند الطبراني في الأوسط [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب يقول لصاحبه هل تعرفني أنا الذي كنت أسهر ليلك وأظمئ هواجرك وإن كل تاجر من وراء تجارته وأنا لك اليوم من وراء كل تاجر فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما الدنيا وما فيها فيقولان يا رب أنى لنا هذا فيقال لهما بتعليم ولدكما القرآن وإن صاحب القرآن يقال له يوم القيامة اقرأ وارق في الدرجات ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية معك**].

فيا أيها المسلمون: احرصوا على الإقبال على القرآن الكريم حفظًا وتلاوة وتدبرًا وعملًا وتعليمًا للأبناء لتحظوا بالأجر والثناء والثواب عند الله رب العالمين فإن النبي ﷺ قال: [**أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء وعليك بالجهاد؛ فإنه رهبانية الإسلام وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن ؛ فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض**]. [٣]

(١) الدارمي برقم (٢/ ٤٣٠) .
(٢) الطبراني في الأوسط برقم (٥٧٦٤) والصحيحة برقم (٢٨٢٩).
(٣) أحمد برقم (١١٧٧٤) والصحيحة برقم (٥٥٥).

أيها المؤمنون: لقد أمر النبي ﷺ بتعاهد القرآن خوفًا من تعريضه للنسيان قال : عليه الصلاة والسلام [**تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده هو أشد تفصيًا من الإبل من عقلها**]. (١)

وقال أبوالعالية: كنا نعد من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل القرآن ، ثم ينام عنه حتى ينساه. (٢)

وقال الضحاك بن مزاحم قال : ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب يحدثه ، وذلك بأن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠] ، ونسيان القرآن من أعظم المصائب. (٣)

اللهم إنا نسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدًا من خلقك ، أو ، استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاء أحزاننا ، وذهاب همومنا وغمومنا.

اللهم ذكرنا منه ما نُسينا ، وعلمنا منه ما جهلنا ، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار ، على الوجه الذي يرضيك عنا.

اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) البخاري برقم (٥٠٣٣) ومسلم برقم (٧٩١) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) الزهد لأحمد بن حنبل ص (٣٦٨) .
(٣) الزهد لأبن المبارك برقم (٧٥) بتحقيق أحمد فريد.



٣٧ فضل قيام الليل

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النِّسَاء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها المسلمون: نحمد الله عَزَّوَجَلَّ الذي منَّ علينا بوجود شهر رمضان المبارك الذي نعيش فيه هذه الأيام والليالي المباركة الذي تحيا فيه القلوب وتقوى فيه العزائم وتصلح فيه الأحوال بإذن الله عَزَّوَجَلَّ وتوفيقه وإن من

الأعمال الصالحة التي ينبغي أن يحرص عليها المرء المسلم في هذا الوقت الثمين صلاة التراويح.

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت ذنوبك.

عباد الله: وصلاة التراويح من قيام الليل الذي بين المصطفى ﷺ عظيم فضله وجزيل ثوابه ففي الصحيحين[١] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: [**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه**].

ومن صام رمضان وقامه فهو من الصديقين والشهداء كما ثبت عند ابن حبان [٢] وغيره عن عمرو بن مرة الجهني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال :يا رسول الله أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله ،وأنك رسول الله وصليت الصلوات الخمس ،وأديت الزكاة ،وصمت رمضان وقمته، فممن أنا ؟، قال: [**من الصديقين والشهداء**].

وصلاة التراويح سَنَّها رسول الله ﷺ ، ورغب فيها كما ثبت في الصحيحين[٣] عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت : إن رسول الله ﷺ خرج ليلة من جوف الليل فصلى في المسجد، وصلى رجال بصلاته ،فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه فأصبح الناس فتحدثوا ،فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج رسول الله ﷺ فصلى فصلوا بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، حتى خرج لصلاة الصبح فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: [أما بعد فإنه لم يخف

(١) البخاري برقم (٣٧) ومسلم برقم (٧٥٩).
(٢) ابن حبان برقم (٣٤٣٨)وصحيح الترغيب برقم (٣٩٣).
(٣) البخاري برقم (٢٠١٢) ومسلم برقم (٧٦١).

علي مكانكم ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها) . فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك].

وعند أبي داود [(١)] عن أبي ذر رضي الله عنه قال: صمنا مع رسول الله ﷺ رمضان فلم يقم بنا شيئًا من الشهر حتى بقي سبع فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل فلما كانت السادسة لم يقم بنا فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب شطر الليل فقلت يارسول الله لونفلتنا قيام هذه الليلة قال : فقال : [**إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام الليلة**] ، قال: فلما كانت الرابعة لم يقم فلما كانت الثالثة جمع أهله ونساءه والناس فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح ؟ ، قال : قلت وما الفلاح ؟ ، قال : السحور ثم لم يقم بنا بقية الشهر.

وأحيا هذه السُّنَّة العظيمة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما ثبت في صحيح البخاري [(٢)] عن عبد الرحمن بن عبدٍ القاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال : عمر إني أرى لوجمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال : عمر نعم البدعة هذه ،والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون، يريد آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله] .

ومعنى أوزاع :جماعات.

معاشر المسلمين: هنيئًا لكم وأنتم تعيشون هذه الأيام والليالي المباركة مع

(١) صحيح أبي داود برقم (١٣٧٥).
(٢) البخاري برقم (٢٠١٠).

الصيام والقيام.

قال القحطاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى [(١)]:

أدم الصيام مع القيام تعبدًا	فكلاهما عملان مقبولان
قم في الدجى واتل الكتاب	ولا تنم إلا كنومة حائر ولهان
فلربما تأتي المنية بغتة	فتساق من فرش إلى الأكفان
يا حبذا عينان في غسق الدجى	من خشية الرحمن باكيتان

فقيام الليل من أفضل الطاعات وأجل القربات بعد الصلوات المفروضات ففي صحيح مسلم [(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **[أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل]**.

لا يقوم الليل إلا أهل العزائم من المؤمنين.

يا رجال الليل جدوا	رب داع لا يُرد
لا يقوم الليل إلا	من له عزم وجد

وقال آخر:

من يرد ملك الجنان	فليدع عنه التوان
وليقم في ظلمة الليل	إلى نور القرآن

(١) نونية القحطاني ص (٤٤-٤٥).
(٢) مسلم برقم (١١٦٣).

وليصل صومًا بصوم إن هذا العيش فان
إنما العيش جوار الله في دار الأمان

جاء عند أبي نعيم في الحلية [(١)] عن قتادة قال: كان يقال قلما ساهر الليل منافق.

وقد بيَّن الله -جل شأنه- فضل قيام الليل ورغب عباده المؤمنين فيه فقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٦ - ١٧].

وهذه الحالة من تجافي الجنوب هي الحالة التي كان عليها رسول الله ﷺ كما قال: عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال: واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع [(٢)]

ومعنى قوله تعالى ﴿ تَتَجَافَىٰ ﴾ أي ترتفع جنوبهم عن الفرش الوطيئة والسرر المريحة.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: [(٣)] وتأمل كيف قابل ما أخفوه من

---

(١) الحلية (٢/ ٣٣٨) وسنده صحيح.
(٢) البخاري برقم (١١٥٥).
(٣) حادي الأرواح ص (٢٦٠).

قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات :١٥ ـ ١٨].

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا : لم تكن تمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئًا. [(١)]

وقال الحسن البصري ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله

ونشطوا فمدوا إلى السحر حتى كان الإستغفار بسحر. [(٢)]

يا راقد الليل مسرورًا بأوله … إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

أفنى القرون التي كانت منعمة … كر الجديدين إقبالًا وإدبارا

كم قد أبادت صروف الدهر من ملك … قد كان في الدهر نفاعًا وضرارا

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها … يمسي ويصبح في دنياه سفارا

هلا تركت من الدنيا معانقة … حتى تعانق في الفردوس أبكارا

إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها … فينبغي لك أن لا تأمن النارا

(١) ابن كثير (٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥).
(٢) ابن كثير (٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥).

وقال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الفرقان :٦٣ ـ ٦٤] .

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى [(١)]:

وأنشدوا في صفة الأولياء :

امنع جفونك أن تذوق مناما	واذر الدموع على الخدود سجاما
واعلم بأنك ميت ومحاسب	يا من على سخط الجليل أقاما
لله قوم أخلصوا في حبه	فرضي بهم واختصهم خداما
قوم إذا جن الظلام عليهم	باتوا هنالك سجدًا وقياما
خمص البطون من التعفف ضمرا	لا يعرفون سوى الحلال طعاما

وقد أمر الله نبيه ﷺ بالتهجد ورغبه في قيام الليل ، قال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء : ٧٩].

وقال تعالى:﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الإنسان :٢٥ ـ ٢٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [ق : ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الطور : ٤٩].

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾ [الشرح:٧ ـ ٨].

---

(١) القرطبي (١٣/ ٧٠).

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل.[١]
وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ ﴾ [المزمل :١ ـ ٤].

وقد كان قيام الليل واجبًا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى أمته في بادئ الأمر كما ثبت في صحيح مسلم [٢] قال : سعد بن هشام لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنبئيني عن قيام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت : ألست تقرأ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ ؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله عَزَّ وَجَلَّ افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه حولًا وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرًا في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعًا بعد فريضة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى [٣]: والمقصود أن النافلة في الآية لم يرد بها ما يجوز فعله وتركه كالمستحب والمندوب وإنما المراد بها الزيادة في الدرجات وهذا قدر مشترك بين الفرض والمستحب فلا يكون قوله :﴿ نَافِلَةٗ لَّكَ ﴾ نافيا لما دل عليه الأمر من الوجوب.

ولقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا جاء الليل وأرخى سدوله توجه إلى معبوده وأكثر من الصلاة ومناجاة ربه ، فكان يقوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الليل حتى تتفطر قدماه من طول القيام كما جاء في الصحيحين [٤] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ؟ ، فقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لم تصنع هذا يا رسول الله ،وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ ، قال:

(١) القرطبي (٢٠/ ١٠٠).
(٢) مسلم برقم (٧٤٦).
(٣) زاد المعاد (١/ ٣١٣).
(٤) البخاري برقم (٤٨٣٧) ومسلم برقم (٢٨٢٠).

[أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا].

محيي الليالي صلاة لا يقطعها إلا بدمع من الإشفاق منسجم

مسبحًا لك جنح الليل محتملًا ضرًا من السهد أوضرًا من الورم

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المتقين ، وقدوة الناس أجمعين، محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين .

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: إن قيام الليل قربة إلى الله وتكفير للسيئات فعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: [**عليكم بقيام الليل،فإنه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة إلى ربكم ،ومكفرة للسيئات ومنهاة للإثم**]. [١]

وقيام الليل من أسباب دخول الجنة كما ثبت عند الترمذي[٢] عن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدنية انجفل الناس إليه وقيل قدم رسول الله ﷺ قدم رسول الله ﷺ قدم رسول الله ﷺ فجئت في الناس لأنظر إليه فلما استثبت وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب وكان أول شيء تكلم به أن قال: [**أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا والناس نيام تدخلون الجنة بسلام**].

وعند الطبراني في الكبير [٣] عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : [**إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله عَزَّ وَجَلَّ لمن أطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل**

(١) صحيح الترمذي برقم (٣٥٤٩).
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٤٨٥).
(٣) الطبراني برقم (٣٤٦٧) وصحيح الترغيب برقم (٦١٨).

والناس نيام].

وقيام الليل شرف للمؤمن كما ثبت عن مجموعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ فقال : [**يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزي به ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس**]. (١)

والله عَزَّوَجَلَّ يعجب من رجل يقوم لصلاة الليل في الليلة الباردة ويترك فراشه ودثاره كما جاء في مُسند الإمام أحمد (٢) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : [**عجب ربنا عَزَّوَجَلَّ من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحيِّه إلى صلاته فيقول: ربنا أيا ملائكتي انظروا إلى عبدي ثار من فراشه ووطائه ومن بين حيِّه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي**].

أمامك يا نومان دار سعـــادة   يطول الثوى فيها وطول شقاء

خلقت لإحدى الغايتين فلا تنم   وكن بين خوف منهما ورجاء

إخوة الإيمان والإسلام: لقد عظم الله شأن قيام الليل وأثنى على أهله قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر : ٩].

وقال تعالى: ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [آل عمران : ١١٣].

(١) الطبراني برقم (٦٢٧) وصحيح الترغيب برقم (٨٢٤).
(٢) أحمد برقم (٣٩٤٩) وصحيح الترغيب برقم (٦٣٠).

وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ﴾ [الفتح : ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧ ﴾[آل عمران: ١٧].

وفي الليل ساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة، إلا أعطاه كما ثبت في صحيح مسلم [١] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول : [**إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة ، إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة**].

يا لها من لحظات ودعوات وخيرات ، ينالها عباد الله القائمون ، جعلنا الله وإياكم منهم.

معاشر المسلمين: والله جل ذكره ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا نزولًا يليق بجلاله وعظمته ، حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول:[من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له]. [٢]

أيها المسلمون: كم نفوت على أنفسنا من أسباب المغفرة والرحمة والخير.

ولقد هدى الله الصحابة ومن سار على منواهم لقيام الليل وغيره من الأعمال الصالحة ، فهذا عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال فيه النبي ﷺ : [**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي بالليل**] ، قال سالم : فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلا. [٣]

---

(١) مسلم برقم (٧٥٧).
(٢) البخاري برقم (١١٤٥) مسلم برقم (٧٥٨).
(٣) البخاري برقم (٣٧٣٩).

وكان الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: من أطال قيام الليل هون الله عليه وقوف يوم القيامة. (١)

وكان مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا ينام من الليل إلا قليلًا فيقال له :ما لنا نرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟!، فيقول:إن ذكر جهنم لا يدعني أنام.

وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تـدرِ في أي المجالس تنزل

وكان أبو مسلم الخولاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ له سوط يعلقه في مصلاه فإذا قام لصلاة الليل وأصيب بالإعياء أخذ السوط وضرب به ساقيه ويقول أنتما أحق بالضرب من دابتي أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يسبقونا عليه والله لأزاحمنهم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالا. (٢)

إذا ما الليل أقبل كابدوه فيسفر عنهم وهم ركـوع

أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع

لهم تحت الظلام وهم سجود أنين منه تنخلع الضلوع

وخرس بالنهار لطول صمت عليهم من سكينتهم خشوع

اللهم أعنا على الصيام والقيام ويسر لنا ذلك ، اللهم أعنا على صلاح أنفسنا ، اللهم وفقنا لقيام ليلة القدر وتقبل منا ذلك ، إنك أنت السميع العليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) السير (٧/ ١١٩).
(٢) رهبان الليل (١/ ٣٥٨) للعفاني.

٣٨ فضل ليلة القدر

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلاَ مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: ليلة القدر ليلة عظيمة وشريفة قال الله تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴿٢﴾ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ

مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴿٥﴾ ﴾ [القدر :١ ـ ٥].

وألف شهر تعدل ثلاثًا وثمانين سنة وأربعة أشهر .

فمن حرم قيام هذه الليلة فهو المحروم فقد جاء عند الإمام أحمد في مُسنده [1] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ: [**قد جاءكم رمضان شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب الجنة ويغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه الشياطين فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم**].

ومن فضائل هذه الليلة أنه يفرق فيها كل أمر حكيم كما قال الله تعالى: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [الدخان :١ ـ ٦].

قال ابن كثير [2] رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في تفسير قوله ﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ أي في ليلة القدر يُفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السَنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق ، وما يكون فيها إلى آخرها.

ومن فضائلها أنها ليلة نزول القرآن الكريم فنزول القرآن كان في شهر رمضان كما قال تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٥].

وكان نزوله في الليلة المباركة ليلة القدر من شهر رمضان ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾ ﴾ [القدر :١].

---

(١) أحمد برقم (٨٩٩١) وصحيح الجامع برقم (٥٥).
(٢) التفسير (٤/ ١٤٠).

وكما قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [الدخان : ٣].

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: أنزل الله أفضل الكلام في أفضل الليالي والأيام على أفضل الأنام بلغة العرب الكرام. (١)

ومن فضائلها أيضًا أن إحيائها بالعبادة والذكر سبب لمغفرة الذنوب كما جاء في البخاري ومسلم (٢) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: [**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا ، غُفر له ما تقدم من ذنبه**].

وهذا أعظم مطلوب عند المؤمن أن ينال مغفرة الله تعالى.

والمراد بمغفرة الله للعبد إلباسه إياه عفوه وستر ذنوبه وخطاياه ، والمقصود بالذنوب التي يغفرها الله الصغائر ، أما الكبائر فلابد له أن يتوب منها ، كما قال الله تعالى:﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء : ٣١].

ويستحب في هذه الليلة المباركة الإكثار من الدعاء ولا سيما الوارد في ذلك عن النبي ﷺ فعند الترمذي (٣) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت : قلت يا رسول الله ، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها ؟، قال : قولي [**اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني**].

ومن فضائلها أن الملائكة تتنزل فيها كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ بذلك ؟، ومعهم جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سيد الملائكة وأمين الوحي ؟، والملائكة لا تنزل إلا عند

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤/ ٤٨٢).
(٢) البخاري برقم (٢٠١٤) ومسلم برقم (٧٦٠).
(٣) صحيح الترمذي برقم (٣٥١٣) وابن ماجه برقم (٣٨٥٠).

وجود الخير والبركة ، كما قال النبي ﷺ : [... **وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**]. [(١)]

وكما قال النبي ﷺ : [**إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ، رضًا بما يطلب** ....]. [(٢)]

وعدد نزول الملائكة في ليلة القدر أكثر من عدد الحصى كما جاء في مُسند الإمام أحمد [(٣)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر : [**إنها ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين ، إن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى**].

ومن فضائلها أنها ليلة خير وبركة وسلام ، ليس فيها شر حتى مطلع الفجر ، والملائكة تدعوا للمؤمنين العابدين في هذه الليلة ، ولكثرة السلامة فيها من العقاب والعذاب ، لما يقوم به العبد من طاعة الله.

ومن فضائلها أيضًا قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴿٢﴾ ﴾ [القدر : ٢]. فهذا الاستفهام يدل على تفخيم شأنها وتعظيم قدرها كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾ ﴾ [القارعة :١٠ ـ ١١].

وكقوله تعالى:﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الإنفطار :١٧ ـ ١٨].

قال : سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: ما كان في القرآن﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ ﴾ فقد

(١) مسلم برقم (٢٦٩٩).
(٢) أحمد برقم (١٨٠٨٩).
(٣) أحمد برقم (١٠٧٣٤).

أعلمه وما قال: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ فإنه لم يعلمه. ذكره البخاري في صحيحه.

شهر به ليلة القدر التي شرفت　　حقًا على كل شهر ذات أسرار
تنزل الروح والأملاك قاطبة　　بإذن رب غفور خالق باري
شهر به يعتق الله العصاة وقد　　أشفوا على جرف من حفرة النار
فابكوا على ما مضى من الشهر واغتنموا　　ما قد بقي فهو حق عنكم جاري

فعلينا معاشر المسلمين أن نشمر عن ساعد الجد وأن نجاهد أنفسنا على طاعة الله وفعل الخير وأن نغتنم هذه الليلة اقتداءً بالنبي ﷺ، فقد كان ﷺ كما قالت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كان النبي ﷺ: [**إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله**]. [1]

ومعنى [شد مئزره] أي كناية عن اعتزال النساء كما قال الشاعر:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم　　دون النساء ولو باتت بأطهار

وفي صحيح مسلم عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قالت: [**كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره**]. [2]

قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: وإنما خص بذلك ﷺ آخر رمضان لقرب خروج وقت العبادة فيجتهد فيه لأنه خاتمة العمل والأعمال بخواتيمها. [3]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) البخاري برقم (٢٠٢٤) ومسلم برقم (١١٧٤).
(٢) مسلم برقم (١١٧٥).
(٣) سبل السلام (٤/ ١٤٩) بتحقيق الشيخ: حلاق.

الخطبة الثانية :

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على خير الأنام ، محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه الكرام .

أما بعد:

فإن ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان ، كما جاء في الصحيحين[(١)] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ يجاور في العشر الأواخر من رمضان ويقول : [**تحروا ليلة القدر ، في العشر الأواخر من رمضان**].

وهي في الأوتار أقرب من الأشفاع لما جاء في صحيح البخاري [(٢)] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: [**تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان**].

وهي في السبع الأواخر أقرب منها في غيرها لما ثبت في الصحيحين [(٣)] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر ، فقال رسول الله ﷺ : [**أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر**].

وأكثر العلماء على أنها في ليلة سبع وعشرين لما جاء في صحيح مسلم[(٤)] عن زر بن حبيش قال : سألت أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقلت: إن أخاك ابن

(١) البخاري برقم (٢٠٢٠) ومسلم برقم (١١٦٩).
(٢) البخاري برقم (٢٠١٧).
(٣) البخاري برقم (٢٠١٥) ومسلم برقم (١١٦٥).
(٤) مسلم برقم (٧٦٢).

مسعود يقول من يقم الحول يصب ليلة القدر ، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أراد أن لا يتكل الناس أما إنه قد علم أنها في رمضان ، وأنها في العشر الأواخر ، وأنها ليلة سبع وعشرين ، ثم حلف لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين ، فقلت بأي شيء تقول ذلك ؟ ، يا أبا المنذر قال : بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا رسول الله ﷺ أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها.

وعن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال **النبي** ﷺ **في ليلة القدر [ليلة القدر**] ليلة سبع وعشرين. (١)

وعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : [**من كان متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين وقال تحروها ليلة سبع وعشرين**] يعني ليلة القدر. (٢)

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال :يا نبي الله إني شيخ كبير عليل يشق على القيام فأمرني بليلة لعل الله يوفقني فيها ليلة القدر قال: [**عليك بالسابعة**]. (٣)

وقد جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **لليلة القدر علامات منها:**

ما جاء عن أُبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: [**إنها تطلع يومئذ لا شعاع لها**]. (٤)

وجاء في صحيح مسلم (٥)عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : تذاكرنا ليلة القدر عند رسول الله ﷺ فقال :[أيكم يذكر حين طلع القمر وهو مثل شق جفنة ؟].

---

(١) صحيح أبي داود برقم (١٣٨٦).
(٢) أحمد برقم (٤٨٠٨).
(٣) أحمد برقم (٢١٤٩).
(٤) مسلم برقم (٧٦٢).
(٥) مسلم برقم (١١٧٠).

ومعنى شق جفنة : الشق هو النصف والجفنة القصعة قال : القاضي عياض فيه إشارة إلى أنها إنما تكون في أواخر الشهر لأن القمر لا يكون كذلك عند طلوعه إلا في أواخر الشهر.

وفي مُسند الطيالسي [(١)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: [**ليلة سمحة طلقة ، لا حارة ولا باردة ، تصبح شمسها صبيحتها ضعيفة حمراء**].

ومعنى طلقة: مشرقة.

وأما ما يذكر من أن ماء البحر يكون فيها عذبًا وأن الأشجار تضع فروعها على الأرض وأن الأنوار تُضاء في الأماكن المظلمة وأن الكلاب لا تنبح فيها والحمير لا تنهق فيها فكل هذا باطل ولم يثبت فيه حديث عن النبي ﷺ.

فهنيئًا ثم هنيئًا لمن وفقه الله لقيام هذه الليلة ، ويا سعد من أحياها، ويا فوز من نال أجرها.

أيها الإخوة: هذه الليلة فيها التجارة الرابحة والملائكة تملأ الأرض سائحة هذه الليلة ليلة العبرات وفيها تستجاب الدعوات.

هي ليلة القدر التي شرفت   على كل الشهور وسائر الأعوام

من قامها يمحوالإله بفضله   عنه الذنوب وسائر الآثام

فيها تجلى الحق جل جلاله   وقضى القضاء وسائر الأحكام

---

(١) الطيالسي برقم (٣٤٩).

فالله يرزقنا القبول بفضـــله ويجود بالغــفران للصـــــــوام
ويذيقنا فيها حـــلاوة عفوه ويميتناحقًاعلـــىالإســـلام(١)

نسأل الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أن يجعلنا وإياكم من الصائمين القائمين، الذين وفقهم الله لقيام ليلة القدر ، وفازوا بالثواب والأجر.

اللهم حبب إلينا الإيمان ،وزينه في قلوبنا ،وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ،وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين



(١) رياض الجنان في رمضان ص (١٢٠) للشيخ عبد المحسن بن علي - بتصرف يسير.

٣٩ خطبة عيد الفطر

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون: هذا اليوم هو يوم عظيم يوم من أيام الله المباركة ، فهنيئًا لكم ما صمتم وما أفطرتم ، ومبارك فرحكم بجزاء ربكم وثواب ما قدمتم ، إن من أعظم ما منَّ الله به عليكم أن هداكم للصيام والقيام ، قال

الله تعالى : ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة:١٨٥].

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر ولله الحمد.

أيها المسلمون: العيد هو كل يوم فيه جمع قال ابن الأعرابي: سمي العيد عيدًا لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد .(١)

وقد شرع العيدان حينما قدم النبي ﷺ المدينة ففي سُنَن أبي داود (٢) وغيره ، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : [**ما هذان اليومان**] ، قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال رسول الله ﷺ : [**إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما ، يوم الأضحى ويوم الفطر**].

والعيد يرخص فيه مالا يرخص في غيره فيرخص للنساء في العيد أن يضربن بالدف دون الرجال ، لما جاء في الصحيحين (٣) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل أبو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله ﷺ . فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال : [**دعهما**] . فلما غفل غمزتهما فخرجتا . وقالت وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب فإما سألت رسول الله ﷺ وإما قال: [**تشتهين تنظرين**]. قالت نعم فأقامني وراءه خدي على خده ويقول : [**دونكم بني أرفدة**] . حتى إذا مللت قال: [**حسبك**] . قلت: نعم [**فاذهبي**] .

---

(١) لسان العرب (٣/ ٣١٩).
(٢) صحيح أبي داود برقم (١١٣٤).
(٣) البخاري برقم (٩٤٩) ومسلم برقم (٨٩٢).

وفي رواية [يا أبا بكر ، إن لكل قوم عيدًا ، وهذا عيدنا] [١] .

ويوم بعاث حرب بين الأوس والخزرج.

وليس للمسلمين غير عيدين عيد الفطر وعيد الأضحى .

ولله در من قال :

عيدان عند أولي النهى لا ثالث لهما لمن يرجو السلامة في غد

الفطر والأضحى وكل زيادة فيها خروج عن سبيل محمد

ومن الأعياد المشروعة يوم الجمعة فعند ابن ماجه [٢] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : [**إن هذا يوم عيد ، جعله الله للمسلمين، فمن جاء إلى الجمعة فليغتسل ، وإن كان طيب فليمس منه ، وعليكم بالسواك**].

ومن جملة أعياد المسلمين يوم عرفة ، لما جاء في سُنَن الترمذي [٣] عن عمار بن أبي عمار قال : قرأ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ وعنده يهودي ، فقال : لو أنزلت هذه علينا لا تخذنا يومها عيدًا ، قال : ابن عباس فإنها نزلت في يوم عيد في يوم جمعة ويوم عرفة.

وجا عند أبي داود [٤] في سُنَنه عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : [**يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام ، وهي**

---

(١) البخاري برقم (٩٥٢) .
(٢) صحيح ابن ماجه برقم (١٠٩٨).
(٣) صحيح الترمذي برقم (٣٠٤٤).
(٤) صحيح أبي داود برقم (٢٤١٩).

أيام أكل وشرب] .

فهذه الأعياد تأتي على إثر الطاعة والعبادة وليست كأعياد أهل الضلالة والبدعة التي أحدثوها بمناسبات لهم وما أكثرها في أوساط المسلمين.

فالواجب الحذر من التشبه بأهل الكفر والبدعة والضلال والله الهادي لمن يشاء من عباده.

والعيد له آداب عظيمة ومن تلك الآداب السامية:

١ - التكبير : لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة١٨٥].

٢ - الغُسل : فقد ثبت في موطأ مالك [١] أن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدوإلى المصلى.

٣ - التجمل : ففي الصحيحين [٢] عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال : أخذ عمر جبة من إستبرق تباع في السوق فأخذها فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ابتع هذه تجمل بها للعيد والوفود فقال له رسول الله ﷺ:[**إنما هذه لباس من لا خلاق له**] . فلبث عمر ما شاء الله أن يلبث ثم أرسل إليه رسول الله ﷺ بجبة ديباج فأقبل بها عمر فأتى بها رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنك قلت : [**إنما هذه لباس من لاخلاق له**] . وأرسلت إلي بهذه الجبة فقال له رسول الله ﷺ : [**تبيعها أو تصيب بها حاجتك**].

٤ - الأكل في العيدين : فعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ لا يغدويوم الفطر حتى يأكل تمرات ويأكلهن وترًا. [٣]

---

(١) الموطأ برقم (٤٢٧).
(٢) البخاري برقم (٩٤٨) ومسلم برقم (٢٠٦٨).
(٣) البخاري برقم (٩٥٣).

وعن بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم ولا يطعم يوم النحر حتى ينحر. [(١)]

٥-الخروج إلى المصلى: ففي الصحيحين[(٢)] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى فأول شيء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم فإن كان يريد أن يقطع بعثًا قطعه أويأمر بشيء أمر به ثم ينصرف.

معاشر المسلمين: احذروا من المعاصي والمنكرات فقد أحدث الناس منكرات عظيمة في أعيادهم فمن تلك المنكرات:

١- حلق اللحى.

٢- لبس الذهب.

٣- التشبه بالكفار في زيهم

٤- مصافحة النساء الأجنبيات ،وقد قال النبي ﷺ :[**لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد،خير له من أن يمس امرأة لا تحل له**]. [(٣)]

٥- سماع الأغاني والمزامير وقد حرم الله ذلك كما هو معلوم.

٦- الخلوة بالنساء غير المحارم [(٤)] فعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: [**إياكم والدخول على النساء**] . فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ ، قال: [**الحمو الموت**].

(١) ابن حبان برقم (٢٨١٢).
(٢) البخاري برقم (٩٥٦) ومسلم برقم (٨٨٩).
(٣) الطبراني في الكبير برقم (٤٨٦) والصحيحة برقم (٢٢٦) عن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) صحيح الأدب المفرد برقم (٢٦٢).

٧- التبذير والإسراف في المآكل والمشارب قال الله تعالى : ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[الأعراف:٣١].

وقال تعالى :﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧].

٨- تخصيص زيارة القبور يوم العيد فزيارة المقابر مشروعة لكنها لا تخصص بيوم محدود.

عباد الله: عليكم بالتقوى فإنها أم الفضائل وخير الزاد﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾[البقرة:١٩٧].

وعليكم بالتصافي والمودة والمحبة والألفة وصلة الرحم والتعاون على البر والتقوى ، قال: عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: النعم تُكفر والرحم تُقطع، ولم نر مثل تقارب القلوب. (١)

وأوصي نساء المسلمين بتقوى الله تعالى قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ ﴾[الأحزاب:٣٣].

وقال ﷺ: [**يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الإستغفار ،فإني رأيتكن أكثر أهل النار ، فقالت امرأة منهن جزلة : وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار، قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن ، قالت يا رسول الله وما نقصان العقل والدين ؟ ، قال : أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل ، فهذا نقصان**

(١) ابن حبان برقم (٢٨١٢).

العقل وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين]. (١)

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، واحم حوزة الدين ، ودمر اليهود وأعوانهم من القوم الظالمين.

اللهم ألف بين قلوب المسلمين ، ووحد صفهم ، وأصلح قادتهم ، واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين

اللهم آمنا في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، واجعل اللهم ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا أرحم الراحمين

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.



(١) مسلم برقم (٧٩) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٤٠ ماذا بعد رمضان

الخُطبَةُ الأُولَى[1]:

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلاَ مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: لقد عشنا جميعًا تلك الأيام الفاضلة والليالي المباركة من شهر رمضان شهر الخير والبركة ثم انتهت تلك الأيام والليالي وكما انقضت وذهبت تلك الأيام والليالي هكذا ينقضي عمر الإنسان ويذهب.

تمر بنـــا الأيـــام تترى وإنما   نساق إلى الآجـال والعين تنظر
فلا عائد ذاك الشباب الذي مضى   ولا زائـل هـذا المشيب المكدر

ولكن مما يؤسف له أننا نرى الكثير من المسلمين بعد رمضان أخذوا ينصرفون عن تلك الأعمال الصالحة التي ألفوها وعن تلك الأوقات الجميلة التي عمروها في شهر رمضان بالخير والتقى ، وهذه والله علامة الحرمان والرد أن يعود العبد إلى المعصية بعد الطاعة وإلى السيئة بعد الحسنة وإلى الانتكاسة بعد التوفيق وإلى الشر والفساد بعد الخير والصلاح وما هذا إلا هدم بعد بناء ونكث بعد عهد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[النحل : ٩٢].

وهذا فعل من بدل نعمة الله كفرا قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا ﴾[إبراهيم : ٢٨].

وبئس القوم الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان:

فنفسك لُـمْ ولا تَلُمْ المطايا   ومت كمدًا فليس لك اعتذار

معاشر المسلمين : قال بعض السلف: من علامات القبول الحسنة بعد الحسنة تتبعها.

وقال آخر: من علامات قبول العبادة أن يكون العابد بعدها أفضل مما كان قبلها.

ويروى عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: من بورك له في شيء فليلزمه.

ولقد جرت عادة الله أن من عاش على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بعث عليه قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٢].

وأعظم الخير أن نصدق مع الله في تمسكنا بالإسلام والثبات عليه: ﴿ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴿٢١﴾ ﴾ [محمد : ٢١].

ولئن انقضى شهر رمضان فعمل المؤمن لا ينقضي إلا بانقضاء أجله قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر : ٩٩].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الله لم يجعل لعمل المؤمنين أجلًا دون الموت ثم قرأ ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر : ٩٩].

وفي صحيح مسلم [١] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: أن رسول الله ﷺ قال: [**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة ، إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعوله**].

فالمؤمن يواصل الطاعة بعد الطاعة والعبادة تلوالعبادة ولا ينقطع ذلك إلا بانقطاعه من الدنيا.

وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ المحافظة على الأعمال الصالحة من صفات عباده المؤمنين قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المعارج: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩].

وقد ذم الله عَزَّوَجَلَّ النصارى بسبب عدم مداومتهم على ما أنعم الله به عليهم من العمل بالدين ، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا

(١) مسلم برقم (١٦٣١).

وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحديد : ٢٧].

ومعنى قوله: ﴿ حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ ﴾ أي ما استمروا عليها ولا حافظوا عليها.

وعدم المداومة على الأعمال الصالحة سبب لقسوة القلوب ، قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد : ١٦].

وقد كان النبي ﷺ أحرص الناس على المداومة على الأعمال الصالحة ففي صحيح مسلم [١] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت [**..وكان نبي الله ﷺ إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل، صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة...**].

وفي صحيح مسلم [٢] عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**من نام عن حزبه أوعن شيء منه ، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر ، كتب له كأنما قرأه من الليل**].

والمداومة على الأعمال الصالحة أحب الأعمال إلى الله ورسوله ﷺ ففي الصحيحين [٣] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: سُئل النبي ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله ؟ ، قال: [**أدومها وإن قل**].

(١) مسلم برقم (٧٤٦).
(٢) مسلم برقم (٧٤٧).
(٣) البخاري برقم (٦٤٦٥) ومسلم برقم (٧٨٣).

وفي الصحيحين [١] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سئلت: أي العمل كان أحب إلى النبي ﷺ ؟ [**قالت الدائم**].

وكان ﷺ يحذر أصحابه من ترك المداومة على الأعمال الصالحة ففي الصحيحين [٢] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال : لي رسول الله ﷺ : [**يا عبد الله ، لا تكن مثل فلان ، كان يقوم الليل فترك قيام الليل**].

عباد الله: ولقد كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من أعظم الناس مداومة على الأعمال الصالحة فهذا بلال مؤذن رسول الله ﷺ كما ثبت في الصحيحين[٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر : [**يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام ، فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة**]، قال : ما عملت عملًا أرجى عندي أني لم أتطهر طهورًا في ساعة ليل أو نهار ، إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي.

والمراد بدف النعل الحركة.

وعند الإمام أحمد [٤] عن بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالًا فقال : يا بلال بم سبقتني إلى الجنة ، ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي ، إني دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك فأتيت على قصر من ذهب مرتفع مشرف ، فقلت : لمن هذا القصر قالوا : لرجل من العرب قلت: أنا عربي ، لمن هذا القصر قالوا : لرجل من المسلمين من أمة محمد ، قلت: فانا محمد لمن هذا القصر ، قالوا:

(١) البخاري برقم (٦٤٦١) ومسلم برقم (٦٠٩٦).
(٢) البخاري برقم (١١٥٢) ومسلم برقم (١١٥٩).
(٣) البخاري برقم (١١٤٩) ومسلم برقم (٢٤٥٨).
(٤) أحمد برقم (٢٢٩٩٦) .

لعمر بن الخطاب ، فقال رسول الله ﷺ : لولا غيرتك يا عمر لدخلت القصر ، فقال : يا رسول الله ما كنت لأغار عليك قال : وقال لبلال: بم سبقتني إلى الجنة ، قال : ما أحدثت إلا توضأت وصليت ركعتين فقال رسول الله ﷺ : [بهذا].

وهذه أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت حريصة على الأعمال الصالحة فعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به ، خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم ، وما سبح رسول الله ﷺ سبحة الضحى قط وإني لأسبحها. (٥)

وهذا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان من أحرص الناس مداومة على الأعمال الصالحة ففي الصحيحين (٦) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أتت النبي ﷺ تسأله خادمًا ، فقال : [**ألا أخبرك ما هو خير لك منه ؟ ، تسبحين الله عند منامك ثلاثًا وثلاثين ، وتحمدين الله ثلاثًا وثلاثين ، وتكبرين الله أربعًا وثلاثين**] ، فما تركتها بعد قيل ولا ليلة صفين؟، قال : ولا ليلة صفين.

عباد الله:وهناك أسباب عظيمة في إعانة المؤمن على طاعة الله والمداومة عليها منها:

١ - الاستعانة بالله تعالى : قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة : ٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -قدَّس الله روحه- تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

(٥) البخاري برقم (١١٢٨) ومسلم برقم (٧١٨).
(٦) البخاري برقم (٥٣٦٢) ومسلم برقم (٢٧٢٧) .

نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [1] .

وعند أبي داود [2] عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: [**يا معاذ والله إني لأحبك ، والله إني لأحبك**] فقال : [**أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك**].

٢- القصد في الأعمال: وكما قيل قليل دائم خير من كثير منقطع ، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وثبت في الصحيحين [3] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: [**يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا ، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قلَّ**].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: [**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة**]. [4]

والدلجة: هي آخر الليل.

٣- معرفة ثواب الأعمال : قال : بعض العلماء بالمعرفة هانت على العاملين العبادة.

وقال بعضهم: من لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحوال.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٠٣) .
(٢) صحيح أبي داود برقم (١٥٢٢) .
(٣) البخاري برقم (٥٨٦١) ومسلم برقم (٧٨٢).
(٤) البخاري برقم (٣٩).

العزيمة القوية والنية الصادقة ، والبعد عن الخمول والكسل، فما مضى لا يعود أبدًا ، والحياة سباق وهي أقصر من أن تُضيع في الكسل والبطالة والتسويف وقد كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من العجز والكسل كما ثبت في الصحيحين.

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا مزيدًا إلى يوم الدين .

أما بعد:

فيا أيها المسلمون : إن المداومة على الأعمال الصالحة لها ثمار عظيمة ، فمن ذلك:

١- **نيل محبة الله** عَزَّوَجَلَّ **:** قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[البقرة : ٢٢٢].

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: إن الله يحب التوابين من ذنوبهم على الدوام.[١]

وفي صحيح البخاري[٢] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **[إن الله قال : من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت ، وأنا أكره مساءته].**

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ١٩١).
(٢) البخاري برقم (٦٥٠٢).

٢- ومن ثمار المداومة على الأعمال الصالحة أنها سبب للنجاة من الشدائد والكروب، والفتن المدلهمة : كما ثبت عند أحمد [(١)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : كنت رديف النبي ﷺ فقال : يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن فقلت بلى فقال : [**احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إليه في الرخاء ، يعرفك في الشدة...**].

وعند الترمذي [(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ :[**من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب ، فليكثر الدعاء في الرخاء**].

٣- ومن ثمار المداومة على الأعمال الصالحة ، أنها تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر : قال تعالى: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[العنكبوت : ٤٥].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إن فلانًا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق ، قال: [إنه سينهاه ما تقول]. [(٣)]

٤- ومن ثمار المداومة على الأعمال الصالحة أنها سبب لمحو الذنوب والخطايا، ففي الصحيحين [(٤)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: [**أرأيتم لوأن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شيء ؟**] ، قالوا : لا يبقى من درنه شيء، قال: [**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوالله بهن الخطايا**]. والدرن: الوسخ.

وفي الصحيحين [(٥)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن رسول الله ﷺ قال: [من

---

(١) أحمد برقم (٢٧٦٣).
(٢) صحح الترمذي برقم (٣٣٨٢).
(٣) أحمد برقم (٩٧٧٨).
(٤) البخاري برقم (٥٢٨) ومسلم برقم (٦٦٧).
(٥) البخاري برقم (٦٤٠٥) ومسلم برقم (٢٦٩١).

قال : سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة ، حُطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر].

٥- ومن ثمار المداومة على الأعمال الصالحة ، أنها سبب في الحصول على الهداية: قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت : ٦٩].

٦-ومن ثمار المداومة على الأعمال الصالحة أنها سبب لاستظلال العبد في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله: فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: [سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه]. [١]

٧- ومن ثمار المداومة على الأعمال الصالحة أنها سبب لطهارة القلب من النفاق: ففي سُنَن الترمذي [٢] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ :[من صلى لله أربعين يومًا في جماعة ، يدرك التكبيرة الأولى، كتبت له براءتان ، براءة من النار ، وبراءة من النفاق].

٨-ومن ثمار المداومة على الأعمال الصالحة ، أنها سبب في دوام اتصال القلب بخالقه ، مما يعطيه قوة وثباتًا وتعلقًا بالله وتوكلًا عليه .

٩- ومن ثمار المداومة على الأعمال الصالحة، أنها سبب في تعهد النفس عن الغفلة وترويضها على لزوم الخيرات حتى تسهل عليها : ومن ثم تصبح ديدنًا لها لا

(١) البخاري برقم (١٤٢٣) ومسلم برقم (١٠٣١).
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٤١).

تكاد تنفك عنها رغبة فيها وكما قيل نفسك إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية.

١٠ - ومن ثمار المداومة على الأعمال الصالحة، أنها سبب عظيم في دخول الجنة: ففي الصحيحين [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : أن رسول الله ﷺ قال: [**من أنفق زوجين في سبيل الله ، نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة**] ، فقال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟. قال: [**نعم، وأرجو أن تكون منهم**]. [(٢)]

اللهم رب الأرض والسماوات ، سامع الأصوات ، وقاضي الحاجات، وجامع العظام بعد التمزق والشتات ، وفقنا لفعل الخيرات واجتناب المنكرات ، ونجنا من الفتن والزلات، وثبتنا على دينك حتى المات.

اللهم أعز الإسلام وأنصر المسلمين ، واخذل الكفرة والمشركين من اليهود والنصارى والصليبيين ، ودمر أعداءك أعداء الدين ، واجعل هذا البلد سخاءً رخاءً آمنًا وسائر بلاد المسلمين ، وأصلح اللهم ولاة أمورنا وسائر ولاة المسلمين ، وارزقهم البطانة الصالحة الناصحة ، التي تدلهم على الخير وتعينهم عليه.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) البخاري برقم (١٨٩٧) ومسلم برقم (١٠٢٧).
(٢) المختار للحديث في شهر رمضان ص(٤٢٠ ـ ٤٢٦) بتصرف يسير.

٤١ خطبة عيد الأضحى المبارك

الخُطْبَةُ الأُوْلَى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المسلمين: لقد أظلنا أشرف أيام العام عند الله عَزَّوَجَلَّ ألا وهو يوم الحج الأكبر ، يوم العج والثج، ففي مُسند الإمام أحمد [١] عن عبد الله بن

(١) أحمد برقم (١٩٠٧٥).

قرط رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أن رسول الله ﷺ قال: [**أعظم الأيام عند الله يوم النحر ، ثم يوم القر..]**.

ويوم القر هو اليوم الثاني الذي يلي يوم النحر، وسمي بذلك لأن الناس يقرون فيه بمنى.

وعند الترمذي [1] عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**يوم الحج الأكبر ، يوم النحر]**.

الله أكبر الله أكبر ما حج المسلمون بيت الله الحرام ، الله أكبر ما كبروا وأحرموا ولبوا ، الله أكبر ما طافوا وسعوا وشربوا من ماء زمزم المطهر ، الله أكبر ما هاجت بهم مطايا الأشواق إلى عرفات الله أكبر عدد ما وقفوا بالمشعر الحرام شاكرين الله على ما هداهم للإيمان الله أكبر عدد ما وصلوا إلى منىً ونحروا هداياهم وحلق كلٌ أوقصر الله أكبر الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرة وأصيلًا ، لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد.

أيها المسلمون عباد الله: أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عَزَّوَجَلَّ فإنها وصية الله لعباده الأولين والآخرين قال الله تعالى :﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾[النساء١٣١].

وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[الأنعام١٥٣].

والتقوى فعل أوامر الله واجتناب نواهيه.

التقوى عباد الله، هي والله علامات الفلاح وسر النجاح وعنوان السعادة.

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٩٥٨).

التقوى هي الحصن الحصين والدر الواقي من كل بلاء وفساد.

التقوى هي سبب الخلاص والسلامة من مضايق الدنيا والآخرة.

فبالتقوى تكفر السيئات وترفع الدرجات وتقال العثرات وتيسر الأمور والكربات قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق٢].

وقال تعالى: ﴿ ...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾[الطلاق٤ .

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾[الطلاق٥].

أيها المؤمنون: إن الله عَزَّوَجَلَّ خلقنا لعبادته وتوحيده قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات٥٦].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل٣٦].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام١٠٢].

وقال جلت عظمته: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[الأنبياء٢٥].

فيجب علينا معاشر المسلمين أن نحقق لا إله إلا الله، فلا إله إلا الله من أجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، ونصبت الموازين، وقام سوق الجنة والنار.

لا إله إلا الله هي كلمة التقوى والعروة الوثقى ،لا إله إلا الله هي الكلمة الطيبة ، والكلمة الباقية التي جعلها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في عقبه هي:

لا إله إلا الله شعار الإسلام وعلم التوحيد والمنجية من النار،كما جاء في الصحيحين (١) عن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : [إن الله قد حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله] .

عباد الله: يجب أن يعظم الله في قلوب العباد وأن يعظم أمره وشرعه فالله عَزَّوَجَلَّ هو الخالق وما سواه مخلوق وهو القاهر وما سواه مقهور قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الروم٤٠].

وقال سبحانه وتعالى:﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٨].

لا إله إلا الله عَزَّوَجَلَّ وتعاظم وتنزه وتقدس ليس له نظير ولا معين ولا وزير ولا شريك ولا ولد ولا والد ولا صاحبة ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى١١].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص:١ ـ ٤].

الله هو الذي خضعت له الرقاب ، وذلت له الصعاب ، وعنت له الوجوه، وبقدرته قهر كل شيء جل جلاله ، وعظم سلطانه .

عباد الله: أضل الناس من عبد غيره ودعا الأموات ، وسأل المخلوقين.

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[الأحقاف٥].

---

(١) البخاري برقم (٤٢٥) ومسلم برقم (٣٣).

وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر١٣ـ ١٤].

أيها المؤمنون: إن أعظم الذنوب عند الله هو الشرك بالله قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[النساء٤٨].

وقال تعالى : ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾ ﴾[الحج ٣١].

وقال تعالى : ﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[الأنعام٨٨].

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[الزمر٦٥].

فالشرك يحبط الأعمال ،ويطفئ نور الفطرة ، لأن الله فطر عباده على التوحيد، قال الله تعالى : ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم٣٠].

ومما يجب أن يحذره المسلمون الحكم بغير ما أنزل الله ، كالحكم بالقوانين الوضعية والأعراف والأسلاف القبلية المخالفة لشريعة الإسلام، فإن ذلك من حكم الجاهلية، قال الله تعالى : ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[المائدة٥٠].

وقال تعالى :﴿ ...وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة٤٤].

وقال تعالى :﴿ ...وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [المائدة٤٥].

وقال تعالى :﴿ ...وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [المائدة٤٧].

والحكم بما أنزل الله من عبادة الله قال تعالى :﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف٤٠].

عباد الله: لقد حرم الإسلام الزنا وسد جميع الطرق المفضية إليه سلامة للمجتمع ومحافظة على كرامة هذا الإنسان قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[الإسراء٣٢].

وانظروا إلى المجتمعات الكافرة المجتمعات البهيمية ، الذين قال الله عنهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد١٢] ، كيف سلط الله عليهم الأوبئة الكثيرة والأمراض الخطيرة الفتاكة ، التي وقف أمامها حذاق الأطباء عاجزين عن علاجها بسبب ممارستهم للشذوذ الجنسي ـ عياذًا بالله من ذلك ـ ، وصدق نبينا ﷺ القائل: [..لم تظهر الفاحشة في قوم قط ، حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع، التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا..].[1]

فحذارِ حذارِ عباد الله من الفساد في الأرض.

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٤٠١٩) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وإن من أعظم الفساد في الأرض فعل المعاصي وارتكاب الفواحش والمحرمات قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ﴾ [الأعراف٥٦].

فالاسترسال في الذنوب والمعاصي والتهاون بذلك ، من علامات الهلاك، قال ﷺ : [**يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله عَزَّوَجَلَّ طالبًا**]. [١]

وقال أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إنكم لتعملون أعمالًا هي أدق في أعينكم من الشعر،إن كنا لنعدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات. [٢] أي المهلكات.

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

شباب الإسلام : أنتم أبناء اليوم ورجال الغد عليكم تعلق الآمال بعد الله في نصرة دينه فقوموا بواجبكم ودوركم في المجتمع من نشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة وتمسكوا بدين الله ظاهرًا وباطنًا قولًا وعملًا.

شباب الدين للإسلام عودوا فأنتم مجده وبكم يسود
وأنتم سر نهضته قديماً وأنتم فجره الباهي الجديد

معاشر نساء المسلمين : اتقين الله وأكثرن من التوبة والإستغفار والصدقة والإحسان فقد ثبت في الصحيحين [٣] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال:

(١) أحمد برقم (٢٤٤١٥).
(٢) البخاري برقم (٦٤٩٢).
(٣) البخاري برقم (١٤٦٢) ومسلم برقم (٧٩).

خرج رسول الله ﷺ في أضحى أوفطر إلى المصلى فمر على النساء فقال : [يا معشر النساء ، تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار] ، فقلن : وبم يا رسول الله ، قال: [**تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**] ، قلن وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ، قال: [**أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل**] ، قلن: بلى قال: [**فذلك من نقصان عقلها أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم**] ، قلن : بلى ، قال: [**فذلك من نقصان دينها**].

وفي الختام لا أنسى أن أذكر نفسي وإياكم بالتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالضحايا فهي علم على الملة الإبراهيمية والشريعة المحمدية قال تعالى : ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الحج٣٦ـ ٣٧] .

وفي الصحيحين [(١)] عن البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال النبي ﷺ : [**إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلى ، ثم نرجع فننحر، من فعله فقد أصاب سُنتنا، ومن ذبح قبل فإنما هو لحم قدمه لأهله ، ليس من النسك في شيء**]. فقام أبو بردة بن نيار وقد ذبح ، فقال : إن عندي جذعة . فقال : [**اذبحها، ولن تجزي عن أحد بعدك**].

وعن عطاء بن يسار قال: سألت أبا أيوب الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : كيف كانت الضحايا فيكم على عهد رسول الله ﷺ ؟ ، قال : كان الرجل في

---

(١) البخاري برقم (٥٥٤٥) ومسلم برقم (١٩٦١).

عهد النبي ﷺ يضحى بالشاة عنه وعن أهل بيته . فيأكلون ويطعمون . ثم تباهى الناس فصار كما ترى.[(١)]

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل ماذا يتقى من الضحايا ، فقال : [**أربع : العرجاء البين ظلعها ، والعوراء البين عورها ، والمريضة البين مرضها ، والعجفاء التي لا تنقي**].[(٢)]

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رُشد ، يُعز فيه أهل طاعتك ، ويُذل فيه أهل معصيتك ، ويُؤمر فيه بالمعروف ، ويُنهى فيه عن المنكر يا سميع الدعاء.

اللهم أصلح أحوال المسلمين ، وارزقنا السير على سُنَّة سيد المرسلين ، وجنبنا المعاصي والبدع في الدين يا رب العالمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.



---

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٣١٤٧).
(٢) أحمد برقم (١٨٦٧٥).

(٤٢) خطبة الاستسقاء

الحمد لله الغني الحميد أحمده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، القائل في كتابه المجيد ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشورى٢٨].

وأشهد أن محمدًا عبد ورسوله ﷺ ،سلامًا يزيد ولا يبيد.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى وأطيعوه ، وامتثلوا أمره ولا تعصوه ، واعلموا عباد الله أن الله تعالى بحكمته البالغة يبتلي عباده المؤمنين بالجدب والقحط والسنين ، قال الله تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الأنبياء٣٥].

وقال تعالى :﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[البقرة١٥٥].

وهذه الابتلاءات تكون سببًا لرجوع الخلق إليه وتضرعهم بين يديه تبارك وتعالى ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الروم٤١].

وهذه المصائب التي تصيب العباد إنما هي بأعمالهم وما كسبته أيديهم وما يعفو الله عنه أكثر قال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[الشورى٣٠].

وقال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥ ﴾[آل عمران١٦٥].

فإذا ضيع الناس الدين وغيروا غير الله أحوالهم قال الله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١ ﴾[الرعد١١].

عباد الله: إن قلة الأمطار وانتشار الجدب والقحط ، وحبس الغيث من السماء له أسباب يجب أن نتذكر ذلك كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠ ﴾ [الأعراف١٣٠].

فهل تذكرنا ذنوبنا وسيئاتنا وتبنا منها إلى الله توبة صادقة وعدنا إلى ربنا عودة خالصة وهلا تضرعنا إلى ربنا ، ليكشف ما حل بنا ولكن أصبحت قلوبنا قاسية وأعمالنا سيئة -إلا من رحم الله - ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ٤٢ ﴾ [الأنعام٤٢].

وقال تعالى :﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ ﴾[الأعراف٥٥-٥٦].

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم

وداوم عليها بشكر الإله ... فشكر الإله يزيل النقم

فيا أمة الإسلام: العودة العودة إلى الله، حققوا التوبة، وردوا المظالم إلى أصحابها.

يا رب عبدك قد أتاك ... وقد أساء وقد هفا
يكفيه منك حياؤه ... من سوء ما قد أسلفا
حمل الذنوب على الذنـ ... ـوب الموبقات وأسرفا
رب اعف عنه وعافه ... فلأنت أولى من عفا

والتوبة إلى الله لابد لها من شروط وهي الندم والعزم على عدم العودة إلى الذنوب وإرجاع الحقوق إلى ذويها ، ولله در من قال:

شروط توبتهم إن رمت عدتها ... ثلاثة رتبت فافهم على عجلِ
إقلاعه ندم وعزمه أبدًا ... ألا يعود لما منه جرى وقلِ
إن كان توبته من ظلم صاحبه ... لابد من رده للحق في عجلِ

معاشر المسلمين: ولقد ابتلي المسلمون بالقحط في زمن النبي ﷺ وزمن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم جميعًا ولكنهم كانوا يفزعون إلى ربهم بالصلاة والدعاء والتضرع فيكشف الله ما بهم ويأتيهم الفرج من الله تبارك وتعالى ففي سُنَن أبي داود[1] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له في المصلى ووعد الناس يومًا يخرجون فيه قالت عائشة فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر ﷺ وحمد الله عَزَّوَجَلَّ ثم قال: [**إنكم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم، وقد أمركم الله عَزَّوَجَلَّ أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم ،ثم قال:** ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ **لا إله إلا الله يفعل**

(١) صحيح أبي ردود برقم (١١٧٣).

ما يريد ، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغًا إلى حين » ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه ثم حول إلى الناس ظهره وقلب أوحول رداءه وهو رافع يديه ثم أقبل على الناس ونزل فصلى ركعتين فأنشأ الله سحابة فرعدت وبرقت ثم أمطرت بإذن الله ، فلم يأت مسجده حتى سالت السيول فلما رأى سرعتهم إلى الكن ـ الكن بكسر الكاف كل ما وقى الحر والبرد من المساكن ـ ضحك ﷺ حتى بدت نواجذه فقال : أشهد أن الله على كل شيء قدير وأني عبد الله ورسوله].

وفي الصحيحين [1] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا ثم قال : يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغثنا . فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: [**اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا**]. قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار . قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت. قال : والله ما رأينا الشمس ستًا . ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة -يعني الثانية- ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائمًا فقال : يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا . قال : فرفع رسول الله يديه ثم قال: [**اللهم حولينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر**] . قال : فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس قال: شريك فسألت أنسًا أهو الرجل الأول ؟ فقال : لا أدري .

(١) البخاري برقم (١٠١٤) ومسلم برقم (٨٩٧).

عباد الله: هذا هو الرب الذي أغاثهم ورحمهم وكشف ضرهم وأجاب دعاءهم لأنه تعالى يجيب دعوة المضطرين ويجبر كسر المنكسرين ويغيث الملهوفين تبارك وتعالى ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل ٦٢].

فإنزال الغيث إنما هو بأمر الله وقدرته قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾[لقمان ٣٤].

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الشورى ٢٨].

وقال تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [المرسلات ٢٧].

فعليكم معاشر المؤمنين بالدعاء والتوبة والإستغفار فكل هذه الأمور يدفع الله بها البلاء ويرفع بها الضراء قال الله تعالى :﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾[هود : ٣].

وقال تبارك وتعالى عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾[نوح ١٠ ـ ١٢].

وقال تعالى عن هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟

مُّجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[هود :٥٢].

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ما نزل بلاء إلا بذنب ، ولا رفع بلاء إلا بتوبة. [1]

وقال تعالى :﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف٩٦].

فحذارِ حذارِ عباد الله من منع الزكاة فإن منعها سبب في الجدب والقحط كما ثبت في سُنَن ابن ماجه [2] وغيره عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : [**يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط . حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع والأمراض التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم فأخذوا بعض ما بأيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم**].

إخوة الإيمان والإسلام: ارجعوا إلى الله وتعرضوا لنفحاته فهو قريب في علوه عليٌّ في دنوه قال تبارك وتعالى :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة: ١٨٦].

---

(١) الجواب الكافي ص (١٠٣).
(٢) صحيح ابن ماجه برقم (٤٠١٩).

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ ﴾[غافر ٦٠].

وقال تعالى :﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ١٤ ﴾ [غافر ١٤].

وادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

اللهم أغث قلوبنا بالإيمان، وبلادنا وبلاد المسلمين بالأمطار يا رحيم يا رحمن، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا ،اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا هنيئًا مريئًا غدقًا مجللًا سحًا عامًا طبقًا دائمًا ، نافعًا غير ضار ،عاجلًا غير آجل.

اللهم اسق عبادك وبلادك وبهائمك ،وانشر رحمتك وأحيي بلدك الميت، اللهم إن بالعباد من اللأواء والجهد والضنك ،ما لا نشكوه إلا إليك، اللهم أنبت الزرع، وأدر لنا الضرع ، واسقنا من بركات السماء ، وأنزل علينا من بركاتك يا أرحم الراحمين .

اللهم إنا خلق من خلقك، ليس بنا غنى عن سقياك ورحمتك ، اللهم إنا خلق من خلقك فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك ، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارًا، فأرسل السماء علينا مدرارًا، اللهم اسقنا سقيا رحمة ،لا سقيا عذاب ولا بلاء ،ولا هدم ولا غرق ، اللهم لا تردنا خائبين، ولا عن بابك مطرودين ، ولا من رحمتك محرومين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .



٤٣ خطبة الكسوف

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[1]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلاَ مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَة بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: إن الله عَزَّوَجَلَّ بقدرته وعظمته سخر الشمس والقمر دآئبين يسيران بنظام بديع وسير سريع لا يختلفان علوًا ولا نزولًا ولا ينحرفان يمينًا ولا شمالًا ولا يتغيران تقدمًا ولا تأخرًا عما قدر الله تبارك وتعالى

لهما في ذلك ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل٨٨]. (١)

قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾[إبراهيم٣٣].

وقال تعالى : ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾[الرحمن٥].

وقال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف٥٤].

وقال تعالى : ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾[الأنعام٩٦].

وقال تعالى :﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾[الرعد٢].

وقال تعالى :﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأنبياء٣٣].

وقال تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [لقمان٢٩].

(١) الضياء اللامع (٢/ ٤١١) لابن عثيمين.

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت ٣٧].

إلى غير ذلكم من الآيات فالشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده، فعن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كسفت الشمس على عهد رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم مات إبراهيم فقال : الناس كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: [**إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا الله**]. (١)

وفي صحيح البخاري (٢) عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كنا عند رسول الله ﷺ فانكسفت الشمس فقام رسول الله ﷺ يجر رداءه حتى دخل المسجد فدخلنا فصلى بنا ركعتين حتى انجلت الشمس فقال ﷺ : [**إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ، فإذا رأيتموهما فصلوا ، وادعوا حتى يكشف ما بكم**].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال النبي ﷺ : [**إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد من الناس ولكنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتموهما فقوموا فصلوا**]. (٣)

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: خُسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ فصلى رسول الله ﷺ بالناس فقام فأطال القيام ، ثم ركع فأطال الركوع ،

---

(١) البخاري برقم (١٠٤٣) ومسلم برقم (٩١٥).
(٢) البخاري برقم (١٠٤٠).
(٣) البخاري برقم (١٠٤١) ومسلم برقم (٩١١).

ثم قام فأطال القيام ، وهو دون القيام الأول ، ثم ركع فأطال الركوع وهو دون الركوع الأول ، ثم سجد فأطال السجود ثم فعل في الركعة الثانية مثل ما فعل في الأولى ، ثم انصرف وقد انجلت الشمس ، فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: [**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا**] . ثم قال: [**يا أمة محمد ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ، ولبكيتم كثيرًا**] (١) .

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ ، فصلى رسول الله ﷺ فقام قيامًا طويلًا نحوًا من قراءة سورة البقرة ، ثم ركع ركوعًا طويلًا ، ثم رفع فقام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول ، ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الأول ، ثم سجد ثم قام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول ، ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الأول ، ثم رفع فقام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الأول ثم سجد ثم انصرف وقد تجلت الشمس فقال ﷺ : [**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله**] . قالوا يا رسول الله: رأيناك تناولت شيئًا في مقامك ثم رأيناك كعكعت ؟ ، قال ﷺ : [**إني أريت الجنة فتناولت عنقودًا ، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، وأريت النار فلم أر منظرًا كاليوم قط أفظع ورأيت أكثر أهلها النساء**] . قالوا بم يا رسول الله ؟ قال: [**بكفرهن**] . قيل يكفرن بالله ؟ . قال: [**يكفرن العشير ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى أحداهن الدهر**

(١) البخاري برقم (١٠٤٤) ومسلم برقم (٩٠١).

كله ثم رأت منك شيئًا ، قالت : ما رأيت منك خيرًا قط] [(١)] .

عباد الله: إنه يجب علينا أن نتعظ بهذه الآيات وأن نخاف من عقاب الله وعذابه فالله تبارك وتعالى يخوف عباده بهذه الآيات ليتقوه ويخشوا عذابه قال الله تعالى :﴿ ... وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء: ٥٩].

فما هذه الكسوفات والآيات إلا إنذارًا للعباد وتذكيرًا لهم ، لعلهم يحدثون توبة ورجوعًا صادقًا إلى الله ، ولذلك أمر النبي ﷺ الناس عند حصول الكسوف بالفزع إلى الصلاة والدعاء ، والصدقة والعتاقة والذكر، وأمر أصحابه أن يتعوذوا من عذاب القبر.

قال ابن المنير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : التعوذ عند الكسوف أن ظلمة النهار بالكسوف تشابه ظلمة القبر ، وإن كان نهارًا والشيء بالشيء يذكر ، فيخاف من هذا كما يخاف من هذا ، فيحصل الاتعاظ بهذا في التمسك بما ينجى من غائلة الآخرة. [(٢)]

إخوة الإيمان والعقيدة: لقد كثر الكسوف في هذا الزمان ، وما ذلك إلا لكثرة الفتن وانتشار الفساد في الأرض ، فالواجب الحذر من الذنوب والمعاصي ، فإنها سبب للشقاء والبلاء في الدنيا والآخرة .

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتــررت بها ... وعند صفوالليالي يحدث الكدر

قال بعض العلماء: إياك والمعصية ، فقد تكون سببًا لتوقف الرزق.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن عقوباتها ـ أي المعصية ـ أنها تزيل النعم الحاضرة وتقطع النعم الواصلة فتزيل الحاصل وتمنع الواصل ، فان نعم

---

(١) البخاري برقم (١٠٥٢) ومسلم برقم (٩٠٧).
(٢) فتح الباري (٢/ ٦٢٥).

الله ما حفظ موجودها بمثل طاعته ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته.[١]

وقال بعض السلف: أذنبت ذنبًا فحرمت قيام الليل سَنة.

وقال آخر: أذنبت ذنبًا فحرمت فهم القرآن.

وقال آخر: إني لأعصي الله فأجد ذلك في خلق دابتي وامرأتي.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفعنا وإياكم بهذه المواعظ وإلا فالأمر كما يقول سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من لم تنفعه قليل الموعظة لم يزدد بكثيرها إلا شرًا.

بعنا النفوس فلا خيار لبيعنا أعظم بقوم بايعوا الغفارا

رب اعطنا ثمنًا ألذ من المنى جنات عدنٍ تتحف الأبرارا

اللهم سلمنا من عذابك، وآمنا من عقابك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والمسلمات، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وصل إلهي كلما لاح بارق وما مطرت سحب وما قهقه الرعد

على المصطفى أزكى البرية كلهم صلاة مدى الأيام ليس لها عد

اللهم صلِ عليه وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليمًا كثيرًا.



(١) الجواب الكافي ص (١٣٨).

٤٤ وداع عام وبداية عام

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[1]:

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلاَ مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: إننا في هذه الأيام نستقبل أول أيام السَنَة الهجرية الجديدة، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

إنه عام مضى وعام دنا فليت شعري ، ماذا أودعنا عامنا الماضي من

الصالحات وبماذا نستقبل عامنا الجديد.

قال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ليلك طويل فلا تقصره بمنامك ، ونهارك نقي فلا تدنسه بآثامك.

وقال بعض السلف: يا ابن آدم إنما أنت أيام ، فإذا ذهب يومك ، ذهب بعضك.

وقال بعضهم: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت فيه شمسه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي.

فينبغي لنا معاشر المسلمين أن نشحذ الهمم والعزائم في طاعة الله ، ومحاسبة أنفسنا وأن نحذر من الغفلة والركون إلى الدنيا.

قال بعض العلماء إذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو بذلك راضٍ فذلك المغبون أي الخاسر.

من فاته الزرع في وقت البذار فما   تـراه يحصد إلا الحـزن والندما

وقال آخر:

لو يعلم العبد ما في الذكر من شرف   أمـضى الحياة بتسبيح وتهليل

وقال آخر:

دقـات قلب المـــرء قائلة له   إن الحيـــاة دقـائـق وثــوانِ

فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها   فالذكر للإنسان عمر ثــانِ

أيها المؤمنون: تأملوا فيما مضى من عامكم المنصرم ، كم غيب الموت من صاحب ، ووارى التراب من حبيب ، فلا إله إلا الله .

عام كامل قد انطوى بأيامه ولياليه ، فكم شقي فيه من أناس وسعد فيه آخرون ، صحائف ملئت بالخيرات والحسنات ، وصحائف ملئت بالمعاصي والسيئات ، ورغبات الناس وأفهامهم تختلف في انسلاخ العام ومضي الأعوام ، فمنهم من يفرح بذهاب ذلك لكونه موعودًا بترقية وظيفة، ومنهم من يفرح من أجل أن يقبض الأموال من أصحاب الإيجارات من الدكاكين والممتلكات ، ومنهم من يفرح بانسلاخ العام ليخرج من السجن فهو يعد الليالي والأيام عدًا ، فحاله كما قال الأول:

أعـد الـلـيـالي ليلة بعد ليلة وقد عشت دهرًا لا أعد الليالي

ومنهم من يحزن على فراقه ، لأنه يعلم أن كل يوم مضى من عمره يقربه من أجله.

إنا لنفرح بالأيـــام نقطعها وكل يوم مضى جزء من العمـر

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدًا فإنما الربح والخسران في العمل

قيل لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ : يا أطول الأنبياء عمرًا كيف وجدت الدنيا قال : كدار لها بابان ، دخلت من أحدهما ، وخرجت من الآخر.

أليس من الخـسران أن لياليًا تمر بلا علم وتحسب من عمري

وانظر يا أخي كيف يمر العام سريعًا كلمح البصر، فلا تشعر إلا وأنت في آخره ، فكذلك يمر عمرك لا تشعر إلا بهجوم الموت عليك ونزوله.

فكيف تكون الندامة والحسرة لمن فرط وضيع عمره في معصية الله يوم القيامة .

ففي صحيح مسلم [(١)] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ :[**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة ، فيصبغ في النار صبغة ، ثم يقال : يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط ؟ ، هل مر بك نعيم قط ؟، فيقول:لا والله يا رب ، ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة ، فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط ؟، هل مر بك شدة قط ؟ ، فيقول: لا والله يا رب ، ما مر بي بؤسًا قط ، ولا رأيت شدة قط**].

ومعنى قوله: [فيصبغ في النار صبغة] أي يغمس غمسة.

ومعنى [بؤسًا] البؤس هو الشدة.

عباد الله: تفكروا في مرور الأيام والليالي، إنها آيات وعبر تنقضي وتذهب، قال تعالى :﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾[الفرقان٦٢].

وقال تعالى : ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النور٤٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف:٥٤].

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ

(١) مسلم برقم (٢٨٠٧).

شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء١٢ ـ ١٤].

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما.

وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[لقمان:٢٩].

قال رجل لعامر بن عبد قيس : قف أكلمك قال : له أمسك الشمس.

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل.[1]

قد مضى العمر وفات | يا أسير الغفلات
حصل الزاد وبادر | مسرعًا قبل الفوات
فإلى كم ذا التعامي | عن أمور واضحات
وإلى كم أنت غارق | في بحار الشهوات
لم يلن قلبك أصلاً | بالزواجر والعظات
بينما الإنسان يسأل | عن أخيه قيل مات

(١) رواه البخاري معلقًا في كتاب الرقائق باب في الأمل وطوله ، ورواه أحمد في فضائل الصحابة برقم (٨٨١) ، وصححه شيخنا وصي الله عباس –وفقه الله– .

وتـــــــراه حمـلـــــوه	سرعــــة لـلـفـلـــوات
أهـلــه يـبـكـوا عـلـيـه	حـــسرة بـالـعـبرات
أيـــن مـــن قـــد كـــان	يفخر بـالجـيـاد الصافنات
ولـــه مـــال جزيـــل	كــالجـبــال الـراسـيـات
ســـار عـنـهـا رغـــم أنـف	لـلـقـبـور المـوحـشـــات
فـاغـنـم الـعـمـر وبـــادر	بـالـتـقـى قـبـل المـمات
وأنـــب وارجـــع وأقـلـع	عـــن عـظـيـم الـسـيـئـات
واطـلـب الـغـفـران ممن	تـــرتجـى مـنـه الهـبـات
ثـم نـاد في الـديـاجـي	يـــا مجـيـب الـدعـوات
اعـــف عـنـا يـــا رحـيـماً	وأقـلـنـا الـعـثـرات

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يحفظ علينا ديننا ، وأن يتوفانا مسلمين ، والحمد لله رب العالمين.



الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على المصطفى الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين ،ومن اتبع هداه إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد:

فيا عباد اللّه: ليحاسب كل امرئ نفسه وينظر في أمره ، وأين هو من الواجبات الشرعية أين هو من الصلاة والصيام ، ومن جميع أركان الإسلام ، فإن كان مفرطًا فعليه أن يستدرك ما فرط بالتوبة والإستغفار، وإن كان ظالمًا فليتب إلى الله عَزَّوَجَلَّ من ظلمه ، وليقم بإرجاع الحقوق إلى أهلها ، ولنعلم جميعًا أن كل عامل سيجد عمله ، وما كسبته يداه من خير أو شر ، فهذا العام وغيره إما شاهد لك أوشاهد عليك .

قال تعالى : ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[الكهف٤٩].

وقال تعالى :﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾[آل عمران٣٠].

وقال تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[التوبة١٠٥].

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾[الحاقة:١٨].

وقال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة:٧ ـ ٨].

وقال تعالى مخبرًا عن مؤمن آل فرعون أنه قال : ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[غافر:٣٩ ـ ٤٠].

ولو جئت يوم الحشر فردا وأبصرت المنازل فيه شتى
لأعظمت الندامة فيه غبنا على ما في حياتك قد أضعت

فيا أخي المسلم يجب عليك أن تهذب نفسك فهي المقصودة لا الأجسام.

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته أتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

فالعاقل هو الذي يملأ صحيفته بالإستغفار ويملأ أوقاته بطاعة الرحمن ويعمل الصالحات في الليل والنهار وهذا خير الناس فعند الترمذي [1] عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلاً قال : يا رسول الله أي الناس خير؟ ، قال: [**من طال عمره وحسن عمله**] ، قال : فأي الناس شر؟، قال: [**من طال عمره وساء عمله**].

فالله ألله في محاسبة النفس واستغلال الأوقات فيما يرضي الله ، والحرص

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٣٣٠).

على ذلك ففي صحيح البخاري [(١)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال النبي ﷺ : [**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ**].

وعند الحاكم [(٢)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه : [**اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك**].

فالواجب علينا أن نحاسب أنفسنا، ماذا عملنا في هذا العام، وبماذا سنستقبل هذا العام، فقد أمر الله بمحاسبة النفس .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الحشر:١٨].

قال بعض العلماء : من حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه ، وحضر عند السؤال جوابه ، وحسن منقلبه ومآبه ، ومن لم يحاسب نفسه طالت في عرصات القيامة وقفاته ، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته، وظهرت خسارته ودامت حسراته.

فيا من شاب رأسه ،واحد ودب ظهره، واقترب من قبره قاب قوسين أو أدنى ، اتق الله في عمرك ، وستندم حين لا ينفع الندم ، قال المتنبي:

بكيت على الشباب بدمع عيني فلم يغنِ البكاء ولا النحيب
ألا ليت الشباب يعود يومـــًا فــأخـبره بـما فعــل المشيب

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: [**أعذر الله إلى امرئ أخر أجله**

(١) البخاري برقم (٦٤١٢).
(٢) المستدرك (٤/٣٠٦).

حتى بلغه ستين سَنة]. [(١)]

ومعنى أعذر الله : أي لم يبق للعبد اعتذار.

فنفسك لم ولا تلم المطايا ومت كمدًا فليس لك اعتذار

قال تعالى : ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الزمر: ٥٦ ـ ٥٨].

وقال تعالى : ﴿ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر: ٢٣ ـ ٣٠].

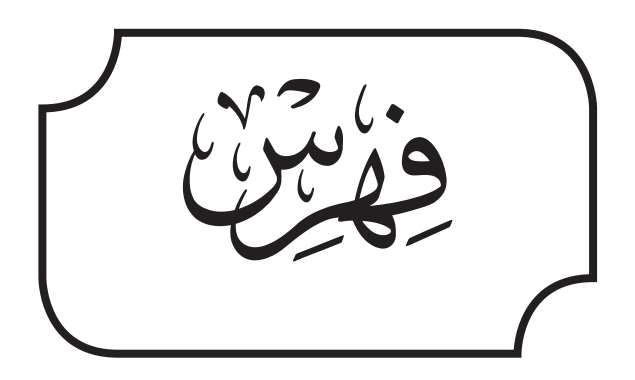
اللهم إنا نسألك أن تعفو عنا ما اقترفنا من ذنوب وسيئات ، وأن تغفر لنا الخطايا والزلات.

اللهم اجعل عامنا هذا عام خير وبركات ، وألهمنا فيه فعل الصالحات قبل الممات.

اللهم يا جابر المنكسرين، ويا راحم ذل المساكين، ارحم ضعفنا وعجزنا، اللهم هذا الدعاء ومنك الإجابة ، وهذا الجهد وعليك التكلان.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

(١) البخاري برقم (٦٤١٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.


فهرس

فهرس

